□ البـــاب الثانـــي □

عقيدتهم في أصول الدين

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: عقيدتهم في توحيد الألوهية.

الفصل الثاني: عقيدتهم في توحيد الربوبية.

الفصل الثالث: عقيدتهم في أسماء الله وصفاته.

الفصل الرابع: عقيدتهم في الإيمان وأركانه.

□ الفصــل الأول □

عقيدتهم في توحيد الألوهية

والمقصود بتوحيد الألوهية إفراد الله تعالى بالعبادة، لأنه سبحانه المستحق أن يعبد وحده لا شريك له، وإخلاص العبادة له، وعدم صرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره[1].

وهذا التوحيد هو الذي دعت الرسل إليه، لأن إقرار أقوامهم بتوحيد الربوبية معلوم، كما أخبر الله- عز وجل- عن أنبيائه نوح، وهود، وصالح، وشعيب أنهم قالوا لقومهم: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[2]، وأخبر سبحانه أن هذه دعوة الرسل عامة، فقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[3]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[4].

وهو أصل النجاة، وأساس قبول العبادات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[5].

فهل حافظت الشيعة على هذا الأصل الأصيل، والركن المتين، أم أن اعتقادها في الأئمة، قد أثر على عقيدتها في توحيد الله سبحانه؟ هذا ما سنتناوله بالحديث فيما يلي، حيث سأعرض لسبعة مباحث- إن شاء الله-

---

(١) انظر في تعريف توحيد الألوهية: شرح الطحاوية: ص١٦، لوامع الأنوار: ١/٢٩ العزيز الحميد: ص٣٦ وغيرها.

(٢) الأعراف، آية: ٥٩،٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٣) النحل، آية: ٣٦.

(٤) الأنبياء، آية: ٢٥.

(٥) النساء، آية: ٤٨، ١١٦.

أولها اعتقادهم أن نصوص القرآن الواردة في أعظم أصل من أصول الدين، والذي وقع فيه الضلال في العالمين، وهو توحيد العبادة، اعتقادهم أن الغاية منه تقرير ولاية عليّ والأئمة وعدم إشراك أحد معهم في الإمامة.

والمبحث الثاني: اعتقادهم أن أصل قبول الأعمال هو الإيمان بإمامة الاثنى عشر وولايتهم وليس توحيد الله عز وجل.

والمبحث الثالث: اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق حتى صاروا يعبدونهم ويدعونهم رغباً ورهباً.

والمبحث الرابع: اعتقادهم أن للأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم.

والمبحث الخامس: اعتقادهم أن تراب قبر الحسين شفاء من كل داء، وأمان من كل خوف.

والمبحث السادس: دعاؤهم بالطلاسم والرموز لكشف البلايا ورفع الملمات، واستعانتهم بالمجهول لطلب الهداية.

والمبحث السابع: استخارتهم بما يشبه رقاع الجاهلية[1].

* * *

---

(١) هذه المسائل الأربع الأخيرة يمكن إلحاقها بوجه آخر في توحيد الربوبية، ولاشك أن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية.

□ المبحث الأول □

نصوص التوحيد جعلوها في ولاية الأئمة

فأول ما نفاجأ به أن نصوص القرآن التي تأمر بعبادة الله وحده، غيروا معناها إلى الإيمان بإمامة عليّ والأئمة، والنصوص التي تنهى عن الشرك جعلوا المقصود بها الشرك في ولاية الأئمة.

أ- ففي قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[1].

جاء في الكافي[2]- أصح كتاب عندهم في الرواية- وفي تفسير القمي[3]-عمدة تفاسيرهم- وفي غيرهما من مصادرهم المعتمدة[4] تفسيرها بما يلي: «يعني إن أشركت في الولاية غيره»[5]، وفي لفظ آخر: «لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية علي من بعدك ليحبطن عملك»[6]. وقد ساق صاحب البرهان في تفسير القرآن أربع روايات لهم في تفسير الآية السابقة بالمعنى المذكور[7].

وقد جاء في سبب نزولها عندهم: «... إن الله عز وجل حيث أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم علياً للناس علماً اندس إليه معاذ بن جبل فقال: أشرك في ولايته الأول والثاني (يعنون أبا بكر وعمر) حتى يسكن الناس إلى قولك

---

(١) الزمر، آية: ٦٥.

(٢) أصول الكافي: ١/٤٢٧ رقم (٧٦).

(٣) تفسير القمي: ٢/٢٥١.

(٤) انظر: البرهان: ٤/٨٣، وتفسير الصافي: ٤/٣٢٨.

(٥) هذا لفظ الكليني في الكافي.

(٦) هذا لفظ القمي في تفسيره.

(٧) البرهان: ٤/٨٣.

ويصدقوك، فلما أنزل الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[1] شكا رسول الله صلى الله عليه وآله إلى جبرائيل فقال: إن الناس يكذبوني ولا يقبلون مني فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

وحتى يدرك القارىء مدى تحريفهم لآيات الله، وتآمرهم لتغيير دين الإسلام بتغيير أصله العظيم وهو التوحيد، نسوق الآية وما قبلها وما بعدها، ونتبع ذلك ببيان معناها. قال تعالى:

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾.

فالآية كما هو واضح من سياقها تتعلق بتوحيد الله في عبادته، فهم غيروا الأمر فاعتبروا الآية متعلقة بعلي مع أنه ليس له ذكر في الآية أصلاً، فكأنهم جعلوه هو المعبر عنه بلفظ الجلالة (الله) وجعلوا «العبادة» هي الولاية والآية واضحة المعنى بينة الدلالة، ليس بين معناها وتأويلهم المذكور أدنى صلة. قال أهل العلم في تفسيرها:

إن الله سبحانه أمر نبيه أن يقول هذا للمشركين لما دعوه إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام، وقالوا هو دين آبائك[3]. والمعنى: قل يا محمد لمشركي قومك أتأمرونني بعبادة غير الله أيها الجاهلون بالله ولا تصلح العبادة لشيء سواه سبحانه. ولما كان الأمر بعبادة غير الله لا يصدر إلا من غبي جاهل ناداهم بالوصف المقتضي ذلك فقال أيها الجاهلون. ثم بين سبحانه أنه قد أوحى إلى نبيه وإلى الرسل من

---

(١) المائدة، آية: ٦٧.

(٢) البرهان: ٤/٨٣.

(٣) وقد نقل ابن كثير وغيره عن بعض السلف أن هذا هو سبب نزولها.
انظر: تفسير ابن كثير: ٤/٦٧، تفسير البغوي: ٤/٢٨٤.

قبله: لئن أشركت بالله شيئا ليبطلن عملك وهذا في بيان خطر الشرك وشناعته وكونه بحيث ينهى عنه من لايكاد يباشره فكيف بمن عداه؟

ثم قال سبحانه: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ لا تعبد ما أمرك به المشركون بل اعبد الله وحده دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان[1].

فالمعنى كما ترى واضح جلي، لا يلتبس إلا على صاحب هوى مغرض، قد أعماه هواه عن رؤية الحق...، فهذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات كان جل همها، وغاية قصدها البحث عن سند لدعواهم في الإمامة، فكانت تخبط في هذا الأمر خبط عشواء لا تستند في الاستدلال إلى أصل من لغة أو عقل فضلاً عن الشرع والدين.

وفي ظني أنه لا يبعد أن يكون من بينها من يتعمد سلوك هذه المسالك.. حتى يبعد ناشئة الشيعة، وعقلاءها عن دين الإسلام، لأنهم إذا رأوا أن هذه الأدلة، والمسائل وأمثالها فاسدة في العقل، وظنوا أن هذا هو الإسلام شكوا في الإسلام نفسه، وهذه إحدى الأهداف البعيدة لتلك الزمرة الحاقدة التي رامت الكيد للأمة ودينها، وإبعاد الشيعة عن دين الإسلام، ولا سيما أنك تجد في النص الشيعي السالف الذكر النيل من رسول الله ﷺ، حيث نسبوا إليه عليه الصلاة والسلام المخالفة بعدم امتثال أمر ربه ابتداء وهو تنقص لمقام المعصوم (من قوم بالغوا في دعوى عصمة من دون النبي وهم الأئمة) وتنقص الأنبياء كفر[2].

كذلك يظهر في النص الإساءة للمعصوم عليه الصلاة والسلام بتصويره في موقف الخائف الوجل من قومه، المتردد في تنفيذ أمر ربه، حتى إنه لم يفارق هذا الموقف إلا حينما نزل عليه التهديد بإحباط عمله.

ب- وفي قوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٢٤، تفسير القرطبي: ١٥/٢٧٦-٢٧٧، البحر المحيط لأبي حيان: ٧/٤٣٨، فتح القدير للشوكاني: ٤/٤٧٤، روح المعاني للألوسي: ٢٤/٢٣-٢٤.

(٢) انظر: محمد بن عبد الوهاب/ رسالة في الرد على الرافضة: ص٦.

﴿يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ..﴾[1].

وهذه الآية- كما هو واضح- تبين ماعليه أهل الشرك من إعراض عن عبودية الله وحده، وهي جواب للمشركين حينما طلبوا الخروج من النار، والرجعة إلى الدنيا فقالوا: «فهل إلى خروج من سبيل» فكان جوابهم «ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم» أي ذلك الذي أنتم فيه من العذاب بسبب أنه إذا دعي الله في الدنيا وحده دون غيره كفرتم به وتركتم توحيده «وإن يشرك به» غيره من الأصنام أو غيرها «تؤمنوا» بالإشراك به وتجيبوا الداعي إليه، فبين سبحانه لهم السبب الباعث على عدم إجابتهم إلى الخروج من النار وهو ما كانوا فيه من ترك توحيد الله وإشراك غيره به في العبادة التي رأسها الدعاء، فهي مع ما قبلها خبر عن جزاء المشركين في الآخرة، وأن مصيرهم إلى النار لا يخرجون منها، وأنهم يطلبون الرجعة إلى الدنيا ولا يجابون بسبب إشراكهم بالله في عبادته[2].

ولكن الشيعة تروي عن أئمتها في تأويل الآية غير مافهمه المسلمون منها. تقول «عن أبي جعفر في قوله عز وجل: ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم» بأن لعلي ولاية «وإن يشرك به» من ليست له ولاية «تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير»[3].

ومعلوم أن هذا التأويل من جنس تأويلات الباطنية، إذ لا دلالة عليه من لفظ الآية ولاسياقها مطلقاً، ولذلك فإن صاحب مجمع البيان أعرض عن تأويلات طائفته حسب رواياتها عن أئمتها وفسر الآية بمقتضى ظاهرها، وما قاله السلف

---

(١) غافر، آية: ١٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤، تفسير البغوي: ٩٣/٤-٩٤، تفسير ابن كثير: ٧٩/٤-٨٠، فتح القدير: ٤٨٤/٤، تفسير القاسمي: ٢٢٧/١٤، ابن سعدي/ تيسير الكريم الرحمن ٥١٢/٦ وغيرها.

(٣) البرقي/ كنز جامع الفوايد ص٢٧٧، بحار الأنوار: ٣٦٤/٢٣، وانظر: تفسير القمي: ٢٥٦/٢، أصول الكافي: ٤٢١/١، البرهان ٩٣/٤-٩٤، تفسير الصافي: ٣٣٧/٤.

في تفسيرها[1]. لكن مثل هذه الأصوات المعتدلة سرعان ماتموت في جو التقية الخانق.

جـ- وتمضي رواياتهم على ذلك المنهج الضال، والتأويل الفاسد، ففي قوله سبحانه: ﴿... أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] قال أبو عبد الله- كما يفترون-: أي إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد»[3].

إن هذه الروايات وأمثالها هي التربة الصالحة لنشوء الاتجاهات الغالية التي تؤله علياً، والتي لا تزال تظهر في هذه الطائفة بين آونة وأخرى، وإلا فالآية لا صلة لها بإمامهم، بل هي لتقرير وحدانية الله،فالله جل شأنه قال:﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ...﴾ الآيات[4].

يقول الله في آخر كل آية :﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: أإله مع الله فعل هذا، وهذا استفهام إنكار يتضمن نفي ذلك، وهم كانوا مقرين بأنه لم يفعل ذلك غير الله فاحتج عليهم بذلك، وأن ذلك يستلزم ألا يعبد إلا الله وحده[5].

د- وإذا كان الله جل شأنه يقول : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[6]، فإن تلك الزمرة التي وضعت روايات الشيعة قالت وكأنها تضاهي معنى هذه الآية أو تعارضه، قالت: «ما بعث الله نبياً قط إلا بولايتنا والبراءة من أعدائنا»[7].

---

(١) انظر: مجمع البيان: ١٨٦/٥. (٢) النمل، آية: ٦١.

(٣) بحار الأنوار: ٣٩١/٢٣، كنز جامع الفوايد: ص٢٠٧.

(٤) النمل، آية: ٥٩-٦٠.

(٥) شرح الطحاوية: ص٢٥.

(٦) الأنبياء، آية: ٢٥.

(٧) البرهان: ٣٦٧/٢، تفسير العياشي (انظر: المصدر السابق)، تفسير الصافي: ١٣٤/٣.

وفي رواية أخرى: «ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها»[1]، فجعلوا أمر إمامة أئمة لم يخلقوا هو أصل دعوة الأنبياء[2]!!

هذا ورواياتهم في تأويل نصوص التوحيد والنهي عن الشرك بالمعنى المبتدع عندهم لا تكاد تخلو منها آية من آيات القرآن المتعلقة بالتوحيد، والنهي عن الشرك[3]، ولهذا جعل أحد شيوخهم هذا التأويل قاعدة مطردة في القرآن فقال: «كل ما ورد ظاهره في الذين أشركوا مع الله سبحانه رباً غيره من الأصنام التي صنعوها بأيديهم ثم عظموها وأحبوها والتزموا عبادتها وجعلوهم شركاء ربهم، وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله بغير أمر من الله بل بآرائهم وأهوائهم؛ فبطنه وارد

---

(١) أصول الكافي: ٤٣٧/١ رقم (٣).

(٢) ونسبوا هذه الروايات وأمثالها لجعفر الصادق وأبيه- برأهما الله مما يفترون-، وذلك إمعاناً في التغرير بأولئك الأتباع الأغرار ممن حجبوا عقولهم عن رؤية الحق، وعطلوا ملكة التفكير عندهم، بإيحاءات متنوعة عبر مراحل العمر الممتدة في موضوع محن آل البيت وحب آل البيت، والصراع بين الآل والأصحاب، ليخرج من ذلك الناشيء وقد شحنت عاطفته ونفسيته بالحقد والكراهية للصحابة، ولكل مسلم من غير طائفته.. وإن دراسة الآثار النفسية والتربوية لهذه الروايات على أولئك الأتباع ومقارنة ذلك بالحركات التاريخية لهم لهو موضوع حقيق بالدراسة ليتبين ضخامة الخطر لهذه الأساطير.. ورصد مكامن الضرر، والتعرف على توجهات أولئك الباطنيين ضد الأمة ودينها.

(٣) ومن أمثلة هذه التأويلات: تحريفهم لمعنى قوله سبحانه: ﴿**ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله..**﴾ [البقرة، آية١٦٥] بقولهم: «هم أولياء فلان وفلان اتخذوهم أئمة دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً» (الغيبة للنعماني ص٨٣، بحار الأنوار: ٣٥٩/٢٣، البرهان: ١٧٢/١، وقوله سبحانه: ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً**﴾ [الروم، آية: ٣٠] بقولهم: هي الولاية (تفسير القمي: ١٥٤/٢، أصول الكافي: ٤١٨/١، ٤١٩، كنز جامع الفوايد: ص٢٢٤، بحار الأنوار: ٣٦٥/٢٣، البرهان: ٢٦١/٣)، وقوله سبحانه: ﴿**وويل للمشركين الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون**﴾ [فصلت، آية: ٦،٧] قالوا: «وويل للمشركين الذين أشركوا بالإمام الأول، وهم بالأئمة الآخرين كافرون...» (تفسير القمي: ٢٦٢/٢، بحار الأنوار: ٨٣/٢٣-٨٤، البرهان: ١٠٦/٤، تفسير الصافي: ٣٥٣/٤).

وأمثال ذلك من التأويلات الخطرة لأعظم ركن من أركان الدين.

في الذين نصبوا أئمة بأيديهم وعظموهم وأحبوهم والتزموا طاعتهم وجعلوهم شركاء إمامهم الذي عينه الله لهم..»[1].

ووضعهم هذا قاعدة يعني أن أخبارهم تواطأت وتضافرت لإثبات هذا المنكر، وهذا ما صرحوا به فقالوا: «إن الأخبار متضافرة في تأويل الشرك بالله والشرك بعبادته بالشرك في الولاية والإمامة أي يشرك مع الإمام من ليس من أهل الإمامة، وأن يتخذ مع ولاية آل محمد رضي الله عنهم (أي الأئمة الاثنا عشر) ولاية غيرهم»[2].

وهكذا لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن في موضوع التوحيد والنهي عن الشرك إلا وراموا تحريفها وتعطيل معناها وتحويلها إلى ولاية عليّ والأئمة ولو كانت صريحة واضحة بينة.

وهذه التأويلات هي مفتاح كل شر، وباب كل فتنة[3] كيف وهي تتعلق بأصل الدين، وما اتفقت عليه دعوة المرسلين، وبه نزلت الكتب، ومن أجله أرسلت الرسل، وبه انقسم الناس إلى فريقين، فريق في الجنة، وفريق في الجحيم.

وقبل أن نرفع القلم في هذه المسألة أشير إلى رواية من كتبهم تنقض تأويلاتهم، وتبين أصلها ومنبتها، فقد جاء في تفسيرهم «البرهان»: «عن حبيب ابن معلى الخثعمي قال: ذكرت لأبي عبد الله رضي الله عنه ما يقول أبو الخطاب، فقال: أجل إليّ ما يقول. قال: في قوله عز وجل ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ﴾ أنه أمير المؤمنين ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ فلان وفلان[4]. قال أبو عبد الله:

(١) مرآة الأنوار: ص١٠٠، وانظر: ص٥٨ من المرجع المذكور.

(٢) مرآة الأنوار: ص٢٠٢.

(٣) للعلامة ابن القيم حديث قيم عن فساد التأويل، وما جره على الأمة من المصائب «وإن أصل خراب الدين والدنيا إنما هو من التأويل الذى لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل على أنه مراده».
(انظر: أعلام الموقعين: ٤/٢٥٠-٢٥٤).

(٤) يعني بهما: أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

من قال هذا فهو مشرك بالله عز وجل ثلاثاً أنا إلى الله منهم بريء ثلاثاً، بل عنى الله بذلك نفسه. قال: فالآية الأخرى التي في حم قول الله عز وجل: ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ ثم قلت زعم أنه يعني بذلك أمير المؤمنين ﷺ. قال أبو عبد الله: من قال هذا فهو مشرك بالله ثلاثاً أنا إلى الله منهم بريء ثلاثاً، بل عنى الله بذلك نفسه»[1].

وقد مرّ أن الآية الأخيرة التي أشارت إليها الرواية جاء تأويلها بمثل ما قال أبو الخطاب في عدد من مصادرهم المعتمدة كالكافي، والبرهان، والبحار، وتفسير الصافي وغيرها كما سلف[2]. أما الآية الأولى فقد جاء تأويلها بمثل هذا المنكر الذي أنكره أبو عبد الله- باعترافهم- في رواية ينسبونها لأبي عبد الله خرجها صاحب الكافى[3]، وذكرها صاحب البحار[4] وغيرهما[5].

فأبو عبد الله يحكم على شيوخ الشيعة الذين ارتضوا هذا التأويل بالشرك.

وقد جاءت عندهم روايات كثيرة ليست من قبيل التأويل للآيات، بل هي أحاديث مستقلة عن أئمتهم تؤصل هذا المنكر، وتثبت قاعدته كقولهم: «من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركاً»[6].

وفي هذا المعنى عدة روايات[7].

وأكد ذلك شيوخهم قال صدوقهم ابن بابويه: «.. إن الله هو الذي لا يخليهم في كل زمان من إمام معصوم، فمن عبد رباً لم يقم لهم الحجة، فإنما عبد

---

(١) البرهان: ٧٨/٤.

(٢) انظر: ص (٤٣٠).

(٣) روضة الكافي: ص٣٠٤.

(٤) ذكرها في موضعين ص٣٦٢، وص ٣٦٨ من الجزء الثالث والعشرين.

(٥) انظر: البرقي/ كنز جامع الفوايد: ص٢٧١.

(٦) النعماني/ الغيبة ص٨٢، بحار الأنوار: ٧٨/٢٢.

(٧) انظر- مثلاً- أصول الكافي: ٤٣٧/١.

غير الله عز وجل[1].

وهو يعني أن من آمن بالله سبحانه رباً، وأخلص له العبادة، ولكن اعتقد أنه لم يول علياً، ولم ينص على إمامته، فقد عبد غير الله!!

وأخذوا من هذه النصوص وغيرها الحكم بتكفير من عداهم من المسلمين. قال المجلسي: «اعلم أن إطلاق لفظ الشرك والكفر- يعني في نصوصهم- على من لم يعتقد إمامة أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليهم السلام، وفضل عليهم غيرهم يدل على أنهم كفار مخلدون في النار»[2].

وكل ذلك دعاوى لا سند لها من كتاب الله سبحانه وهي غير دين الإسلام تماماً-ولو كان شيء مما يقولون حقاً لكان له ذكر في كتاب الله في آيات كثيرة صريحة مبينة لا لبس فيها ولا غموض تبين للأمة هذا الأمر، ولو كان شيء من ذلك واقعاً لبينه الرسول ﷺ بياناً واضحاً وشافياً كافياً، ولنقلته الأمة بأجمعها.. وأصبح من الأمور المشهورة المعروفة.. ولم يستقل بنقله حثالة من الكذابين.

ولو كان شيء من ذلك حقاً لما أعرض عنه صحابة رسول الله، ولما تخلفوا عن القيام به وهم الذين بذلوا المال والنفس وهجروا الأهل والولد وفارقوا الأوطان واعتزلوا القرابة والعشيرة، وبذلوا حياتهم لهذا الدين.

وآيات القرآن صريحة واضحة في أن أصل هذا الدين وأساسه هو توحيد الله سبحانه وإفراده جل شأنه بالعبودية وشواهد هذا في القرآن كثير ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ...﴾[3]. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[4]. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾[5] وغير ذلك كثير.

---

(١) علل الشرائع ص١٤، بحار الأنوار: ٨٣/٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ٣٩٠/٢٣، وسيأتي- إن شاء الله- حديث عن تكفيرهم للصحابة، وغيرهم ممن لم يؤمن بأئمتهم في الباب الثالث.

(٣) الإسراء، آية: ٢٣.

(٤) البقرة، آية: ٨٣.

(٥) الرعد، آية: ٣٦.

أما ولاية الاثنى عشر فليس لها ذكر على وجه الإطلاق في كتاب الله. وقد اعترفت بذلك نصوصهم كما سلف. فهذه التحريفات والتأويلات الخطرة ابتداع في الدين كبير، وإغفال لأصل الدين العظيم.. وفتح لأبواب الشرك وتيسير لأسبابه.

* * *

□ المبحث الثاني □

الولاية أصل قبول الأعمال عندهم

إن التوحيد هو أصل قبول الأعمال، والشرك بالله سبحانه هو سبب بطلانها. قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1]،ولكن الشيعة جعلوا ذلك كله لولاية الاثنى عشر، وجاءت رواياتهم لتجعل المغفرة والرضوان والجنات لمن اعتقد الإمامة وإن جاء بقراب الأرض خطايا، والطرد والإبعاد والنار لمن لقيَ الله لا يدين بإمامة الاثنى عشر، فقالوا: «إن الله عز وجل نصب عليّاً علماً بينه وبين خلقه فمن عرفه كان مؤمناً، ومن أنكره كان كافراً، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً، ومن جاء بولايته دخل الجنة[2].

وقالوا في رواياتهم: «... فإن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته، وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله جل جلاله لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله»[3].

وقال أبو عبد الله- كما يزعمون- «من خالفكم وإن تعبد منسوب إلى هذه الآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾[4].

وزعموا أن جبرائيل نزل على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا محمد السلام يقرئك السلام ويقول: «خلقت السموات السبع وما فيهن، والأرضين السبع ومن

---

(١) النساء، آية: ٤٨، ١١٦.

(٢) أصول الكافي: ١/٤٣٧.

(٣) أمالي الصدوق: ص١٥٤، ١٥٥.

(٤) الآيات من سورة الغاشية ٢-٤، والنص في تفسير القمي: ٢/٤١٩.

عليهن وما خلقت موضعاً أعظم من الركن والمقام، ولو أن عبداً دعاني هناك منذ خلقت السموات والأرضين ثم لقيني جاحداً لولاية عليّ لأكببته في سقر»[(١)].

ولا تترك رواياتهم وجهاً من أوجه المبالغة في عبادة جاحد الولاية وعدم نفعها له إلا وتذكره حتى قالت: «... لو سجد حتى ينقطع عنقه ما قبل الله منه إلا بولايتنا أهل البيت»[(٢)].

وزعمت أن الله قال- كما يفترون- «يا محمد لو أن عبداً يعبدني حتى ينقطع ويصير كالشنّ البالي ثم أتاني جاحداً لولايتهم ما أسكنته جنتي ولا أظللته تحت عرشي»[(٣)]. وادعت أن رسول الله ﷺ قال: «لو جاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأمثال الجبال ولم يجيء بولاية علي بن أبي طالب لأكبه الله عز وجل بالنار»[(٤)].

«ولو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبل الله ذلك منه حتى يلقاه بولايتي وولاية أهل بيتي»[(٥)].

بل إنهم جعلوا التوحيد لا يقبل إلا بالولاية، ففي أخبارهم «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال رجلان من أصحابه: فنحن نقول لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما تقبل شهادة أن لا إله إلا الله من هذا وشيعته، ووضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على رأس عليّ وقال لهما: من علامة ذلك ألا تجلسا مجلسه ولا تكذبا قوله...»[(٦)]. فهذا يقتضي عندهم أن الولاية مقدمة على الشهادة وهي أساس قبولها.. ولا تقبل الشهادة إلا من شيعة علي.

---

(١) أمالي الصدوق: ص٢٩٠، بحار الأنوار: ١٦٧/٢٧.

(٢) الخصال: ٤١/١، المحاسن: ص٢٢٤، بحار الأنوار: ١٦٧/٢٧، ١٦٨.

(٣) بحار الأنوار: ٢٧/ ١٦٩.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ٣١٤/١.

(٥) بحار الأنوار: ١٧٢/٢٧.

(٦) بحار الأنوار: ٢٧/ ٢٠١.

واعتقاد الإمامة هو مناط عفو الله ومغفرته، وإنكارها هو سبب سخط الله وعقابه، وجاءت عندهم بهذا المعنى روايات كثيرة، فقد رووا «عن عليّ رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عن الله عز وجل قال: وعزتي وجلالي لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية إمام جائر ليس من الله عز وجل، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية، ولأعفون عن كل رعية دانت بولاية إمام عادل من الله تعالى، وإن كانت الرعية في أعمالها طالحة سيئة»[1].

ورواياتهم في هذه المسألة كثيرة جاء على أكثرها صاحب البحار، فقد ذكر مثلاً عشرين رواية في باب أنهم عليهم السلام أهل الأعراف.. لا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه»[2] وإحدى وسبعين رواية في باب أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية»[3] وغيرها.

وكل هذه الروايات ليست من الإسلام في شيء، فأمامنا كتاب الله سبحانه ليس فيه مما يدعون شيئاً، وهو الفيصل الأول، والمرجع الأول في كل خلاف.

القرآن العظيم ذكر أن أصل قبول الأعمال هو التوحيد وسبب الحرمان هو الشرك، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[4]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[5].

وكل ما ذكر من مبالغات الشيعة تكذبها آيات القرآن فالله سبحانه يقول: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾[6]. ولم يذكر سبحانه من ضمن ذلك الولاية، وكذلك قال سبحانه: ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾[7].

---

(١) النعماني/ الغيبة: ص٨٣، بحار الأنوار: ٢٧/٢٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/٢٤٧-٢٥٦.

(٣) المرجع السابق: ٢٧/١٦٦-٢٠٢.

(٤) المائدة، آية: ٧٢.

(٥) النساء: آية: ٤٨، ١١٦.

(٦) البقرة، آية: ٦٢.

(٧) المائدة، آية: ٦٩.

وهم يزعمون أن ولاية الاثنى عشر أعظم من الصلاة وسائر أركان الإسلام[1]. والصلاة ذكرت في القرآن بلفظ صريح واضح في أكثر من ثمانين موضعاً، ولم تذكر ولايتهم مرة واحدة.. فهل أراد جل شأنه ضلال عباده، أم لم يبين لهم طريق الوصول إليه!! سبحانك هذا بهتان عظيم: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[2].

وقد جاء في رواياتهم ما ينقض ما قالوه، وإن كانت لا تلبث تأويلاتهم، أو تقيتهم من وأد مثل هذه النصوص المعتدلة، ولكن أذكر ذلك لإقامة الحجة عليهم من كتبهم، ولبيان ما عليه نصوصهم من تناقض.. جاء في تفسير فرات: «قال علي بن أبي طالب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لما نزلت: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[3] قال جبرائيل: يا محمد إن لكل دين أصلاً ودعامة، وفرعاً وبنياناً، وإن أصل الدين ودعامته قول: لا إله إلا الله، وإن فرعه وبنيانه محبتكم أهل البيت وموالاتكم فيما وافق الحق ودعا إليه»[4].

فهذا النص يخالف ما تذهب إليه أخبارهم، حين يجعل أصل الدين شهادة التوحيد، لا الولاية، ويعد محبة أهل البيت هي الفرع وهي مشروطة بمن وافق الحق منهم ودعا إليه..

* * *

---

(١) انظر في فصل الإمامة» من الباب الثالث في هذه الرسالة.

(٢) التوبة، آية: ١١٥.

(٣) الشورى، آية: ٢٣.

(٤) تفسير فرات: ص١٤٨-١٤٩، بحار الأنوار: ٢٣/٢٤٧.

□ المبحث الثالث □

اعتقادهم أن الأئمة هم الواسطة بين الله والخلق

يقول الاثنا عشرية: إن الأئمة الاثنى عشر هم الواسطة بين الله وخلقه، قال المجلسي عن أئمته: «فإنهم حجب الرب، والوسائط بينه وبين الخلق»[1].

وعقد لذلك باباً بعنوان «باب أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله وإنه لا يدخل الجنة إلا من عرفهم»[2].

وجاء في أخبارهم أن أبا عبد الله قال: «نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل»[3].

وجاء في كتاب «عقائد الإمامية» أن الأئمة الاثنى عشر هم: «أبواب الله والسبل إليه... إنهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»[4].

وإذا كان المسلمون يعتقدون أن الرسل هم الواسطة بين الله والناس في تبليغ أمر الله وشرعه، فإن الاثنى عشرية تعتقد أن هذا المعنى موجود في الأئمة، لأنهم يتلقون من الله- كما مر في فصل عقيدتهم في السنة- وتزيد على ذلك فتجعل لهم من خصائص الألوهية ما يخرج بمن يؤمن به من دين التوحيد إلى دين المشركين حين تجعل هداية الخلق إليهم، وأن الدعاء لا يقبل إلا بأسمائهم، وأنه يستغاث بهم عند الشدائد والملمات، ويحج إلى مشاهدهم، والحج إليها أفضل من الحج إلى بيت الله، وكربلاء أفضل من الكعبة، ولزيارة أضرحة الأئمة مناسك وآداب سموها

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣/٩٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٣/ ٩٧.

(٣) السابق: ٢٣/١٠١.

(٤) عقائد الإمامية/ للمظفر: ص٩٨-٩٩.

«مناسك المشاهد» وجعلوها تحج كما يحج بيت الله الذي جعله الله قياماً للناس، ويطاف بها كما يطاف بالبيت، وتتخذ قبلة كبيت الله الحرام.

وسأعرض- إن شاء الله- لهذه المسائل من خلال النقل الأمين- بحول الله- من كتب الشيعة المعتمدة عندها.

وقبل أن أعرض لهذه المسائل أبين أن دعوى «الواسطة» للأئمة غريبة على نصوص الإسلام، بل هي منكرة، لأنها عين دين المشركين، وقد بعث الرسل لتخليص البشرية من هذا الشرك.

وليس بين المسلم في عبادته لربه ودعائه له، حجب تمنعه، ولا واسطة تحجبه. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

وقال أهل العلم: «إن من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعاً، لأن ذلك كفعل عابدي الأصنام الذين قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[3][4].

وحينما سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عمن قال لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله فإننا لا نقدر أن نصل إليه إلا بذلك.

أجاب- رحمه الله- بقوله: إن أراد أنه لا بد لنا من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه ويأمر به وينهى عنه إلا

---

(١) : البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) غافر، آية: ٦٠.

(٣) الزمر، آية: ٣.

(٤) انظر: البهوتي/ كشاف القناع: ٦/١٦٨-١٦٩.

بواسطة الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده، وهذا ما أجمع عليه أهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى، فإنهم يثبتون الوسائط بين الله وبين عباده، وهم الرسل الذين بلغوا عن الله أوامره ونواهيه،قال تعالى:﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ومن أنكر هذه الوسائط فهو كافر بإجماع أهل الملل. وإن أرادوا بالواسطة: أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكونوا واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم، يسألون ذلك ويرجعون إليه فيه، فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين، حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجتلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، فمن جعل الأنبياء أو الملائكة أو الأئمة والأولياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب وتفريج الكربات، وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين.

إلى أن قال: فمن أثبت وسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب الذي بين الملك ورعيته، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده وينصرهم ويرزقهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم، موالناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائل أنفع لهم من طلبهم من الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل[1].

وأعود- الآن- لعرض المسائل التي أشرت إليها آنفاً من خلال كتب الشيعة نفسها لتتضح حقيقة الشرك والدعوة إليه الكامنة في المذهب الإمامي الاثنى

---

(١) انظر: ابن تيمية/ الواسطة بين الخلق والحق (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١/١٢١ وما بعدها، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم) وانظر: أبا بطين/ الانتصار لحزب الله الموحدين ص٣٠-٣١.

عشري:

* **المسألة الأولى: قولهم لا هداية للناس إلا بالأئمة:**

قال أبو عبد الله: «بلية الناس عظيمة إن دعوناهم لم يجيبونا، وإن تركناهم لم يهتدوا بغيرنا»[1].

فهذا النص يقرر أن هداية الناس لا تتحقق إلا بالأئمة وأن الناس في بلاء وضلال دائم لأنهم يرفضون إجابة دعوة الأئمة.

وكلا الحكمين (حصر الهداية بالأئمة، والحكم بالضلال على الناس) باطل من القول وزور لمخالفته للنقل والعقل والواقع.

ومرة أخرى تقول أخبارهم: قال أبو جعفر: بنا عُبِدَ اللّهُ، وبنا عرف الله، وبنا وحد الله»[2].

فهي لا تنفى الهداية عن الأمة، ولكن تجعل مصدرها الأئمة.

والحق أن الهداية بمعنى التوفيق إلى الحق وقبوله، لا يملكها إلا رب العباد، ومقلب القلوب والأبصار، والذي يحول بين المرء وقلبه، والذي إذا قال للشيء كن فيكون.. والشيعة في إطلاقها هذه العبارات بلا أيّ قيد تجعل لأئمتها مشاركة لله جل شأنه في هذه الهداية وهو شرك أكبر، فالله سبحانه هو الهادي وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾[3]. ويقول لنبيه– عليه السلام–: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[4].

---

(١) أمالي الصدوق: ص٣٦٣، بحار الأنوار: ٩٩/٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٣/٢٣.

(٣) الكهف، آية: ١٧.

(٤) القصص، آية: ٥٦.

أما هداية الدلالة على الحق والإرشاد إليه فهذه وظيفة الرسل ومن تبعهم بإحسان، ولا تنحصر في الاثنى عشر. ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[1]. وإطلاق القول بأن هداية العباد لا تتم إلا بالأئمة جرأة على الله سبحانه.

* **المسألة الثانية: قولهم لا يقبل الدعاء إلا بأسماء الأئمة:**

قالوا: لا يفلح من دعا الله بغير الأئمة، ومن فعل ذلك فقد هلك.

جاء في أخبارهم عن الأئمة: «من دعا الله بنا أفلح، ومن دعا بغيرنا هلك واستهلك»[2]. وبلغت جرأتهم في هذا الباب أن قالوا: «إن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين»[3]. وقد استشهد على ذلك المجلسي بإحدى عشرة رواية من رواياتهم[4]. كما عرض لروايات كثيرة مماثلة في أبواب أحوال الأنبياء، وبالأخص في أحوال آدم وموسى وإبراهيم وكذا في أبواب معجزات النبي[5]

وجاءت روايات كثيرة في هذا المعنى في عدد من مصادرهم المعتمدة[6] وهذا «الزعم» الخطير يهدف بطريقة ماكرة، وأسلوب مقنع إلى «تأليه الأئمة» وأنهم ملجأ المحتاجين ومفزع الملهوفين وأمان الخائفين وقبلة الداعين، ولا تستجاب الدعوات إلا بذكر أسمائهم، فأي فرق بين هذا وبين ما يزعمه المشركون في أصنامهم؟

نعم هناك فرق، وهو أن المشركين في وقت الشدة يخلصون الدعاء لله

---

(١) يوسف، آية: ١٠٨.

(٢) الطبري/ بشارة المصطفى: ص١١٧- ١١٩، البحار: ١٠٣/٢٣، وسائل الشيعة: ١١٤٢/٤.

(٣) وهذا أحد أبواب بحار الأنوار: ٣١٩/٢٦.

(٤) انظر: بحار الأنوار: ٣١٩/٢٦-٣٣٤.

(٥) المصدر السابق: ٣٣٤/٢٦.

(٦) انظر- مثلا-: تفسير العياشي: ٤١/١، ابن بابويه/ الخصال: ١٣٠/١، معاني الأخبار ص٤٢، الطبرسي/ الاحتجاج ص٢٧، ٢٨، وانظر: تفسير الحسن العسكري: ص١١٧، ١١٨، وسائل الشيعة: ١١٣٩/٤ وغيرها.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[1]. أما هؤلاء فإنهم يشركون في الرخاء والشدة، بل يزعمون أن الشدة لا ترفع إلا بالدعاء بأسماء الأئمة.

تقول إحدى رواياتهم «عن الرضا عليه السلام قال لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق، ولما رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإن موسى عليه السلام لما ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسا، وإن عيسى عليه السلام لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجى من القتل فرفعه الله»[2].

وكما أن الاستجابة لدعاء الأنبياء بسبب الأئمة، فإن ما جرى لبعض الأنبياء هي بزعمهم بسبب موقفهم من الأئمة، فآدم عليه السلام- كما يفترون- «.. لما أسكنه الله الجنة مثّل له النبي وعلي والحسن والحسين صلوات الله عليهم فنظر إليهم بحسد، ثم عرضت عليه الولاية فأنكرها فرمته الجنة بأوراقها، فلما تاب إلى الله من حسده وأقر بالولاية ودعا بحق الخمسة محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفر الله له وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[3]، كما ادعوا أن يونس عليه السلام حبسه الله في بطن الحوت لإنكاره ولاية علي بن أبي طالب ولم يخرجه حتى قبلها[4].

هذا ما تقوله الشيعة وتفتريه، ولكن يقول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[5] ولم يقل سبحانه فادعوه بأسماء الأئمة أو مقامات الأئمة أو مشاهدهم.

كما قال جل شأنه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[6]، ولو كان

---

(١) العنكبوت، آية: ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٢٥/٢٦، وسائل الشيعة: ١١٤٣/٤.

(٣) البقرة، آية: ٣٧، والنص المذكور في تفسير العياشي: ٤١/١، بحار الأنوار: ٣٢٦/٢٦.

(٤) تفسير فرات ص١٣، بحار الأنوار: ٣٣٣/٢٦-٣٣٤.

(٥) الأعراف، آية: ١٨٠.

(٦) غافر، آية: ٦٠.

أساس قبول الدعاء ذكر أسماء الأئمة لقال ادعوني بأسماء الأئمة أستجب لكم، بل إن هذا الأمر الذي تدعيه الشيعة وتفتريه من أسباب رد الدعاء وعدم قبوله، لأن الإخلاص في الدعاء لله أصل في الإجابة والقبول. قال تعالى: ﴿فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1]، ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2].

وهؤلاء الأئمة هم من سائر البشر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تدعونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[3].

ولم يجعل الله عز وجل بينه وبين خلقه في عبادته ودعائه، ولياً صالحاً ولا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، بل الجميع عباد لله ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ...﴾[4] الآية ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا﴾[5].

وتربية الشيعي من خلال أدعيته ومناجاته لله على هذا المنهج هي تربية خطيرة.. حيث تزرع في قلبه ومشاعره الاتجاه إلى غير الواحد القهار، وتنمي في نفسه التوجه إلى البشر لا إلى خالق البشر، ويترعرع في هذا المحضن الوثني لينشأ أولاده وأحفاده على هذه الطريق، ولربما ينسى ذكر الله سبحانه أصلاً، لأن ذكر الأئمة في لسانه، ووجودهم في قلبه حين الدعاء والتوجه..

ويتركز ذلك من خلال الكلمة والقدوة.

وقد صرحت بعض رواياتهم بشيء من هذا المعنى، حيث تقول بأن بعض الشيعة كتب إلى إمامه يشتكي أو يسأل ويقول: «إن الرجل يحب أن يفضي إلى إمامه ما يحب أن يفضي إلى ربه» فجاء الجواب: «إذا كانت لك حاجة فحرك

---

(١) غافر، آية: ١٤.

(٢) الأعراف، آية: ٢٩.

(٣) الأعراف، آية: ١٩٤.

(٤) النساء: آية: ١٧٢.

(٥) مريم، آية: ٩٣.

شفتيك، فإن الجواب يأتيك»[1]. فهم أسرع إجابة وأقضى للحاجة، وهذا شرك يهون عنده شرك الجاهلية الأولى.. وواقع مشاهد الشيعة ومزاراتهم يعبر عن الثمرات المرة لهذه الأساطير.

ودعوى أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل بالأئمة هي دعوى جاهلة غبية إذ ليس للأئمة وجود في حياة الأنبياء عليهم السلام، وهي دعوة للشرك بالله سبحانه، إذ أنهم جعلوا مفتاح الإجابة وأساس القبول هو ذكر أسماء الأئمة فهي كقول المشركين بأن أصنامهم تقربهم إلى الله زلفى.. وهي زعم باطل، إذ أن الأنبياء عليهم السلام- كما جاء في قول أصدق القائلين- إنما دعوا الله عز وجل باسمه سبحانه وبوحدانيته جل شأنه. قال سبحانه عن يونس: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

والكلمات التي قالها آدم عليه السلام وزوجه هي كما قال الله سبحانه: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[3].

وهذه المقالة من الشيعة معلوم فسادها من الدين بالضرورة، وهي من وضع زنديق ملحد أراد إدخال الشرك في دين الإسلام ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[4].

ونقلت كتب الشيعة نفسها ما يناقض هذه الدعوى عن الأئمة في مناجاتهم لله ودعائهم له، فأمير المؤمنين كان يقول كما تنقل كتب الشيعة «إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي، ثم قال: آه إنْ أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول خذوه!

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢/٩٤.

(٢) الأنبياء، آية: ٨٧.

(٣) الأعراف، آية: ٢٣.

(٤) الصف، آية: ٨.

فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته»[1].

وما من إمام إلا قد رووا عنه الكثير من أمثال هذا الدعاء، مما لا يتسع المجال لعرضه وقد أتى على أكثره المجلسي في بحاره[2].

* **المسألة الثالثة: الاستغاثة [3] بالأئمة:**

لا يستغاث إلا بالله وحده، ولكن الشيعة تدعو إلى الاستغاثة بأئمتها فيما لا يقدر عليه إلا الله وحده، وقد خصصت بعض رواياتها وظيفة كل إمام في هذا الباب فقالت: «.. أما علي بن الحسين فللنجاة من السلاطين ونفث الشياطين، وأما محمد بن علي وجعفر بن محمد فللآخرة وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما موسى بن جعفر فالتمس به العافية من الله عز وجل، وأما علي بن موسى فاطلب به السلامة في البراري والبحار، وأما محمد بن علي فاستنزل به الرزق من الله تعالى، وأما علي بن محمد فللنوافل وبر الإخوان وما تبتغيه من طاعة الله عز وجل، وأما الحسن بن علي فللآخرة، وأما صاحب الزمان فإذا بلغ منك السيف الذبح فاستعن به فإنه يعينك»[4]..

ثم جاء صاحب البحار بدعاء يتضمن الاستغاثة بالأئمة على هذا النحو السالف الذكر اعتبره من قبيل الشرح لهذا النص[5].

وقد قرر المجلسي أنهم- كما يزعم- «الشفاء الأكبر والدواء الأعظم لمن

---

(١) أمالي الصدوق ص٤٨، بحار الأنوار: ٩٤/٩٢.

(٢) ولاسيما في الجزء الرابع والتسعين.

(٣) **الاستغاثة**: طلب الغوث، وهو إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والفرق بين الدعاء والاستغاثة: أن الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد (انظر: ابن تيمية/ الرد على البكري ص٨٨، سليمان بن عبد الوهاب/ تيسير العزيز الحميد: ص٢١٤-٢١٥، ابن سعدي/ القول السديد ص٤٨-٤٩).

(٤) بحار الأنوار: ٩٤/٣٣.

(٥) انظر: المصدر السابق: ٩٤/٣٣.

استشفى بهم[1].

وأدعيتهم تنسج على هذا المنوال، حيث الأئمة عندهم هم المستغاث والمرتجى، فيتوجه الشيعي للإمام ويقول- كما جاء في رواياتهم- عن إمامهم المنتظر:

«.. أركان البلاد، وقضاة الأحكام، وأبواب الإيمان.. منائح العطاء، بكم إنفاذه محتوماً مقروناً، فما شيء منه إلا وأنتم له السبب وإليه السبيل.. فلا نجاة ولا مفزع إلا أنتم، ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة..»[2].

ولا يخفى ما في هذا النص من تأليه للأئمة، حيث جعلهم سبب كل شيء، ولا مفزع إلا إليهم، وبهم العطاء محتوماً...!!

وأدعية كثيرة تسير على هذا الضلال في الغلو بالأئمة إلى مقام خالق الأرض والسموات، وهي قد جمعت في كتب الأدعية عندهم كمفاتيح الجنان وعمدة الزائر وغيرهما، وقد وردت في كتبهم المعتمدة في أبواب المزار، والأدعية ودراستها وجمعها وتحليلها يحتاج إلى بحث مستقل، وترى في تلك الأدعية السبئية قد أطلت بوجهها المظلم الذي يؤله علياً من خلال هاتيك الدعوات والاستغاثات.

وهناك «رقاع» تكتب، وتوضع على قبور الأئمة، لأن قبور الأئمة وأضرحتهم التي لا تنفع ولا تضر هي- بزعمهم- مناط الرجاء ومفزع الحاجات. قالوا: «إذا كان لك حاجة إلى الله عز وجل فاكتب رقعة على بركة الله، واطرحها على قبر من قبور الأئمة إن شئت، أو فشدها واختمها واعجن طينا نظيفا واجعلها فيه، واطرحها في نهر جارٍ، أو بئر عميقة، أو غدير ماء، فإنها تصل إلى السيد عليه السلام وهو يتولى قضاء حاجتك بنفسه»[3].

ثم ذكروا أنه يكتب في هذه الرقعة: «بسم الله الرحمن الرحيم كتبت إليك

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بحار الأنوار: ٣٧/٩٤.

(٣) المصدر السابق ٢٩/٩٤.

يا مولاي صلوات الله عليك مستغيثاً...، فأغثني يا مولاي صلوات الله عليك عند اللهف، وقدّم المسألة لله عز وجل في أمري قبل حلول التلف وشماتة الأعداء، فبك بسطت النعمة عليّ، واسأل الله (الخطاب للإمام في قبره) جل جلاله لي نصراً عزيزاً..»[1].

ثم ذكروا بأنه يصعد النهر أو الغدير وينادي على أحد أبواب المنتظر[2] فينادي أحدهم ويقول: «يا فلان بن فلان سلام الله عليك أشهد أن وفاتك في سبيل الله وأنت حي عند الله مرزوق، وقد خاطبتك في حياتك التي لك عند الله جل وعز وهذه رقعتي وحاجتي إلى مولانا عليه السلام فسلمها إليه فأنت الثقة الأمين»[3].

قالوا: «ثم ارم بها في النهر وكأنك تخيل لك أنك تسلمها إليه»[4].

وهناك رسائل أيضاً تبعث إلى المنتظر المعدوم لطلب الاستغاثة.

وقد قرر المحققون من أهل العلم بالأنساب والتواريخ أن هذا المنتظر الذي تنتظره الرافضة لم يولد أصلاً، لأن الحسن العسكري مات عقيماً- كما سيأتي- ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا المنتظر: «وهو شيء لا حقيقة له ولم يكن هذا في الوجود قط»[5]. ومع هذا فقد وضعوا من الروايات في مشروعية إرسال رقاع إلى هذا المعدوم لطلب الاستغاثة والنجدة فيما لا يقدر عليه إلا الله فمن ذلك أيضاً:

قالوا: تكتب رقعة إلى صاحب الزمان وتكتب فيها «بسم الله الرحمن الرحيم

---

(١) بحار الأنوار: ٩٤/٢٩-٣٠.
(٢) وهم أربعة: عثمان بن سعيد، أو ابنه محمد، أو الحسن بن روح، أو علي السمري. (المصدر السابق: ٩٤/٣٠)، وانظر: فصل الغيبة من هذه الرسالة.
(٣) بحار الأنوار: ٩٤/٣.
(٤) المصدر السابق: ٩٤/٣.
(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٨/٤٠١.

توسلت بحجة الله الخلف الصالح محمد بن الحسن[1] بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب النبأ العظيم، والصراط المستقيم، والحبل المتين، عصمة الملجأ وقسيم الجنة والنار أتوسل إليك بآبائك الطاهرين.. وأمهاتك الطاهرات الباقيات الصالحات.. أن تكون وسيلتي إلى الله عز وجل في كشف ضرّي وحلّ عقدي وفرج حسرتي، وكشف بليتي...»[2].

قالوا: ثم تكتب رقعة أخرى لله سبحانه «وتطيب الرقعتين، وتجعل رقعة الباري تعالى في رقعة الإمام رضي الله عنه وتطرحهما في نهر جار أو بئر ماء بعد أن تجعلهما في طين حرّ..»[3][4].

انظر في هذا النص وصفه لهذا المعدوم بأنه عصمة الملجأ، وفارج الحسرة، وكاشف البلية. وهي صفات لا تطلق إلا على من يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ومن يهدي من يعتصم به إلى صراط مستقيم وهو الخالق جل علاه. ولكن هؤلاء جعلوا لهذا المعدوم خصائص الرب عز وجل.

وتأمل قوله في نهاية النص «وتجعل رقعة الباري في رقعة الإمام» فكأنهم يجعلون هذا المعدوم هو المقدّم في طلب الحاجات!!

ثم ساق المجلسي استغاثة أخرى بهذا المنتظر، وفيها «ارجع فيما أنت بسبيله إلى الله تعالى، واستعن بصاحب الزمان[5] عليه السلام، واتخذه لك مفزعاً، فإنه نعم المعين، وهو عصمة أوليائه المؤمنين... وقل السلام عليك يا إمام المسلمين

---

(١) جاء عندهم روايات تنهى عن التصريح باسمه (أصول الكافي ١/٣٣٢، ٣٣٣) فهذه الرواية تناقض ماقرروه وتناقضهم لايكاد ينتهي.

(٢) بحار الأنوار: ٢٩/٩٤.

(٣) **طين حرّ**: أي لا رمل فيه (المصدر السابق: ٢٨/٩٤).

(٤) المصدر السابق: ٢٨/٩٤-٢٩.

(٥) هذا من ألقاب مهديهم المنتظر.

والمؤمنين، السلام عليك يا وارث علم النبيين، السلام عليك يا عصمة الدين، السلام عليك يا معز المؤمنين المستضعفين، السلام عليك يا مذل الكافرين المتكبرين الظالمين، السلام عليك يا مولاي يا صاحب الزمان.. يا مولاي حاجتي كذا وكذا فاشفع لي في نجاحها»[1].

وصاحب الزمان عندهم قد عجز عن الخروج إلى شيعته خوف القتل كما تقرره نصوصهم المعتبرة- كما سيأتي- فكيف يوصف بهذه الأوصاف، ويطلب منه هذه الحاجات مما لا يقدر عليه إلا كاشف الملمات وهو عاجز عن حماية نفسه قد قبع في سردابه وتوارى عن الأنظار..

* **المسألة الرابعة:** قولهم إن الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى بيت الله:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «حدثني الثقات أن فيهم من يرى الحج إلى المشاهد أعظم من الحج إلى البيت العتيق، فيرون الإشراك بالله أعظم من عبادة الله وحده، وهذا من أعظم الإيمان بالطاغوت»[2].

هذه المسألة التي قال عنها عالم من أكبر علماء أهل السنة المعنيين بتتبع أمر الرافضة والرد عليهم بأنه قد وصله خبرها عن طريق بعض الثقات هي اليوم مقررة ومعلنة في المعتمد من كتب الاثنى عشرية في عشرات من الروايات تنص على أن زيارة المشهد أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام.

جاء في الكافي وغيره: «إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة، وأفضل من عشرين عمرة وحجة»[3].

وحينما قال أحد الشيعة لإمامه «إني حججت تسع عشرة حجة، وتسع

---

(١) بحار الأنوار: ٩٤/٣١-٣٢.

(٢) منهاج السنة: ٢/١٢٤.

(٣) فروع الكافي: ١/٣٢٤، ابن بابويه/ ثواب الأعمال: ص٥٢، الطوسي/ تهذيب الأحكام: ٢/١٦، ابن قولويه/ كامل الزيارات: ص١٦١، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٠/٣٤٨.

عشرة عمرة» أجابه الإمام بأسلوب يشبه السخرية- قائلاً «حج حجة أخرى، واعتمر عمرة أخرى، تكتب لك زيارة قبر الحسين عليه السلام»[1].

فكأنه يقول له علام تبذل كل هذا الجهد، وزيارة قبر الحسين أفضل من عملك هذا، ثم تراه وجهه لإكمال عشرين حجة وعمرة ليتحقق له بذلك فضل زيارة واحدة لقبر الحسين، ولم يوجهه لزيارة الحسين، وذلك زيادة في التقريع وإظهار السخرية وإبداء التحسر.

وتذهب رواياتهم إلى المبالغة بالقول بأفضلية زيارة قبر الحسين وقبور سائر الأئمة على الركن الخامس من أركان الإسلام حج بيت الله الحرام وتصل في ذلك إلى درك من العته والجنون، أو الزندقة والإلحاد لا يكاد يصل إليه أحد في هذا الباب، حتى ليقول القائل بأن هذا دين المشركين لا دين المسلمين الموحدين ، لأن هؤلاء يقدمون لنا ديناً آخر غير ما يعرفه المسلمون دين شيوخهم وآياتهم لا دين رب العالمين، وتخرصات وأوهام رجالهم، لا وحى سيد المرسلين، فهي أشبه ما تكون بمؤامرة لتغيير دين المسلمين، وتغيير قبلة المسلمين، بيت رب العالمين. وتقدم لنا رواياتهم هذا المعنى بصور مختلفة وأساليب متنوعة لتؤثر في قلوب السذج والجهلة، وتخدع عقول الناشئة والعجم، فما أسرع تأثير البدعة في هؤلاء[2]..

فهذا أحد الأعراب يشد الرحل من اليمن لزيارة الحسين- كما تزعم أساطيرهم-فيلتقي بجعفرهم الذي يسمونه بالصادق، لأن جعفر بن عبد الله بريء من افتراءات هؤلاء وأكاذيبهم، فيسأله جعفر عن أثر زيارة قبر الحسين فقال هذا الأعرابي إنه يرى البركة من ذلك في نفسه وأهله وأولاده وأمواله وقضاء حوائجه، فقال أبو عبد الله- كما تقول الرواية- أفلا أزيدك من فضله فضلاً يا أخا اليمن؟ قال: زدني يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: إن زيارة أبي عبد الله

---

(١) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ١٦/٢، وسائل الشيعة ٣٤٨/١٠، بحار الأنوار: ٣٨/١٠١.

(٢) ولذلك قال أيوب السختياني- كما يروي اللالكائي- إن من سعادة الحدث والأعجمي أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٦٠/١).

عليه السلام- يعني نفسه- تعدل حجة مقبولة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتعجب من ذلك، فقال له: أي والله وحجتين مبرورتين متقبلتين زاكيتين مع رسول الله صلى الله عليه وآله فتعجب فلم يزل أبو عبد الله عليه السلام يزيد حتى قال: ثلاثين حجة مبرورة متقبلة زاكية مع رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

بهذا الأسلوب الغريب الذي أشبه ما يكون بلعب الأطفال ومحاوراتهم يقرر جعفرهم أن زيارة الضريح أفضل من ثلاثين حجة.

ويفترون أيضاً على رسول الله بأنه قرر هذا الشرك بنفس هذا الأسلوب الذي بلفظه يكشف كذبهم فضلاً عن معناه، حيث تقول روايتهم «كان الحسين عليه السلام ذات يوم في حجر النبي صلى الله عليه وآله وهو يلاعبه ويضاحكه» وإن عائشة قالت: «يارسول الله ما أشد إعجابك بهذا الصبي!! فقال لها: وكيف لا أحبه وأعجب به وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله فمن زاره بعد وفاته كتب الله له حجة من حججي، قالت: يا رسول الله حجة من حججك، قال: نعم وحجتين، قالت: حجتين؟ قال: نعم وأربعاً فلم تزل تزاده وهو يزيد حتى بلغ سبعين حجة من حجج رسول الله صلى الله عليه وآله بأعمارها»[2].

وتذهب رواية أخرى إلى أن «من زار قبر أبي عبد الله كتب الله له ثمانين حجة مبرورة»[3].

وتزيد رواية أخرى على ذلك فتقول: «من أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه كان كمن حج مائة حجة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[4].

---

(١) ابن بابويه القمي/ ثواب الأعمال ص٥٢، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٠/٣٥٠-٣٥١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٠/٣٥١-٣٥٢.

(٣) ثواب الأعمال ص٥٢، كامل الزيارات ص١٦٢، وسائل الشيعة: ١٠/٣٥٠.

(٤) ثواب الأعمال: ص٥٢، وسائل الشيعة: ١٠/٣٥٠.

وتتنافس رواياتهم في المبالغة في الأعداد لتتجاوز المئات إلى مرحلة الآلاف، وتتجاوز ذلك إلى ذكر أصناف من الثواب والأجر وكأن الدين هو مجرد زيارة قبر، والوقوف على ضريح.

فقد جاء في «وسائل الشيعة» وغيره عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال: «لو يعلم الناس ما في زيارة الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقاً، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات، قلت: وما فيه؟ قال: من زاره تشوقًا إليه كتب الله له ألف حجة متقبلة، وألف عمرة مبرورة، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر، وأجر ألف صائم، وثواب ألف صدقة مقبولة، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه الله، ولم يزل محفوظاً سنته من كل آفة أهونها الشيطان، ووكل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدمه، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمن يحضرون غسله وأكفانه والاستغفار له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار له ويفسح له في قبره مد بصره ويؤمنه الله من ضغطة القبر ومن منكر ونكير يروعانه، ويفتح له باب إلى الجنة ويعطى كتابه بيمينه ويعطى له يوم القيامة نور يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب، وينادي مناد هذا من زار الحسين شوقاً إليه فلا يبقى أحد يوم القيامة إلا تمنى يومئذ أنه كان من زوار الحسين عليه السلام»[1].

وفي رواية أخرى: «إن الرجل منكم ليغتسل في الفرات ثم يأتي قبر الحسين عارفاً بحقه فيعطيه الله بكل قدم يرفعها أو يضعها مائة حجة مقبولة، ومائة عمرة مبرورة، ومائة غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل»[2].

ورواية ثالثة تقول: «من زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكياً لقى الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألفي ألف حجة، وألفي ألف

---

(١) كامل الزيارات. ص١٤٣، وسائل الشيعة: ٣٥٣/١، بحار الأنوار: ١٨/١٠١.

(٢) وسائل الشيعة: ٣٧٩/١٠، كامل الزيارات ص١٨٥.

عمرة وألفي ألف غزوة، وثواب كل حجة وعمرة وغزوة كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الأئمة الراشدين صلوات الله عليهم..»[1].

ثم ذكرت الرواية أن هذا الفضل كله يحصل أيضاً لمن لم يستطع زيارة قبره في هذا اليوم، ولكن صعد على سطح داره وأومأ إليه بالسلام ثم دعا على قاتله وندب الحسين وبكاه ولم ينتشر في يومه هذا في حاجة[2].

وعلى غرار هذا عشرات من الأمثلة تكل اليد من نقلها، ويتعب الفؤاد من تأملها، لأنها روايات الهدف منها صرف الناس عن عبادة الواحد القهار إلى عبادة المخاليق الضعفاء، وغايتها التحلل من تكاليف الإسلام وشرائع الدين إلى مجرد نقل القدم إلى قبر ليحصل بذلك على كل الأجر حتى تنتهي بمعتقدها إلى ضرب من الإباحية، والإعراض عن أوامر الله وشرائعه، والتعدي على محارمه.

فلو كان شيء من هذا حقاً لذكره القرآن العظيم في آياته...، لماذا يذكر الحج في آيات عدة من القرآن، ولا تذكر زيارة قبر الإمام مطلقاً.. وهي أفضل من الحج إلى بيت الله الحرام- بزعمهم-.

وقد تنبه أحد الشيعة لذلك وتعجب لماذا تخص زيارة الحسين بهذا الفضل الذي يربو على فضل الحج مئات المرات وليس لها ذكر في القرآن أليس هذا دليل الوضع والافتراء.

فقال- بعد أن استمع من إمامه لفضائل زيارة قبر الحسين المزعومة- قال: «قد فرض الله على الناس حج البيت، ولم يذكر زيارة قبر الحسين عليه السلام»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٠/١٠١، كامل الزيارات ص١٧٦ ومابعدها.

(٢) المصدرين السابقين في نفس الموضع.

(٣) بحار الأنوار: ٣٣/١٠١، كامل الزيارات ص٢٦٦.

فأجاب إمامهم بجواب يبدو فيه الاضطراب، حيث قال: «وإن كان كذلك فإن هذا شيء جعله الله هكذا»[1]. وهذا اعتراف منهم وهم أرباب التأويل الباطني بخلو القرآن من هذه البدعة، وهذا كاف في نقض مزاعمهم من كتبهم. فالإقرار هو سيد الأدلة، وبأيديهم يهدمون بيوتهم.

وكأن إمامهم في جوابه هذا يقول لا جواب عندي، الأمر هكذا، لم يبين الله لعباده سبيل عبادتهم وما يتقون.

ثم حاول بعد هذه الكلمة المضطربة أن يتلمس جواباً بعيداً عن الموضوع فأردف قائلاً: «أما سمعت قول أمير المؤمنين إن باطن القدم أحق بالمسح من ظاهر القدم، ولكن الله فرض هذا على العباد»[2]. وهذا اعتراف منهم أيضاً بأن زيارة قبر الحسين كباطن القدم (والأصح كباطن الخف) لم تدخل فيما فرض الله، ثم واصل الاعتذار فقال: «أو ما علمت أن الموقف لو كان في الحرم كان أفضل لأجل الحرم ولكن الله صنع ذلك في غير الحرم»[3].

وهذا كسابقه اعتراف بأن الزيارة لم تفرض، وإن كانت في نظر هذه الزمرة أحق.. ثم هي في اعتذارها تحاول أن تجعل من نفسها رقيبة على تشريع رب العالمين، فكأنها تشير بأن الله سبحانه لم يفعل ما هو أولى وأحق (تعالى الله عما يقوله الظالمون)، حيث لم يجعل موقف عرفات في الحرم بل جعله في الحل، وهكذا تتطاول هذه الزمرة الملحدة التي وضعت هذه الأخبار، وخدعت بها الأغرار تتطاول على شرع الله وحكمته، وتضع من نفسها وصية على أمر الله.

ورواياتهم في هذا كثيرة للغاية كما أشرنا من قبل، وإنني الآن أمام زخم هائل من الروايات التي لا تخطر ببال من لم يخض غمار هذه الأساطير روايات

---

(١) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٣٣، كامل الزيارات ص٢٦٦.

(٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

كثيرة ما أدرى ما آخذ منها وما أدع فكل منها يثير العجب والاستنكار لكل من كان على صلة بكتاب ربه، أو على أدنى وعي بأمر دينه، ولم يلجم عقله التعصب ويغلق فكره الهوى وتأخذه العزة بالإثم تعصباً لبدعته وطائفته.

ولو حاول الشيعي أن يتخلى عن هذه الأساطير التي تشده إلى الظلام ولو لحظة ثم يتفكر في أمر هذا الخطر الأكبر الذي يأخذ به ليلقيه في غياهب الشرك وظلماته، لينسى ربه وخالقه، ويتعلق بقبر مخلوق قد أرم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا حياةً ولا نشورا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[1].

والعجب أنه ورد عندهم بعض الروايات في تخفيف هذا الغلو الذي يجعل من الشخوص إلى القبر أفضل من حج بيت الله الحرام، ولكن شيخ الشيعة المجلسي رد ذلك بحجة التقية.

تقول روايتهم «عن حنان قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول في زيارة قبر الحسين صلوات الله عليه فإنه بلغنا عن بعضكم أنه قال: تعدل حجة وعمرة؟ قال فقال: ما أضعف هذا الحديث ما تعدل هذا كله ولكن زوروه ولا تجفوه فإنه سيد شباب أهل الجنة[2]..

قال المجلسي في تأويل هذا النص الذي ينقض عشرات الروايات التي جاء بها، ويكشف ضلال ما عليه طائفته قال: «لعل المراد أنها لا تعدل الواجبين من الحج والعمرة والأظهر أنه محمول على التقية»[3]، أي أن جعفراً يقول هذا الكلام على سبيل الكذب مجاملة لأهل السنة أو خوفاً منهم وليس من دين الشيعة .. وهكذا يفعل شيوخهم بكل رواية عن أهل البيت لا توافق أهواءهم يبطلون مفعولها بهذه الحجة الجاهزة «التقية» فصار التشيع يكتسب غلوه على مر الأيام بفعل شيوخه وصار دينهم دين شيوخ الرافضة لا دين الأئمة..

---

(١) الأعراف، آية: ١٩٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٣٥، قرب الإسناد ص٤٨.

(٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

□ زيارة كربلاء يوم عرفة أفضل من سائر الأيام:

مما يكشف أن هذه الروايات هي ثمرة مؤامرة ضد الأمة لصرفها عن بيت ربها، والعمل على إفساد أمرها، وتفريق اجتماعها.. والحيلولة دون تلاقيها في هذا المؤتمر السنوي العام.. أن هذه الروايات خصت زيارة الحسين يوم عرفة بفضل خاص، تقول:

«من أتى قبر الحسين عارفاً بحقه في غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة وعشرين عمرة مبرورات مقبولات.. ومن أتاه في يوم عيد كتب الله له مائة حجة ومائة عمرة.. ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل»[1].

وتكاد بعض رواياتهم تصرح بالهدف، فهذا جعفرهم يقول: «لو أني حدثتكم بفضل زيارته وبفضل قبره لتركتم الحج رأساً وما حج منكم أحد، ويحك أما علمت أن الله اتخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتخذ مكة حرماً»[2]...

فأنت تلاحظ أنه صرح من طرف خفي أن ترك الحج وزيارة كربلاء أولى.

وقال: «إن الله يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين بن علي عشية عرفة قبل نظره إلى أهل الموقف (قال الراوي وكيف ذلك؟) قال أبو عبد الله- كما يزعمون- لأن في أولئك أولاد زنا وليس في هؤلاء أولاد زنا[3]، وأولاد الزنا عند الشيعة هم غير الشيعة من المسلمين[4].

---

(١) انظر: الكليني/ فروع الكافي: ١/٣٢٤، ابن بابويه/ من لايحضره الفقيه: ١/١٨٢، الطوسي/ التهذيب: ٢/١٦، ابن قولويه/ كامل الزيارات ص١٦٩، ابن بابويه/ ثواب الأعمال ص٥٠، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٠/٣٥٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/٣٣، كامل الزيارات ص٢٦٦.

(٣) الفيض للكاشاني/ الوافي/ المجلد الثاني: ٨/٢٢٢.

(٤) يدل على ذلك ماجاء في الكافي عن أبي جعفر قال: «والله إن الناس كلهم أولاد بغايا ماخلا شيعتنا» (الكليني/ الروضة من الكافي: ص١٣٥ ط: لكنو ١٨٨٦م، وانظر: بحار الأنوار: ٢٤/٣١١)، وعن إبراهيم بن أبي يحيى عن جعفر بن محمد قال: ما من مولود يولد إلا وإبليس =

ويظهر من رواياتهم أن لهذه الأساطير تأثيرها حتى قال أحد نقلة هذه الأسطورة ورواتها بعد سماعه دعاء من جعفرهم لزوار قبر الحسين قال: «والله لقد تمنيت أني زرته و لم أحج..»[1].

وتتحدث رواية أخرى أن من أراد «أن يتنفل بالحج والعمرة فمنعه من ذلك شغل دنيا أو عائق فأتى الحسين بن علي في يوم عرفة أجزأه ذلك من أداء حجته وضاعف الله له بذلك أضعافاً مضاعفة (قال الراوي) قلت: كم تعدل حجة وكم تعدل عمرة؟ قال: لا يحصى ذلك. قلت: مائة. قال: ومن يحصي ذلك؟ قلت: ألف. قال: وأكثر، ثم قال: وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها[2]، وأنت تلاحظ أن صدر النص يشير إلى أن الحج أفضل، وأن زيارة الحسين هي البديل عند حصول عائق بينما عجزه يشير إلى خلاف ذلك.

قال شيخهم الفيضي الكاشاني في التعليق عما تذكره رواياتهم من فضائل زيارة قبر الحسين «إن هذا ليس بكثير على من جعله الله إماماً للمؤمنين، وله خلق السموات والأرضين وجعله صراطه وسبيله، وعينه، ودليله، وبابه الذي يؤتى منه، وحبله المتصل بينه وبين عباده من رسل وأنبياء وحجج وأولياء هذا مع أن مقابرهم رضي الله عنهم فيها أيضاً إنفاق أموال، ورجاء آمال، وإشخاص أبدان، وهجران أوطان، وتحمل مشاق، وتجديد ميثاق، وشهود شعائر، وحضور مشاعر»[3].

= من الأبالسة بحضرته، فإن علم الله أن المولود من شيعتنا حجبه من ذلك الشيطان، وإن لم يكن المولود من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه في دبر الغلام فكان مأبوناً، وفي فرج الجارية فكانت فاجرة (تفسير العياشي: ٢/٢١٨، البرهان: ٢/١٣٩). وعقد المجلسي في البحار باباً لهذا الاعتقاد بعنوان: (باب أنه يدعى الناس بأسماء أمهاتهم إلا الشيعة) وذكر فيها ١٢ حديثاً (بحار الأنوار: ٧/٢٣٧) وانظر تفسير نور الثقلين: ٢/٥١٣).

(١) وسائل الشيعة: ١٠/٣٢١، فروع الكافي: ٣٣٥، ثواب الأعمال ص٣٥.

(٢) الوافي، المجلد الثاني: ٨/٢٢٣.

(٣) الوافي، المجلد الثاني، ج ٨/٢٢٤.

تأمل هذا الغلو، حيث جعل الحسين هو الحبل والواسطة بين الله وعباده، وأنه عين الله وبابه!! ولاحظ توجيهه لفضل زيارة قبر الحسين بفعل أسباب الوقوع في الشرك نفسه من شد الرحال إلى القبر، وإنفاق الأموال لها أو عندها طلباً لشفاعتها، وتعليق الآمال عليها إلى آخر ماذكره من أعمال الشرك وأسبابه، ومع ذلك فهذا عندهم من أفضل الطاعات!![1].

□ زيارة قبر الحسين أفضل الأعمال:

ليست زيارة قبر الحسين عند هؤلاء أفضل من الحج فحسب، بل هي أفضل الأعمال، جاء في رواياتهم أن زيارة قبر الحسين «أفضل ما يكون من الأعمال»[2]، وفي رواية أخرى «من أحب الأعمال زيارة قبر الحسين»[3]، وأنشأ المجلسي باباً خاصاً بهذا العنوان ذكر فيه جملة من جنس هذه الروايات[4].

وهكذا تنسى شرائع الإسلام وأوامره، ويهتم هؤلاء بالقبور والأضرحة ويجعلونها من أفضل الأعمال بلا دليل إلا ما صنعته أوهامهم وأوحاه لهم شياطينهم، ليشرعوا من الدين ما لم يشرعه الله.

□ قولهم إن كربلاء أفضل من الكعبة:

قبلة المسلمين، وأقدس مقدساتهم، وأفضل البقاع بيت الله الحرام، مهوى أفئدة المسلمين، الذي لا يشرع الطواف إلا به.. والذي جعله الله مثابة للناس

---

(١) ولكن لماذا لم يعمل شيوخهم بهذه الروايات ويدعو الحج..؟ الواقع أنهم لم يفعلوا، لعل ذلك لأسباب منها ليتمكن هؤلاء من نقل شرهم لسائر العالم الإسلامي عبر هذا المؤتمر العظيم.. وخشية التشنيع عليهم من قبل المسلمين فيفقدوا الأرضية الصالحة لنشر دعوتهم سيما أنهم يرون الفريضة لابد منها، على الرغم من أن هذه الروايات لا تجعل في قلب المؤمن بها أي حنين إلى حج بيت الله الحرام.

(٢) كامل الزيارات ص١٤٦، بحار الأنوار: ١٠١/٤٩.

(٣) كامل الزيارات ص١٤٦، بحار الأنوار: ١٠١/٤٩.

(٤) وهو بعنوان «باب أن زيارته عليه السلام من أفضل الأعمال «بحار الأنوار: ١٠١/٤٩.

وأمناً.. ملتقى المسلمين العام، وقبلتهم التي يتجهون إليها جميعاً.. تقول روايات الاثنى عشرية بأنها ليست إلا ذنباً ذليلاً مهيناً لأرض كربلاء[١]..

إن وراء الأكمة ما وراءها.. لقد أقضَّ مضاجع الأعداء اجتماع المسلمين في هذا الملتقى الطاهر، وأرق أجفانهم تلاقيهم وتوجيههم لهذا المكان الواحد..

فراموا الكيد لذلك بكل وسيلة.. وراحوا يبحثون عما يصرفون به قلوب المسلمين.. وكان المدخل الميسر لهم عن طريق التشيع، فقالوا إن قبر الحسين أفضل من الكعبة البيت الحرام.. ووضعوا من الروايات ما يحتالون به لإثبات هذه المقالة، ونسبوها لبعض آل البيت زوراً وبهتاناً.. علها تجد طريقها لقلوب المغفلين، وعقول الجاهلين، ويميل إليها أهل الأهواء، والابتداع، وأصحاب الأحقاد المتوارثة، والثارات القديمة، ومن يبغي في الأمة الفرقة والشتات.

لقد اعتبر الشيعة كربلاء وغيرها من أماكن قبور أئمتهم المزعومة حرماً مقدساً فالكوفة حرم، وقم حرم، وغيرها، جاء في رواياتهم «إن الكوفة حرم الله وحرم رسوله ﷺ وحرم أمير المؤمنين وإن الصلاة فيها بألف صلاة والدرهم بألف درهم»[٢]. ويروون عن جعفرهم «إن لله حرما هو مكة، ولرسوله حرما وهو المدينة، ولأمير المؤمنين حرما وهو الكوفة، ولنا حرما وهو قم[٣]، ستدفن فيه امرأة من ولدي تسمى فاطمة من زارها وجبت له الجنة»[٤].

وقال علي بن الحسين- كما يفترون عليه-: «اتخذ الله أرض كربلاء حرماً

---

(١) سيأتي بعد أسطر سياق النص بتمامه وتخريجه من كتبهم.

(٢) الوافي/ باب فضل الكوفة ومساجدها، المجلد الثاني: ٢١٥/٨.

(٣) **قم**: بالضم والتشديد كلمة فارسية، وهي مدينة مقدسة عند الشيعة مشهورة في إيران، وأهلها كلهم شيعة إمامية (انظر: معجم البلدان: ٣٩٧/٤) ومن أسباب تقديسهم لقم وجود قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر (إمامهم السابع) فيها (انظر: عبد الرزاق الحسيني/ مشاهد العترة: ص١٦٢ وما بعدها.

(٤) بحار الأنوار: ٢٦٧/١٠٢.

آمناً مباركاً قبل أن يخلق الله أرض الكعبة، ويتخذها حرماً بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها فما زالت قبل خلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن فيه أولياءه في الجنة»[1].

وتقديسهم لأرض كربلاء لأنها ضمت جسد الحسين فاستمدت قداستها بوجوده فيها..

فهل كان الحسين مدفوناً فيها قبل خلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، أم هي معدة لاستقباله منذ غابر الأزمان؟! وإذا كان كل هذا الفضل بوجود جسد الحسين فلماذا لم تفضل المدينة وفيها جسد رسول الله؟! إن هذا تناقض في بنية المذهب.. وهو يكشف أنه ليس الهدف تقديس الحسين، ولكن الكيد للأمة ودينها.

وقد جاءت روايات كثيرة عندهم تفضل كربلاء على بيت الله.

فتتحدث بعض هذه الأساطير عن محاورة جرت بين كربلاء والكعبة يتبين منها أن هؤلاء الوضاعين لا عقل عندهم فضلاً عن الدين، قال جعفرهم: «إن أرض الكعبة قالت: من مثلي وقد بني بيت الله على ظهري يأتيني الناس من كل فج عميق وجعلت حرم الله وأمنه.

فأوحى الله إليها- كما يفترون- أن كفي وقرّي ما فضل ما فضّلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غرست في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من تضمنه أرض كربلاء ما خلقتك ولا خلقت البيت الذي به افتخرت فقري واستقري وكوني ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك وهويت بك في نار جهنم»[2].

---

(١) المصدر السابق: ١٠٧/١٠١.

(٢) كامل الزيارات: ص٢٧٠، بحار الأنوار: ١٠٩/١٠١.

ولكن الكعبة لم تأخذ بالنصيحة كما تقول روايات الشيعة!! فلم تتواضع لأرض كربلاء، وتصبح كالذنب الذليل المهين لها فحلت بها العقوبة، بل إن العقوبة–كما يقولون– وقعت على كل ماء وأرض ماعدا كربلاء، قالوا في رواياتهم:

«..فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لترك التواضع لله، حتى سلط الله على الكعبة المشركين، وأرسل إلى زمزم ماء مالحاً حتى أفسد طعمه..»[1].

أما كربلاء فقد نجت من العقوبة على الرغم أنها افتخرت وقالت: «أنا أرض الله المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي ولا فخر..»[2].

هذا جزء مما يدعونه حول كربلاء وجمعه كله وتحليله يستغرق مؤلفاً خاصاً، وهي كلمات لا يمكن أن تخضع للمناقشة بالعقل والمنطق فهي من جنس هذيان المحمومين وكلمات المجانين، ولو لم أجدها في كتبهم المعتمدة، وبروايات عديدة لما أثبتها.. وهذه الدعاوى والخاريق هي إساءة بالغة لأهل البيت الذين يزعمون محبتهم والتشيع لهم، ولكنهم كانوا عليهم أشد من أعدائهم، وهي فضيحة من فضائح دين الشيعة قد تنتهي بقارئها والمؤمن بها من مثقفي الشيعة وعقلائهم إلى دروب الإلحاد والضلال.

ولقد خاب واضع هذه الأساطير وفشل في تحقيق أهدافه فلم يتجه المسلمون إلى كربلاء، وظلت هذه الروايات لا تؤثر إلا بأولئك الذين أصمهم التعصب عن سماع الحق وأعمى قلوبهم، فهاموا في أودية من الضلال..

فما دام كتاب الله سبحانه بين المسلمين فلن يغتر بمثل هذه المؤامرات إلا من اتخذ كتاب الله مهجوراً، ولم ير الحق إلا فيما قاله الحجة والسيد والآية وما سارت عليه طائفته، وإن كان لا شاهد له من كتاب الله سبحانه.

والذي يروي هذه الأسطورة السالفة الذكر عن جعفر الصادق رجل يدعى

---

(١) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٢) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

صفوان الجمال وهو كما يزعم شيوخ الشيعة من رجال جعفر وهو ثقة عندهم[1]، فقد يكون هو الذي باء بإثم هذا الإفك، إذا لم يكن السند مصنوعاً، ولم أجد لهذا الرجل ذكراً في الكتب التي رجعت إليها من كتب الرجال عند أهل السنة.

□ زوار الحسين تأتيهم الملائكة ويناجيهم الله:

وصلت مبالغات الشيعة في الحديث عن فضائل زيارة قبر الحسين والأئمة الآخرين إلى درجة لا تتصور ولا يقبلها ذو عقل، قال جعفرهم: «من خرج من منزله يريد زيارة الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة.... إلى أن قال: «وإذا قضى مناسكه... أتاه ملك فقال له: أنا رسول الله ربك يقرئك السلام ويقول لك استأنف فقد غفر لك ما مضى»[2].

فالملائكة تقابل زوار القبر، وتبلغهم سلام الله وتوزع عليهم صكوك الغفران..

هذه دعاوى فوق الجنون بدرجات، وأعظم منها وأكبر جرأتهم على القول بأن الله يناجي زوار الحسين، قالت رواياتهم: «.. فإذا أتاه (يعني أتى الزائر قبر الحسين) ناجاه الله فقال عبدي سلني أعطك، ادعني أجبك»[3].

وهكذا يفترون الكذب على الله، وإنما يفتري الكذب على الله الذين لايؤمنون، ويزعمون وهم الذين سلكوا مسلك أهل التعطيل في كلام الله سبحانه، أن الله يناجي ويكلم زوار الحسين.. وهذه فرية خطيرة.. وبهتان عظيم.

ولم يكتفوا بذلك كعادتهم في الغلو والمبالغة، بل زعموا أن الله تعالى عما

---

(١) معجم رجال الحديث: ١٢١/٩.

(٢) الطوسي/ تهذيب التهذيب: ١٤/٢، ابن قولويه/ كامل الزيارات ص١٣٢، ثواب الأعمال: ص٥١، وسائل الشيعة ٣٤١/١٠-٤٢..

(٣) كامل الزيارات: ص١٣٢، وسائل الشيعة: ٣٤٢/١٠، وانظر ثواب الأعمال ص٥١.

يقوله الظالمون علواً كبيراً يزور قبور الأئمة مع الشيعة، ففي البحار للمجلسي «إن قبر أمير المؤمنين يزوره الله مع الملائكة ويزوره الأنبياء ويزوره المؤمنون»[1].

كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وتسطرها أقلامهم إن يقولون إلا كذباً.

☐ **مناسك المشاهد:**

زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم[2]، يكفر تاركها[3]. وقد عقد لذلك المجلسي باباً بعنوان: «باب أن زيارته[4] واجبة مفترضة مأمور بها، وما ورد من الذم والتأنيب والتوعد على تركها» وذكر فيه (٤٠) حديثاً من أحاديثهم[5].

ومن هنا وضعوا لها مناسك كمناسك الحج إلى بيت الله الحرام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد صنف شيخهم ابن النعمان المعروف عندهم بالمفيد كتاباً سماه «مناسك المشاهد» جعل قبور المخلوقين تحج كما تحج الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس، وهو أول بيت وضع للناس، فلا يطاف إلا به ولا يصلى إلا إليه ولم يأمر إلا بحجه»[6].

ولكن كشف لنا اليوم شيخهم أغا بزرك الطهراني في كتابه «الذريعة» أن ما صنفه شيوخهم في المزار ومناسكه قد بلغ ستين كتاباً[7]، كلها ألفت لإرساء

---

(١) بحار الأنوار: ٢٥٨/١٠٠.

(٢) انظر روايات ذلك في تهذيب الأحكام للطوسي: ١٤/٢، وفي كامل الزيارات لابن قولويه ص١٩٤، ووسائل الشيعة للحر العاملي: ٣٣٣/١٠-٣٣٧.

(٣) ففي الوسائل «عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عمن ترك الزيارة زيارة قبر الحسين عليه السلام من غير علة، فقال: هذا رجل من أهل النار. (وسائل الشيعة: ٣٣٦/١٠-٣٣٧، كامل الزيارات: ص١٩٣).

(٤) يعني: زيارة الحسين.

(٥) انظر: بحار الأنوار: ١/١٠١-١١.

(٦) منهاج السنة: ١٧٥/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٩٨/١٧.

(٧) انظر: الذريعة: ٣١٦/٢٠-٣٢٦.

قواعد هذا الشرك وتشييد بنائه، وهذا عدا ما اشتملت عليه كتب الأخبار المعتمدة عندهم من أبواب خاصة بالمشاهد- كما سيأتي- ومن هذه المناسك ما يلي:

أ- الطواف بها:

اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الطواف إلا بالبيت المعمور[1]... ولكن شيوخ الشيعة شرعوا لأتباعهم الطواف بأضرحة الموتى من الأئمة، ووضعوا من الروايات على آل البيت ما يسندون به هذا الشرك، فقال المجلسي بأنه ورد في بعض زيارات الأئمة «إلا أن نطوف حول مشاهدكم»، وفي بعض الروايات «قبّل جوانب القبر»، كما قال بأن الرضا كان- على حد زعمه- يطوف بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله[2] وأخذ من ذلك «شرعية» هذا «النسك الوثني» في مذهبهم ولم يلتفت إلى نصوص القرآن، الصريحة الواضحة في النهي عن الشرك والوعيد عليه بنار جهنم وبئس المصير، ولكن أشكل عليه روايات لهم تناقض- كالعادة- مذهبهم في المشاهد وهي مروية عن أئمتهم فرام التخلص منها بالتأويل.

فقد جاء في رواياتهم ما ينهى عن الطواف بالقبور كقول إمامهم: «لا تشرب وأنت قائم ولا تطف بقبر، ... فإن من فعل ذلك فلا يلومن إلا نفسه، ومن فعل شيئاً من ذلك لم يكن يفارقه إلا ما شاء الله[3]، وقد أجهد المجلسي نفسه في تأويل هذه الرواية فقال: «يحتمل أن يكون النهي عن الطواف بالعدد المخصوص الذى يطاف بالبيت»[4].

فأنت ترى أن المجلسي لم يحاول أن يسلك ما يتفق مع كتاب الله سبحانه وما عليه المسلمون، وما جاء عندهم أيضاً: «ولا تطف على قبر» فينصح لنفسه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٥٢١/٤.

(٢) بحار الأنوار: ١٢٦/١٠٠.

(٣) ابن بابويه/ علل الشرائع: ص٢٨٣، بحار الأنوار: ١٢٦/١٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ١٢٦/١٠٠.

وطائفته بالنهي عن هذه البدعة فيقر بذلك، ويؤول ما يخالفه، لأنه شذوذ وانحراف وباب من أبواب الشرك بالله لم يفعل ذلك بل تكلف في تأويل نصهم الذي يدل على المعنى الحق حتى قال: «يحتمل أن يكون المراد بالطواف المنفي هنا التغوط»[1].

فدين الشيعة هو دين المجلسي لا دين الأئمة وعمل الشيعة بما قاله شيوخهم لا ما قاله إمامهم.. فأعرضوا عن قول الإمام «ولا تطف بقبر»، كما أعرضوا من قبل عن قول الله ورسوله وإجماع المسلمين فضلوا وأضلوا قومهم سواء السبيل.

ب- الصلاة عند الضريح:

من مناسك المشاهد والأضرحة أداء ركعتين أو أكثر عند قبور الأئمة، وربما يتخذونها قبلة- كما سيأتي- وكل ركعة تؤدى عند القبور تفضل على الحج إلى بيت الله الحرام مئات المرات، جاء في أخبارهم: «الصلاة في حرم الحسين لك بكل ركعة تركعها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف ألف مرة مع نبي مرسل»[2].

وليس هذا خاصاً بقبر الحسين بل كل قبور أئمتهم كذلك، ففي البحار: «من زار الرضا[3] أو واحداً من الأئمة فصلى عنده.. فإنه يكتب له (ثم ذكر ما جاء في النص السابق وزاد) وله بكل خطوة مائة حجة، ومائة عمرة، وعتق مائة رقبة في سبيل الله، وكتب له مائة حسنة، وحط عنه مائة سيئة[4].

انظر كيف يفضلون الصلاة عند القبور على الحج إلى بيت الله الحرام،

---

(١) المصدر السابق: ١٠٠/١٢٧.

(٢) الوافي/ المجلد الثاني: ٨/٢٣٤.

(٣) يعد مرقد علي الرضا أهم الأماكن المقدسة في إيران، ومن أضخم الأماكن المقدسة لدى الشيعة، وعليه قبة ضخمة مكسوة بالذهب (عبد الله فياض/ مشاهداتي في إيران ص١٠٢) لأن الأضرحة والاهتمام بها وتقديم أنواع من العبادات لها من أصول دينهم.

(٤) بحار الأنوار: ١٠٠/١٣٧-١٣٨.

فيقدمون الشرك على التوحيد.

وقديماً كان المشركون يقولون بأن دينهم أفضل من دين الله، وأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً.

واتخاذ القبور مساجد ملعون فاعلها على لسان رسول الهدى ﷺ، حيث قال: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»(١).

وفي الصحيحين أيضاً أنه ذكر له في مرض موته كنيسة بأرض الحبشة، وذكر له من حسنها وتصاوير فيها فقال: «**إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك التصاوير، أولئك شرار الخلق عند الله**»(٢).

وقد ثبت أيضاً النهي عن اتخاذ القبور مساجد في كتب الاثنى عشرية نفسها، ولكن شيوخهم يؤولونه- كما سيأتي-.

جـ- الانكباب على القبر:

من مناسك المشاهد عندهم الانكباب على القبر، ووضع الخد عليه، وتقبيل

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، في باب ٥٥:١/٥٣٢ (البخاري مع فتح الباري)، وفي الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور: ٣/٢٠٠، وباب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر: ٣/٢٥٥، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٦/٢٩٤، وفي المغازي، في باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ٨/١٤٠، وفي اللباس في باب الأكسية والخمائل: ١٠/٢٧٧.
والحديث بهذا المعنى في مسلم، كتاب المساجد ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ٣٧٦-٣٧٧، وأحمد: ١/٢١٨، ٦/٨٠، ٨٤، ١٢١، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٧٥، والدارمي، كتاب الصلاة باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد: ١/٣٢٦ وغيرها.

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد: ١/٥٢٣ (البخاري مع فتح الباري)، وباب الصلاة في البيعة: ١/٥٣١، وفي الجنائز في باب بناء المسجد على القبر: ٣/٢٠٨، ومسلم، كتاب المساجد: باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ١/٣٧٥-٣٧٦. وأبو عوانة في مسنده: ١/٤٠٠-٤٠١، وأحمد: ٦/٥١، والبيهقي: ٤/٨٠.

الأعتاب. ومناجاة صاحب القبر حتى ينقطع النفس كما يقولون. قال المجلسي «باب ما يستحب فعله عند قبره عليه السلام..»[1] ثم ذكر أن شيخ طائفتهم الطوسي قال في وصفه لأعمال زيارة يوم الجمعة: «... ثمّ تنكب على القبر وتقول: مولاي إمامي مظلوم استعدى على ظالمه النصر النصر حتى ينقطع النفس»[2].

وفي أكثر زياراتهم يؤكدون في أثنائها وخاتمتها على الانكباب على القبر، ودعائه، فهذه زيارة للحسين أوصى بها جعفر الصادق- كما يزعمون- وأمر قبل بدء هذه الزيارة بصيام ثلاثة أيام ثم الاغتسال، ولبس ثوبين طاهرين ثم صلاة ركعتين، ثم قال: «فإذا أتيت الباب فقف خارج القبة، وأوم بطرفك نحو القبر وقل: يا مولاي يا أبا عبد الله يا ابن رسول الله عبدك وابن عبدك وابن أمتك، الذليل بين يديك، المقصر في علو قدرك، المعترف بحقك جاءك مستجيراً بذمتك قاصداً إلى حرمك متوجهاً إلى مقامك- إلى أن قال- ثم انكب على القبر وقل: يا مولاي أتيتك خائفاً فآمني، وأتيتك مستجيراً فأجرني.. ثم انكب على القبر ثانية[3].. إلى آخر الزيارة التي يدعو فيها مخلوقاً من دون الله سبحانه، ويتضرع إليه وكأنه يتضرع أمام الله، فماذا يكون الشرك إذا لم يكن هذا شركاً.. ومثل ذلك قال مفيدهم: «فإذا أردت الخروج فانكب على القبر وقبله-إلى أن قال- ثم ارجع إلى مشهد الحسين وقل السلام عليك يا أبا عبد الله أنت لي جُنَّة من العذاب[4].

وهكذا أصبح في دينهم الشرك بالله من المستحبات فهو سجود على القبر أو لصاحب القبر يسمونه «الانكباب» ودعاء للميت الذي لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وكأنهم يدعون خالق السموات والأرض القادر على كل شيء ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ

(١) بحار الأنوار: ٢٨٥/١٠١.
(٢) نفس الموضع من المصدر السابق، مصباح المتهجد للطوسي: ص١٩٥.
(٣) بحار الأنوار: ٢٥٧/١٠١-٢٦١ عن المزار الكبير لمحمد المشهدي: ص١٤٣-١٤٤.
(٤) بحار الأنوار: ٢٥٧/٢٠١-٢٦١ عن المزار الكبير ص١٥٤.

غَٰفِلُونَ ﴾[1]، وهم يعدون هذا من أفضل القربات، ويوهمون الأتباع بأن هذا الشرك «يوجب غفران الذنوب ودخول الجنة، والعتق من النار، وحط السيئات، ورفع الدرجات وإجابة الدعوات»[2] و«توجب طول العمر وحفظ النفس والمال وزيادة الرزق وتنفس الكرب وقضاء الحوائج»[3] و«تعدل الحج والعمرة والجهاد والإعتاق»[4] إلى آخر الفضائل الموهومة.. فشرعوا من الدين من لم يأذن به الله.

ولهم تعلق بكل عمل يتصل بالشرك بالله من قريب أو بعيد، حتى وإن لم يوجد نص يعتمدون عليه من كتبهم المليئة بما يغني في باب الشرك وأسبابه، يقول المجلسي- مثلاً-: «وأما تقبيل الأعتاب فلم نقف على نص يعتد به ولكن عليه الإمامية»[5] أي أنهم يتعبدون بذلك مجاراة لأسلافهم وتقليداً لهم، فكأن الشرك وأعماله المنتشرة في أمهات كتبهم لم تملأ ما فى نفوسهم، فتعلقوا بما عليه من سبقهم كحال المشركين الذين قالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[6].

وكل إمام ينسب له من المبادىء الشركية الجديدة حتى «المنتظر» الذي لم يولد له قوانين جديدة في هذا الباب منها استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة- كما سيأتي- ومنها في مسألتنا هذه وضع الخد على القبر، فقد خرجت الرواية فيها- كما يقولون- من الناحية المقدسة، أي من قبل المهدي المنتظر المزعوم بواسطة سفرائه الكذبة حيث قال مهديهم: «... والذي عليه العمل أن يضع خده الأيمن على القبر»[7].

---

(١) الأحقاف، آية: ٥.

(٢) هذا من عناوين بحار الأنوار، وقد ضم ٣٧ رواية في هذا المعنى: ١٠١/٢١-٢٨.

(٣) هذا أحد عناوين بحار الأنوار أيضاً وفيه (١٧) رواية: ١٠١/٤٥-٤٨.

(٤) وهذا من عناوين صاحب البحار وقد ضمنه (٨٤) رواية: ١٠١/٢٨-٤٤.

(٥) بحار الأنوار: ١٠٠/١٣٦، عمدة الزائر ص٢٩.

(٦) الزخرف، آية: ٢٣.

(٧) عمدة الزائر: ص٣١.

ولهذا قرر شيوخهم أن من آداب زيارة هذه الأضرحة «وضع الخد الأيمن عند الفراغ من الزيارة والدعاء»[1]. وقالوا: «لا كراهة في تقبيل الضرايح؛ بل هو سنة عندنا ولو كان هناك تقية فتركه أولى»[2].

هذه مبادىء جديدة ابتدعها شيوخ السوء من الرافضة «وقد اتفق المسلمون على أنه لا يشرع الاستلام والتقبيل إلا للركنين اليمانيين فالحجر الأسود يستلم ويقبل، واليماني يستلم، وقد قيل إنه يقبل وهو ضعيف، وأما غير ذلك فلا يشرع استلامه ولا تقبيله كجوانب البيت.. والصخرة والحجرة النبوية وسائر قبور الأنبياء والصالحين»[3].

والهدف من هذه المبادىء الصد عن دين الله سبحانه، والدعوة إلى الشرك بالله وتهيئة أسبابه، وقد وضعت أدعية تقال أثناء هذه الأعمال فيها من الشرك بالله سبحانه، وتأليه الأئمة ما يستقل عنده فعل المشركين.

د- اتخاذ القبر قبلة كبيت الله:

قال شيخ الشيعة المجلسي: «إن استقبال القبر أمر لازم، وإن لم يكن موافقاً للقبلة... واستقبال القبر للزائر بمنزلة استقبال القبلة وهو وجه الله أي جهته التي أمر الناس باستقبالها في تلك الحالة»[4].

وحينما وجد المجلسي في روايات قومه نصين متعارضين- كالعادة-

الأول: عن أبي جعفر محمد الباقر يقول: «إن رسول الله ﷺ.. قال: لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً، فإن الله عز وجل لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[5].

(١) بحار الأنوار: ١٣٤/١٠٠، عمدة الزائر ص٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٠/ ١٣٦.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٥٢١/٤.

(٤) بحار الأنوار: ٣٦٩/١٠١.

(٥) ابن بابويه/ علل الشرائع ص٣٥٨، بحار الأنوار: ١٢٨/١٠٠.

والثاني: من مهديهم المنتظر (الذي لا وجود له كما يقول أهل العلم) ونصه «كتب الحميرى[1] إلى الناحية المقدسة[2] يسأل عن الرجل يزور قبور الأئمة عليهم السلام... هل يجوز لمن صلى عند بعض قبورهم عليهم السلام أن يقوم وراء القبر ويجعل القبر قبلة أم يقوم عند رأسه أو رجليه؟ وهل يجوز أن يتقدم القبر ويصلي ويجعل القبر خلفه أم لا؟ فأجاب (المهدي المزعوم): ... أما الصلاة فإنها خلفه ويجعل القبر أمامه، ولا يجوز أن يصلي بين يديه ولا عن يمينه ولا عن يساره؛ لأن الإمام صلى الله عليه لا يتقدم عليه ولا يساوى»[3].

حينما وجد المجلسي هذين النصين رجح لقومه العمل بالنص الثاني فقال: «يمكن حمل الخبر السابق على التقيّة أو على أنه لا يجوز أن يجعل قبورهم بمنزلة الكعبة يتوجه إليها من كل جانب»[4]. ومن الأصحاب من حمل الخبر الأول على الصلاة جماعة، والخبر الثاني على الصلاة فرادى، وسيأتي الأخبار المؤيدة للخبر الثاني (يعني في اتخاذ القبر قبلة) في أبواب الزيارات[5].

انظر كيف يؤيد شيوخهم الشرك بالله سبحانه، ويردون الحق ولو جاء في كتبهم، فيرجح المجلسي ما جاء عن المنتظر الذي لا حقيقة له، ويرد ما روي عن أبي جعفر عن رسول الهدى ﷺ والموافق للكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وقد توقف المجلسي أيضاً عند قول إمامه وهو يبين طريقة زيارة القبر من البعيد عنه قال: «اغتسل يوم الجمعة أو أي يوم شئت، والبس أطهر ثيابك واصعد

(١) عبد الله بن جعفر بن مالك الحميري، أحد الكذابين الذين يزعمون مكاتبة المنتظر الذي لم يوجد ولكنه عندهم من الثقات.
(انظر: الفهرست للطوسي ص١٣٢، رجال الحلي ص١٠٦).

(٢) **الناحية المقدسة** رمز عندهم على مهديهم المنتظر.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ٣١٢/٢ ط: النجف، بحار الأنوار: ١٢٨/١٠٠.

(٤) أي أنها قبلة– في مذهبهم– من جهة واحدة، وليست كالكعبة قبلة من كل الجهات، وليس ذلك لأفضلية الكعبة عندهم، ولكن خشية التقدم على الضريح كما يشير إليه «التوقيع».

(٥) بحار الأنوار: ١٢٨/١٠٠.

إلى أعلى موضع في دارك أو الصحراء فاستقبل القبلة بوجهك بعد ما تبين أن القبر هنالك». توقف المجلسي عند هذا النص، لأن استقبال القبر في دينه أمر لازم فقال: «قوله فاستقبل القبلة بوجهك لعله عليه السلام إنما قال ذلك لمن أمكنه استقبال القبر والقبلة معا... ويحتمل أن يكون المراد بالقبلة هنا جهة القبر مجازاً.. ولا يبعد أن تكون القبلة تصحيف القبر»[1].

كل هذه التكلفات والتأولات لأنه يقول بأن طائفته «حكموا باستقبال القبر مطلقاً (أي في كل أنواع الزيارات)، وهو الموافق للأخبار الأخر في زيارة البعيد»[2].

وقال: إنه مع بعد الزائر عن القبر يستحسن استقبال القبر في الصلاة واستدبار الكعبة[3]، وذلك عند أداء ركعتي الزيارة التي قالوا فيها: «إن ركعتي الزيارة لابد منهما عند كل قبر»[4]. وهذا ليس بغريب من قوم زعموا أن كربلاء أفضل من الكعبة..

فماذا نسمي هذا الدين الذي يأمر أتباعه باستدبار الكعبة واستقبال قبور الأئمة؟ وماذا نسمي هؤلاء الشيوخ الذين يدعون لهذا الدين؟

فليسم بأي اسم إلا الإسلام دين التوحيد الذي نهى رسوله عليه الصلاة والسلام عن الصلاة في المقابر فكيف باتخاذ القبور قبلة.

ومن العجب أن هذا النهي من اتخاذ القبور مسجداً وقبلة ورد في كتب الشيعة نفسها، كما جاء في الوسائل للحر العاملي[5] وغيره، كما ورد أيضا بطلان

---

(١) بحار الأنوار: ١٠١/٣٦٩.
(٢) المصدر السابق: ١٠١/٣٦٩-٣٧٠.
(٣) المصدر السابق: ١٠٠/١٣٥.
(٤) المصدر السابق: ١٠٠/١٣٤.
(٥) روت كتب الشيعة أن عليَّ بن الحسين قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «لا تتخذوا قبري قبلة ولا مسجداً فإن الله عز وجل لعن اليهود حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (من لا يحضره الفقيه ١/٥٧، وسائل الشيعة: ٣/٤٥٥) ولكن هؤلاء دينهم دين شيوخهم الذين وضعوا مبدأ خالفوا العامة (يعني أهل السنة) فأضلوا قومهم سواء السبيل.

الصلاة إلى غير القبلة[1]..

والتناقض في هذا المذهب من أعجب العجب.

هذا بعض ما جاء في مصادرهم المعتمدة حول المشاهد، وهو قليل من كثير، حيث إن لهم عناية ظاهرة، واهتماماً واسعاً بأمر المشاهد ومناسكها كاهتمامهم بمسألة الإمامة، وقد خصصت مصادرهم المعتمدة له قسماً خاصاً مما لا تجده في كتب المسلمين الموحدين.

ففي بحار الأنوار للمجلسي، كتاب مستقل سماه «كتاب المزار» يتضمن أبواباً كثيرة، اشتملت على مئات الروايات، وقد استغرق ذلك حوالي ثلاثة مجلدات[2] من طبعة البحار الأخيرة.

وكذلك في وسائل الشيعة للحر العاملي ذكر (١٠٦) أبواب بعنوان: (ابواب المزار)[3].

وفي الوافي للكاشاني الجامع لأصولهم الأربعة عقد ثلاثاً وثلاثين باباً بعنوان (أبواب المزارات والمشاهد)[4].

وفي كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه (أحد مصادرهم المعتمدة) أبواب عدة حول المشاهد وتعظيمها كباب تربة الحسين وحريم قبره، وأبواب زيارة الأئمة وفضلها[5].

وفي تهذيب الأحكام للطوسي مجموعة كبيرة من الأبواب تتضمن تعظيم

---

(١) وقد ذكر صاحب الوسائل في هذا المعنى خمس روايات (انظر: وسائل الشيعة: ٢٢٧/٣) وانظر في بطلان الصلاة إلى غير القبلة عندهم: من لا يحضره الفقيه: ٧٩/١، ١٢٢، وتهذيب الأحكام: ١٤٦/١، ١٧٨، ١٩٢، ٢١٨، وفروع الكافي: ٨٣/١.

(٢) هي المجلدات: ١٠٠، ١٠١، ١٠٢.

(٣) انظرها في: ٢٥١/١٠ وما بعدها.

(٤) انظرها في المجلد الثاني: ١٩٣/٨ وما بعدها.

(٥) انظر: من لا يحضره الفقيه: ٣٣٨/٢ وما بعدها.

المشاهد والقبور، ومناجاة الأئمة بأدعية تتضمن تأليههم[1].

وفي مستدرك الوسائل ستة وثمانون باباً حوت ٢٧٦ رواية في الزيارات والمشاهد[2].

هذا عدا ما اشتملت عليه كتبهم الأخرى التي هي في منزلة المصادر الثمانية عندهم كثواب الأعمال لابن بابويه وغيره.

وهذا غير ما ألف في المزارات من كتب خاصة به في الماضي والحاضر مثل: كامل الزيارات لابن قولويه، ومفاتيح الجنان لعباس القمي، وعمدة الزائر لحيدر الحسيني، وضياء الصالحين للجوهري وغيرها.

وكلها تتحدث عن الفضائل المزعومة لمن شد الرحل لزيارة أضرحة الأئمة وطاف بها، ودعا في رحابها، واستغاث بمن فيها، وتذكر مئات الأدعية التي فيها من الغلو في الأئمة ما يصل بهم إلى مقام الخالق جل شأنه، وفيها من الشرك بالله ما الله به عليم.

وكان لاهتمامهم بهذا المعول الهادم لأصل التوحيد أثره في ديار الشيعة، حيث عمرت بيوت الشرك التي يسمونها المشاهد، وعطلت بيوت التوحيد وهي المساجد وبقي هذا الاهتمام إلى اليوم كما سيأتي- إن شاء الله-[3].

* * *

(١) انظر: تهذيب الأحكام: ٣/٦ وما بعدها.

(٢) انظر: النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل: ٢/١٨٩-٢٣٤.

(٣) . انظر: الفصل الثالث من الباب الرابع. ص (١٠٧١) وما بعدها.

□ **الجانب النقدي (لمسألة المشاهد عند الشيعة):**

إن للمسلمين كعبة واحدة يتجهون إليها في صلاتهم ودعائهم، ويحجون إليها، ويطوفون بها، أما الشيعة فلهم مزارات ومشاهد وكعبات عبارة عن أضرحة الموتى من الأئمة[1] وغيرهم[2]، وهي قبور تنافس بيت الله بل تفضل عليه، ويقام فيها الشرك ويهدم التوحيد.

وقد يقال إن الشرك والمشاهد منتشرة في كثير من بلاد السنة. وقد أثار شيخ الإسلام ابن تيمية هذا السؤال في أثناء حديثه عن غلو الشيعة في أئمتها وما عندها من الشرك والبدعة حيث قال: فإن قيل ما وصفت به الرافضة من الغلو والشرك والبدع موجود كثير منه في كثير من المنتسبين إلى السنة...، وأجاب رحمه الله عن ذلك: بأن هذا كله مما نهى الله عنه ورسوله، وكل ما نهى الله عنه ورسوله فهو مذموم منهي عنه سواء كان فاعله منتسباً إلى السنة أو التشيع، ولكن ما عند الرافضة من هذه الأمور المخالفة للكتاب والسنة أكثر مما عند أهل السنة[3].

---

(١) وكثير من هذه القبور (المنسوبة للأئمة) لم يدفن فيها من ينسبونها إليهم: فلا مكان قبر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في النجف هو مكان قبره حقيقة، ولا مكان الحسين في كربلاء وغيرها هو مكان دفنه حقيقة. وهذه حقائق يعرفها التاريخ ويقررها وإن كابروا فيها (محب الدين الخطيب/ المنتقى الهامش ص١٥٨).

وانظر للتفصيل (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤٤٦/٢٧ وما بعدها) قال شيخ الإسلام: «وأصل ذلك أن عامة أمر هذه القبور والمشاهد مضطرب مختلق لا يكاد يوقف منه على العلم إلا في قليل منها بعد بحث شديد، وهذا لأن معرفتها وبناء المساجد عليها ليس من شريعة الإسلام (المصدر السابق ٤٤٧/٢٧).

(٢) غلو الرافضة بالمشاهد تجاوز مشاهد أئمتهم إلى آخرين. انظر – مثلاً –: باب فضل زيارة عبد العظيم الحسني من بحار الأنوار: ٢٦٨/١٠٢، وقد جاء فيه أن الحسن العسكري قال: بأن من زار قبر عبد العظيم كان كمن زار قبر الحسين (انظر: الموضع نفسه من المصدر السابق، وثواب الأعمال ص٨٩ وكامل الزيارات ص٣٢٤، وكذلك عقد المجلسي باباً في زيارة فاطمة بنت موسى بقم (انظر: بحار الأنوار: ٢٦٥/١٠٢).

(٣) انظر: منهاج السنة: ١٧٧/١-١٧٨.

وأضيف أيضاً أن الفرق بين الشيعة وأهل السنة في ذلك أن ما عند أهل السنة هو انحراف في واقعهم تنكره أصولهم، وما عند الشيعة هو ما يتفق مع أصولهم بل هو ما تدعو إليه وتحث عليه أحاديثهم ورواياتهم- كما رأينا- فهو معروف في أصول الشيعة منكر في أصول أهل السنة.

ونتيجة هذا الفرق أن ما عند أهل السنة قابل للإصلاح وما عند الشيعة غير قابل حتى تغير أصولهم أولاً، وهذه النتيجة ليست نظرية أو خيالية بل ظهرت بشكل واقعي في تأثير حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي في محاربة الشرك، واستعصاء الشيعة على هذا الإصلاح.

وقد شهد بهذه الحقيقة شاهد من أهلها:

يقول العالم الإيراني- الشيعي الأصل- أحمد الكسروي[(١)]: «ومما يرى من لجاج الشيعة أنه قد انقضى منذ ظهور الوهابيين أكثر من مائة وخمسين عاماً، وجرت في تلك المدة مباحثات ومجادلات كثيرة بينهم وبين الطوائف الأخرى من المسلمين، وانتشرت رسالات وطبعت كتب، وظهر جلياً أن ليست زيارة القبب، والتوسل بالموتى، ونذر النذور للقبور وأمثالها إلا الشرك، ولا فرق بين هذه وبين عبادة الأوثان التي كانت جارية بين المشركين من العرب فقام الإسلام يجادلها ويبغي قلع جذورها، يبين ذلك آيات كثيرة من القرآن، فأثرت الوهابية في سائر طوائف المسلمين غير الروافض أو الشيعة الإمامية، فإن هؤلاء لم يكترثوا بما كان، ولم يعتنوا بالكتب المنتشرة والدلائل المذكورة أدنى اعتناء، ولم يكن نصيب الوهابيين منهم إلا اللعن والسب كالآخرين»[(٢)].

إن الشرك قد ألبس في مصادر الشيعة المعتمدة ثوب الحق، وأصبح هو الدين وهذا هو الخطر الأكبر، والداء الأعظم. لقد عقدت أمهات كتبهم «أبواباً»

---

(١) انظر الحديث عنه في «فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص: ٥٥٥ وما بعدها.

(٢) الكسروي/ الشيعة ص٨٩.

كثيرة ضمنتها مئات من الروايات تجسد الشرك وترسي قواعده وألفت في هذا كتباً مستقلة جمعت من الشر في هذا السبيل فأوعت- كما مر-.

لقد غلت الرافضة بالأئمة وقبورهم، وصنعوا صنيع النصارى في غلوهم في المسيح.. فترك هؤلاء الروافض عبادة الله وحده لاشريك له فتراهم يعطلون المساجد التي أمر الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه.. ويعظمون المشاهد المبنية على القبور فيعكفون عليها مشابهة للمشركين ويحجون إليها كما يحج الحاج إلى البيت العتيق بل السفر إليها والطواف بها والصلاة عندها وتقديم القرابين في رحابها والانكباب على الضريح والاستغاثة به، وطلب الشفاء منه، أو التوسل به وطلب شفاعته هي عندهم من أفضل القربات وأعظم الطاعات- كما مضى ذكر بعض شواهده- ومن أضل ممن يفضل الشرك على التوحيد، ويعمر المشاهد ويعطل المساجد، و«يعتاض عن أرض مكة والحرم وعرفة ومنى بأرض كربلاء»[1]، ويستبدل الباطل بالحق ويرى أنه أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؟

وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأمر مما ذكروه من أمر المشاهد ولا شرع لأمته مناسك عند قبور الأنبياء والصالحين، بل هذا من دين المشركين[2] الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[3].

قال ابن عباس وغيره: هؤلاء.. أسماء رجال صالحين من قوم نوح. فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت[4].

---

(١) الجرجاني/ المعارضة في الرد على الرافضة الورقة (٧١).

(٢) منهاج السنة: ١/١٧٥. (٣) نوح، آية: ٢٣.

(٤) أخرجه البخاري في تفسير سورة نوح (البخاري مع الفتح: ٨/٦٦٧).
قال الألباني: «وهو موقوف على ابن عباس في حكم المرفوع» (شرح العقيدة الطحاوية ص٨٠- الهامش-).

وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- لأبي الهياج الأسدي «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالا إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»[1].

وهذا المعنى أقرت به بعض روايات الشيعة، فقد روى الكليني عن أبي عبد الله قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة فقال لا تدع صورة إلا محوتها ولا قبراً إلا سويته[2]. وفي رواية أخرى «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله في هدم القبور وكسر الصور»[3].

وعن أبي عبد الله قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يصلى على قبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه[4]. وعن أبي عبد الله قال: لا تبنوا على القبور.. فإن رسول الله ﷺ كره ذلك[5]، وعنه أيضاً عن آبائه عن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص المقابر[6]. وقد زعم الحر العاملي أن هذا النهي يشمل كل قبر «غير قبر النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام» وأن هذا النهي لمجرد الكراهة[7].

وصيغة العموم واضحة في هذه الروايات كما أن دلالة التحريم بينة ولا دليل

---

(١) أخرجه مسلم في الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر (٩٦٩): ٦٦٦/١، وأبو داود: ٥٤٨/٣ (٣٢١٨)، والترمذي: ٣٦٦/٣ (١٠٤٩)، والنسائي ٨٨/٤، ٨٩، وأحمد ٩٦/١، ١٢٩ ومواضع أخرى، وأبو داود الطيالسي ١٦٨/١، والحاكم: ٣٦٩/١، والبيهقي في سننه: ٣/٤.

(٢) فروع الكافي: ٢٢٧/٢، وسائل الشيعة: ٨٦٩/٢.

(٣) فروع الكافي: ٢٢٦/٢، وسائل الشيعة: ٨٧٠/٢.

(٤) الطوسي/ تهذيب الأحكام: ١٣٠/١، وسائل الشيعة: ٨٦٩/٢.

(٥) تهذيب الأحكام: ١٣٠/١، البرقي/ المحاسن: ص٦١٢، وسائل الشيعة: ٨٧٠/٢.

(٦) ابن بابويه/ من لا يحضره الفقيه: ١٩٤/٢، أمالي الصدوق ص٢٥٣، وسائل الشيعة: ٨٧٠/٢.

(٧) كما هو صريح الباب الذي عقده لهذه الأحاديث وهو «باب كراهة البناء على القبر في غير قبر النبي والأئمة..» (وسائل الشيعة ٨٦٩/٢) والغريب أنه لم يذكر ما يدل على هذا العنوان إذ كل أحاديث الباب السبعة تناقض ماذهب إليه.

عند العاملي سوى ما شذت به طائفته في واقعها وفي جملة من رواياتها، والشذوذ دليل على البطلان لمخالفته لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة بما فيهم أهل البيت الذين أثر عنهم التحذير من ذلك، لأن ذلك وسيلة للشرك بالله، ثم إن الحكمة التي ورد من أجلها النهي لا تفرق بين قبر وقبر وقد يكون الخطر في قبور الأئمة أشد لعظيم الافتتان بهم، ولهذا كان أصل الشرك هو الغلو في الصالحين[1]..

وتناقض كتب الشيعة نفسها حينما تنقل أدعية الأئمة، ومناجاتهم لله سبحانه، وتضرعهم بالاستكانة إليه، وإخلاص الدعاء له وحده، وإظهار الضعف والافتقار إليه سبحانه، مما يكشف باطل الشيعة، ويبين أن ما تفعله في مزاراتها، وتدعو إليه في رواياتها ليس من هدي الأئمة، فهذا جعفر الصادق كان من دعائه كما تعترف كتب الشيعة:

«اللهم إني أصبحت لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتاً ولا نشوراً، قد ذل مصرعي، واستكان مضجعي، وظهرْ ضري، وانقطع عذري، وقل ناصري، وأسلمني أهلي ووالدي وولدي بعد قيام حجتك عليّ، وظهور براهينك عندي، ووضوح أدلتكْ لي.

اللهم وقد.. أعيت الحيل، وتغلقت الطرق، وضاقت المذاهب، ودرست الآمال إلا منك، وانقطع الرجاء إلا من جهتك..»[2].

هذا ما يجأر به جعفر ويلجأ به إلى الله فهو لا يملك شيئاً من النفع، أو الضر لنفسه فكيف لغيره، وإذا كان ذلك في حياته فهو بعد موته أعجز.

---

(١) انظر: كتاب التوحيد (مع شرحه تيسير العزيز الحميد) باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين ص٣٠٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣١٨/٨٦، مهج الدعوات ص٢١٦.

وكثير من الأئمة نقل عنهم أمثال هذه الدعوات[1].

كما تنقل كتب الشيعة أن أمير المؤمنين علياً صور حالته في القبر في مناجاته لربه فقال: «إلهي كأني بنفسي قد أضجعت في حفرتها، وانصرف عنها المشيعون من جيرتها.. ولم يخف على الناظرين ضرّ فاقتها.. قد توسدت الثرى وعجز حيلتها..»[2]. فليس له حيلة في نفسه إلا برحمة من الله وفضل، فكيف يطلب منه في قبره الشفاعة والغفران وينسى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم.

والحسين لم يستطع أن يدفع عن نفسه القتل فكيف يطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله.

وقد نقلت كتب الشيعة أن النبي- ﷺ- كان يعوذه هو والحسن بهذه العوذة وهو هذا الدعاء: بسم الله الرحمن الرحيم: أعيذ نفسي وديني وأهلي ومالي وولدي وخواتيم عملي، وما رزقني ربي وخولني بعزة ربي وعظمة الله...إلخ[3] فهو أضعف من أن يقي نفسه شر ما يصيبها إلا بحفظ الله، فإذا كان ذلك في حياته فهو بعد موته أعجز، والله سبحانه لم يجعل بينه وبين خلقه واسطة إلا الرسل للإبلاغ والبيان.

* * *

(١) انظر- مثلاً- باب الأدعية والأذكار من البحار: ٨٦/٢٤٠ وما بعدها، وانظر أيضاً: باب أدعية المناجاة في الجزء ٩٤ ص٨٩ وما بعدها.

(٢) بحار الأنوار: ٩٤/٩٣-٩٤.

(٣) بحار الأنوار: ٩٤/٢٦٤، مهج الدعوات: ص١٣.

□ المبحث الرابع □

قولهم إن الإمام يحرم ما يشاء ويحل ما يشاء

من أصول التوحيد الإيمان بأن الله سبحانه هو المشرّع وحده سبحانه، يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء لا شريك له في ذلك، ورسل الله يبلغون شرع الله لعباده، ومن ادعى أن له إماماً يحل ما يشاء ويحرم ما يشاء فهو داخل في قوله سبحانه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1] فأشرك مع الله غيره.

والشيعة تزعم في رواياتها أن الله سبحانه وتعالى «خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورهم إليها، فهم يحلون ما يشاءون ويحرمون ما يشاءون»[2].

وقد بين شيخهم المجلسي بعض فقرات هذا النص فقال: «وأجرى طاعتهم عليها، أي أوجب وألزم على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات من السماويات والأرضيات كشق القمر وإقبال الشجر وتسبيح الحصى وأمثالها مما لا يحصى، وفوض أمورها إليهم من التحليل والتحريم والعطاء والمنع..»[3]. ثم بين أن ظاهر هذا النص يدل على تفويض الأحكام «أحكام التحليل والتحريم إليهم».

وجاءت الرواية عندهم صريحة بهذا فيما ذكره المفيد في الاختصاص، والمجلسي في البحار وغيرهما عن أبي جعفر قال: «من أحللنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين[4] فهو حلال لأن الأئمة منا مفوض إليهم، فما أحلوا فهو حلال،

(١) الشورى، آية: ٢١.

(٢) أصول الكافي: ١/٤٤١، بحار الأنوار: ٢٥/٣٤٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٥/٣٤١-٣٤٢.

(٤) الظالمون في معتقدهم هم خلفاء الدولة الإسلامية، ما عدا أمير المؤمنين علياً وابنه الحسن رضي الله عنهما: لأن بقية أئمتهم لم يتولوا الخلافة ولا يوماً واحداً، وكل خليفة من غيرهم هو ظالم وغاصب لحق الأئمة على حد زعمهم.

وما حرموا فهو حرام[1].

هكذا يصرحون بأن للأئمة حق التشريع والتحليل والتحريم فما أحلوه من بيت مال المسلمين فهو حلال، وما حرموه فهو حرام... فجعل هؤلاء من أئمتهم أرباباً من دون الله، لأن جعلهم جهة تحريم وتحليل وتشريع هو شرك في توحيد الربوبية، لأن الحاكمية والتشريع لله، كما أن طاعتهم في تشريعهم المخالف لشريعة رب العالمين، والتي قد تنسخ أو تقيد أو تخصص ما جاء به خاتم النبيين[2] هو عبودية لهم من دون الله.. وحق التشريع لا يملكها إلا رب العباد، والرسل عليهم الصلاة والسلام إنما هم مبلغون عن الله سبحانه لا يحرمون ولا يحلون إلا ما يأمرهم الله به، ويوحيه إليهم.

وقد قال الله جل شأنه فيمن اتبع مشايخه فيما يحلون ويحرمون من دون شرع الله وحكمه قال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[3] فجعل سبحانه اتباعهم فيما يحلون من الحرام، ويحرمون من الحلال-كما جاء في تفسير الآية[4]- عبادة لهم، حيث «تلقوا الحلال والحرام من جهتهم وهو أمر لا يتلقى إلا من جهة الله عز وجل»[5].

وقد شابه اعتقاد الشيعة في أئمتهم ومشايخهم اعتقاد النصارى في رؤسائهم فالجميع اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله سبحانه.

---

(١) الاختصاص: ص٣٣٠، بحار الأنوار: ٣٣٤/٢٥، وانظر: بصائر الدرجات: ص١١٣.

(٢) انظر: ما سلف حول هذا الموضوع ص: ١٤٤ وما بعدها.

(٣) التوبة، آية: ٣١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٣/١٠-١١٤، تفسير ابن كثير: ٣٧٣/٢-٣٧٤. وقد جاء في أصول الكافي ما يقر بهذا في تأويل الآية، حيث قال أبو عبد الله: «أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم ما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً، وحرموا عليهم حلالاً من حيث لا يشعرون (أصول الكافي: ٥٣/١، ومثله في: مجمع البيان للطبرسي: ٤٨/٣-٤٩، والبرهان للبحراني: ١٢٠/٢-١٢١، وتفسير الصافي للكاشاني: ٣٣٦/٢).

(٥) ابن عطية/ المحرر الوجيز: ١٦٦/٨.

والشيعة حينما اعتقدت في أئمتها أنهم جهة تشريع أكملت ذلك بدعواها أن الناس جميعاً عبيد للأئمة لتتضح صورة الشرك أكثر. قال الرضا: «الناس عبيد لنا في الطاعة، موالٍ لنا في الدين فليبلغ الشاهد الغائب»[1].

مع أن الله سبحانه يقول ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ﴾[2].

فالناس جميعاً عبيد لله وحده لا لأحد سواه، ولو كان من عباد الله المرسلين الذين آتاهم الله الكتاب والحكم والنبوة، فكيف بأئمة الشيعة، أو من تدعي فيه الإمامة.

وبما أن الأئمة- حسب اعتقاد الشيعة- جهة تحليل وتحريم، فإن لهم الخيار في أن يبينوا للناس أمر الحلال والحرام وأن يكتموا. جاء في الكافي وغيره: «عن معلى بن محمد عن الوشاء قال: سألت الرضا رضى الله عنه فقلت له: جعلت فداك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[3] فقال: نحن أهل الذكر، ونحن المسؤولون، قلت: فأنتم المسؤولون ونحن السائلون؟ قال: نعم، قلت: حقاً علينا أن نسألكم؟ قال: نعم، قلت حقاً عليكم أن تجيبونا؟ قال: لا ذاك إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل»[4]. وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[5].

مع أن هذا لم يكن لرسول الهدى ﷺ أفضل الرسل أجمعين. قال تعالى:

---

(١) المفيد/ الأمالي ص٤٨، بحار الأنوار: ٢٧٩/٢٥.

(٢) آل عمران، آية: ٧٩.

(٣) النحل، آية: ٤٣، الأنبياء، آية: ٧.

(٤) أصول الكافي: ١/ ٢١٠-٢١١، تفسير القمي: ٦٨/٢، بحار الأنوار: ١٧٤/٢٣.

(٥) انظر: أصول الكافي، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله الخلق بسؤالهم هم الأئمة عليهم السلام: ١/ ٢١٠-٢١٢، بحار الأنوار، باب أنهم عليهم السلام الذكر وأهل الذكر وأنهم المسؤولون، وأنه فرض على شيعتهم المسألة ولم يفرض عليهم الجواب: ١٧٢/٢٣-١٨٨، وانظر: تفسير العياشي: ٢٦١/٢، قرب الإسناد للحميري ص١٥٢، ١٥٣.

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2].

وقد جاء الوعيد الشديد لمن كتم ما أنزل الله من الهدى والحق قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾[3].

وقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «من سئل عن علم ثم كتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار»[4]. فهل بيان ما يحتاج الناس إليه من الحق والهدى خاضع للإرادات والمزاج والهوى حتى يقال: «ليس علينا الجواب إن شئنا أجبنا وإن شئنا أمسكنا»[5].

ولأن البيان والتعليم خاضع لإرادة أئمة الشيعة، فقد ظل الشيعة- كما تقول أخبارهم- «لايعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم حتى كان أبو جعفر (محمد الباقر) ففتح لهم، وبين مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم»[6].

ولم يكتف الشيعة بذلك بل زعموا أن لأئمتهم «حق» إضلال الناس، وإجابتهم بالأجوبة المختلفة المتناقضة، لأنه قد فوض إليهم ذلك. جاء في الاختصاص للمفيد عن موسى بن أشيم قال: دخلت على أبي عبد الله فسألته عن مسألة

---

(١) النحل، آية: ٤٤.

(٢) المائدة، آية: ٦٧.

(٣) البقرة، آية: ١٥٩.

(٤) أخرجه أحمد: ٢/٢٦٣، ٣٠٥، ٣٤٤، ٣٥٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠٨، وأبو داود في العلم، باب كراهية منع العلم: ٤/٦٧ (٣٦٥٨) والترمذي في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم: ٥/٢٩ (٢٦٤٩)، وقال الترمذي: حديث حسن، وأخرجه ابن ماجه، في المقدمة، باب من سئل عن علم فكتمه: ١/٩٦ (٢٦١)، والحاكم: ١/١٠١، وصححه ووافقه الذهبي، وابن حبان: ١/٢٦٠.

(٥) أصول الكافي: ١/٢١٢.

(٦) المصدر السابق: ٢/٢٠.

فأجابني فيها بجواب، فأنا جالس إذ دخل رجل فسأله عنها بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني، فدخل رجل آخر فسأله عنها بعينها فأجابه بخلاف ما أجابني وخلاف ما أجاب به صاحبي، ففزعت من ذلك وعظم عليَّ، فلما خرج القوم نظر إليّ وقال: يابن أشيم إن الله فوّض إلى داود أمر ملكه فقال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[1]، وفوّض إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمر دينه فقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾[2]، وإن الله فوّض إلى الأئمة منا وإلينا ما فوض إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلا تجزع»[3].

وهكذا يفترون الكذب.. فالأئمة- كما تقول أخبارهم- هم المشرعون، وأمر التحليل والتحريم بأيديهم، ولهم حق كتمان ما يحتاج الناس إليه حتى أركان الإسلام وأصوله إن شاءوا أجابوا الناس، وإن شاءوا منعوهم، ولذلك ظل الشيعة في جهل في أمر الحج- كما يشهدون على أنفسهم- إلى زمن الباقر. لأنهم لا يأخذون مما رواه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يأخذون ما جاء عن الأئمة، والأئمة كتموا أمر المناسك عليهم.

وتستمر مسيرة الافتراء بأيدي هؤلاء القوم على دين الله وكتابه، ورسوله وأهل بيته، وهم يتسترون على هذه الدعاوى المنكرة، والاتجاهات الكافرة بدعوى التشيع لآل البيت فهل هؤلاء شيعة لعلي والحسن والحسين وعلي بن الحسين وهم يفترون عليهم.. كل هذه الافتراءات، ويرمونهم بأنهم لم يبينوا للناس أمر الحلال والحرام، والحج، وأن من شرعتهم كتمان الحق، وإضلال الناس بالأجوبة المتناقضة.

* * *

---

(١) سورة ص، آية: ٣٩.

(٢) الحشر، آية: ٧.

(٣) الاختصاص: ص٣٢٩-٣٣٠، بحار الأنوار: ٢٣/١٨٥.

□ المبحث الخامس □

قولهم إن تراب قبر الحسين شفاء من كل داء

تقول الشيعة- مخالفة بذلك النقل والعقل، والطب والحكمة- بأن تربة الحسين هي الكفيلة لشفاء الأدواء والأسقام بشتى أنواعها وأشكالها، وكأنهم بهذا اعتقدوا فيما لا ينفع بالحس والمشاهدة، وبالطبع والعقل اعتقدوا فيه النفع، وزعموا أن الشفاء يتحقق من تراب قبر لا من رب الأرباب، مخالفين بذلك قول الله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ..﴾[1]، وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[3].

فهم باعتقادهم بهذا التراب الدواء والشفاء قد شابهوا المشركين في اعتقادهم بأحجارهم النفع والضر.

ولقد ذكر صاحب البحار ما يصل إلى ثلاث وثمانين رواية عن تربة الحسين وفضلها وآدابها، وأحكامها[4]، فجعلت هذه الروايات من هذه التربة البلسم الشافي من كل داء[5]، والحصن الحصين من كل خوف[6]، يشرب منها المريض

---

(١) يونس، آية: ١٠٧.

(٢) النمل، آية: ٦٢.

(٣) الشعراء، آية: ٨٠.

(٤) انظر: ج١٠١/ ص١١٨-١٤٠.

(٥)،(٦) جاء في أخبارهم «... عن الحارث بن المغيرة قال: قلت لأبي عبد الله- عليه السلام-: إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به، فقال لي: أين أنت عن طين قبر الحسين بن علي فإن فيه شفاء من كل داء وأمناً من كل خوف (أمالي الطوسي: ٣٢٦/١، وبحار الأنوار: ١١٩/١٠١، وانظر: شواهد أخرى في هذا المعنى في: وسائل الشيعة: ٤١٥/١٠، كامل الزيارات ص٢٧٨، ٢٨٥ وغيرهما).

فيتحول إلى صحيح، كأن لم يكن به بأس[1]. ويحنك بها الطفل فتكون مأمنه من الأخطار[2]، وتوضع مع الميت في قبره لتقيه من العذاب[3]، ويمسك بها الرجل يعبث بها ساهياً يقلبها فيكتب له أجر المسبحين، لأنها تسبح بيد الرجل من غير أن يسبح[4].

وما إن يحس الشيعي بألم المرض وشدته حتى يتجه إلى طينة الضريح وعليه أن يختار الوقت المناسب، فيتجه إليه -كما تقول أخبارهم- في جنح الليل البهيم وليكن في آخره، ويغتسل ويلبس أطهر ثيابه، وإذا وصل فليقف عند الرأس ويصلي وإذا فرغ من صلاته سجد سجدة طويلة يكرر فيها كلمة واحدة ألف مرة، هذه الكلمة هي «شكراً» ثم يقوم ويتعلق بالضريح ويقول «يا مولاي يابن رسول الله إني آخذ من تربتك بإذنك اللهم فاجعلها شفاء من كل داء، وعزاً من كل ذل، وأمناً من كل خوف، وغنى من كل فقر..»[5].

---

(١) وقد اخترعوا في ذلك حكايات وأساطير، وكل واحد من أصحاب هذه الحكايات يسوق قصة مرضه، وتعذر شفائه، وما إن يأكل من طين الحسين حتى ينهض كأن لم يكن به علة. يقول أحدهم في نهاية حكايته: «فلما استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال».
(بحار الأنوار: ١٠١/ ١٢٠-١٢١، كامل الزيارات: ص٢٧٥).

(٢) قال أبو عبد الله: «حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنه أمان». (كامل الزيارات ص٢٧٨، بحار الأنوار: ١٠١/١٢٤).

(٣) انظر: مبحث اعتقادهم في اليوم الآخر: ص (٦٣١).

(٤) جاء في تهذيب الأحكام للطوسي «عن محمد الحميري قال: كتبت إلى الفقيه (إمامهم المنتظر) أسأله هل يجوز أن يسبح الرجل بطين القبر؟ وهل فيه فضل؟ فأجاب، وقرأت التوقيع ومنه نسخت: تسبح به فما من شيء من التسبيح أفضل منه، ومن فضله أن المسبح ينسى التسبيح ويدير السبحة تكتب له ذلك التسبيح (تهذيب الأحكام: ٦/٧٥، بحار الأنوار: ١٠١/١٣٢-١٣٣). وفي رواية أخرى عندهم: «إذا قلبها ذاكراً الله كتب له بكل حبة أربعون حسنة، وإذا قلبها ساهياً يعبث بها كتب الله له عشرين حسنة» (تهذيب الأحكام ٦/٧٥، بحار الأنوار ١٠١/١٣٢).

وهكذا أصبح العبث عندهم عبادة، وشرعوا من الدين مليوافق شهواتهم..

(٥) بحار الأنوار: ١٠١/٣٧، وقد نقل ذلك عن مصباح الزائر ص١٣٦.

ثم بعد ذلك يأخذ من الطينة «بثلاث أصابع ثلاث قبضات» وتوصيه الرواية بأن يجعل ذلك في خرقة نظيفة ويختمها بخاتم فضة فصه عقيق.. ثم يستعمل منها وقت الحاجة مثل الحمصة فإنه يشفى[1].

وتزيد رواية أخرى بأن عليه أن يتباكى ويقول: «بسم الله وبالله وبحق هذه التربة المباركة، وبحق الوصي الذي تواريه وبحق جده وأبيه، وأمه وأخيه، وبحق أولاده الصادقين، وبحق الملائكة المقيمين عند قبره ينتظرون نصرته، صلِّ عليهم أجمعين، واجعل لي ولأهلي وولدي وإخوتي وأخواتي فيه الشفاء من كل داء..[2]

وتتحدث بعض الروايات عن طرق أخرى للاستشفاء بها فتقول: قال أبو عبد الله إن الله جعل تربة جدي الحسين رضي الله عنه شفاءً من كل داء، وأماناً من كل خوف، فإذا تناولها أحدكم فليقبلها ويضعها على عينه وليمرها على سائر جسده وليقل: «اللهم بحق هذه التربة وبحق من حل بها وثوى فيها.. إلخ»[3].

وتذكر رواية أخرى طريقة تناولها ببيان المقدار والصفة، حيث قال جعفرهم -حينما سئل عن كيفية تناولها- «إذا تناول التربة أحدكم فليأخذ بأطراف أصابعه وقدره مثل الحمصة فليقبلها وليضعها على عينه..»[4] فهذا هو المستشفى المتنقل مع كل شيعي.

ويبدو أن هذه الطينة زادت مرضهم مرضاً، ومن تعلق بشيء وكل إليه، ولهذا شكا بعض الشيعة لإمامه ما يجده من ضعف القدرة فعزاه إمامه بقوله: «كذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا وجعل البلاء إليهم سريعاً»[5].

---

(١) المصدرين السابقين، الموضع نفسه.

(٢) بحار الأنوار: ١٠١/١٣٨.

(٣) أمالي الطوسي: ١/٣٢٦، بحار الأنوار: ١٠١/١١٩.

(٤) مكارم الأخلاق ص١٨٩ (ط: إيران ١٣٧٦هـ)، بحار الأنوار: ١٠١/١٢٠.

(٥) كامل الزيارات ص٢٧٥، بحار الأنوار: ١٠١/١٢١.

هذا وكما أن الشيعي يتجه حين نزول المرض به إلى صنمه والذي يسميه «بالطينة»، فإنه أيضاً يلجأ إلى هذا الصنم وقت الخوف ومداهمة العدو، فيصطحبه معه في ظروف الخوف. يقول إمامهم: «إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين»[1] وأمره أن يقول: «اللهم إني أخذته من قبر وليك وابن وليك، فاجعله لي أمناً وحرزاً لما أخاف وما لا أخاف»[2].

ولا ينسى راوي هذه الأسطورة أن يذكر طائفته بأنه فعل ذلك فكانت له الأمان من كل ما خاف وما لم يخف ولم ير مكروهاً[3].

وهذه الطينة هي أمل الحور العين، ولذلك فالحور كما تقول أساطيرهم يطلبن من الملائكة حينما يهبطون إلى الأرض أن تكون هداياهن من طين قبر الجسين[4].

كما تصف رواياتهم السجود على هذه الطينة بأنها «تخرق الحجب السبع»[5].

هذا جزء من دعاواهم حول طينة الحسين، وكأنهم في اعتقادهم بهذه الطينة فعلوا أكثر من المشركين الذين قالوا في أصنامهم بأنها تقربهم إلى الله زلفى، فقد جعلوا لهذه الطينة خواص لا يقدر عليها إلا رب العزة جل علاه، اتخذوها رباً وإلهاً مع الله سبحانه.

ودعوى الاستشفاء بهذه الطينة منكر من القول وزور وهي من دين الشيعة لا من دين الإسلام ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

---

(١) أمالي الطوسي: ١/٣٢٥، بحار الأنوار: ١٠١/١١٨.

(٢) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٤) بحار الأنوار: ١٠١/١٣٤، وقد نقل ذلك عن كتاب المزار الكبير لشيخهم محمد المهدي: ص١١٩.

(٥) مصباح المتهجد للطوسي: ص٥١١، بحار الأنوار: ١٠١/١٣٥.

﴿ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[1] وليس لها ذكر في كتاب ربنا ولا سنة نبينا، والله سبحانه بين في كتابه أن القرآن العظيم شفاء لعباده المؤمنين ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾[2]. ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وسنة المصطفى ﷺ بينت من الأدعية والأوراد التي فيها اللجوء إلى الله وحده لا إلى تراب، ولا صنم، بل ولا ملك مقرب ولا نبى مرسل وإنما إلى الله وحده ويتحقق بسببها- بإذنه تعالى- الحفظ للمسلم والأمان[4].

كما أن المسلم مأمور بالأخذ بالأسباب الطبيعية للشفاء..

أما أكل التراب فهو بدعة كبرى، وأضحوكة ليس لها مثيل إلا في دين هؤلاء القوم.

* * *

---

(١) آل عمران، آية: ٨٥.

(٢) فصلت، آية: ٤٤.

(٣) الإسراء، آية: ٨٢.

(٤) راجع كتب الأذكار مثل: الأذكار للنووي، والكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية، والوابل الصيب لابن القيم، وتحفة الذاكرين للشوكاني وغيرها.

□ المبحث السادس □

دعاؤهم بالطلاسم والرموز، واستغاثتهم بالمجهول

ومن ضلالهم وشركهم دعاؤهم بالرموز والطلاسم والحروف، واعتبار ذلك من أحراز الأئمة وأدعيتهم وحجبهم، فيكتبونها ويتمتمون بها.. من أجل الشفاء، والسلامة، وقد جمع من ذلك المجلسي فأكثر فقد أورد في كتابه طائفة من الألفاظ التي لا معنى لها، ووضع صور بعض الطلاسم برسم غويب في كتابه البحار على أن ذلك من هدي الأئمة للشفاء[1].

والأحجية بالحروف التي لا معنى لها هي من عوذات الأئمة كما يفترون[2]. والله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[3]. وكتابة

---

(١) من أمثلة تلك الطلاسم قالوا «حرز لأمير المؤمنين صلوات الله عليه للمسحور، والتوابع (الجني يتبع الإنسان حيث ذهب) والمصروع والسم والسلطان والشيطان وجميع ما يخافه الإنسان.. وهذه كتابته:
بسم الله الرحمن الرحيم أي كنوش أي كنوش أرشش عطنيطنيطح يامطيطرون فريالسنون ما وما ساما سويا طيطشا لوش خيطوش إلى آخر هذه الطلاسم ثم رسم رموزاً غريبة على شكل خطوط متداخلة... (بحار الأنوار: ص١٩٣ ج٩٤). وتكرر رسم مثل هذه الرموز في ص ٢٢٩، وص٢٦٥، ٢٩٧ من الجزء نفسه.
ومن عوذات الأئمة وأحرازهم بالألفاظ الغريبة قولهم كما يزعمون: «أعوذه بيا آهيا شراهيا.. إلخ (المصدر السابق: ٢٢٢/٩٤).

(٢) ومن دعواتهم بالحروف «اللهم بالعين والميم والفاء والحاءين بنور أبو الأشباح.. اكفني شر من دب ومشى...» واعتبروا هذا من الحجب التي احتجب بها الأئمة ممن أراد الإساءة إليهم. (المصدر السابق: ٣٧٢/٩٤-٣٧٣).

(٣) الأعراف، آية: ١٨٠.

الأحجبة والحروز بهذه الطلاسم والحروف هي من الشرك بالواحد القهار، لأنها دعاء لغير الله سبحانه لأنها ليست من أسمائه سبحانه وصفاته، وأسماء الله سبحانه هي ما ورد في الكتاب والسنة وهي توقيفية لا يجوز أن ندعو الله سبحانه بغيرها.

كما أن هذه الطلاسم لا معنى لها معروف، ولهذا قال الإمام الصغاني: «وربما يكون التلفظ بتلك الكلمات كفراً لأنا لا نعرف معناها بالعربية، وقد قال الله تعالى ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] وهو يقول: «آهيا شراهيا..»[2] ثم ذكر أنه قد ضل بهذه الدعوات المجهولات خلق كثير[3].

أما الاستعانة بالمجهول فإنهم يستغيثون به عند الضلال في الطريق كما استغاثوا من قبل بالميت، والمعدوم- كما سلف-، و«الاستعانة بالأموات أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا لمن تاب منه لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم.

ومن أدلة ذلك ما علّم الله عباده أن يقولوه في آية:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[4]أي لا نعبد إلا إياك ولا نستعين إلا بك، وقوله سبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[5] وغيرها»[6].

جاء في مصادرهم المعتمدة «عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: إذا ضللت

---

(١) الأنعام، آية: ٣٨.

(٢) موضوعات الصغاني: ص٦٣.

(٣) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٤) الفاتحة، آية: ٥.

(٥) الإسراء، آية: ٢٣.

(٦) هذه فتوى للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، انظر: جريدة الجزيرة، الجمعة ٦ رجب ١٤٠٧هـ، العدد (٥٢٧٢)، ركن الدعوة والإفتاء، تحت إشراف الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ص: ٨.

الطريق فناد: يا صالح أو يا با صالح أرشدونا إلى الطريق يرحمكم الله»[1].

قال ابن بابويه في باب: دعاء الضال عن الطريق بعد ذكره للرواية السالفة: «وروي أن البر موكل به صالح، والبحر موكل به حمزة»[2].

ومن هو صالح أو حمزة؟ جاء ما يكشف عن هوية «صالح» في الخصال لابن بابويه بإسناده عن علي في حديث الأربعمائة قال: «ومن ضل منكم في سفرٍ وخاف على نفسه فليناد يا صالح أغثني، فإن في إخوانكم من الجن جنياً يسمى صالح يسبح في البلاد لمكانكم محتسباً نفسه لكم، فإذا سمع الصوت أجاب وأرشد الضال منكم وحبس عليه دابته»[3].

وهذا ورثوه فيما يبدو عن أهل الجاهلية الأولى، فهو من دينها، كما يدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾[4]. قال أهل العلم: «كانت عادة العرب في جاهليتها إذا نزلت مكاناً يعوذون بعظيم ذلك المكان أن يصيبهم بشيء يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامته وخفارته، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم، كما قال قتادة ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي إثماً وازدادت الجن عليهم بذلك جرأة... فإذا عاذوا بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك»[5].

---

(١) ابن بابويه/ من لا يحضره الفقيه: ٢/١٩٥، البرقي/ المحاسن: ص٣٦٢ (وفيه أخطأتم الطريق)، وسائل الشيعة: ٨/٣٢٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٢/١٩٥، المحاسن: ص٣٦٢، وانظر: وسائل الشيعة: ٨/٣٢٥.

(٣) الخصال: ٢/٦١٨، وسائل الشيعة: ٨/٣٢٥.

(٤) الجن، آية: ٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤/٤٥٤-٤٥٥، وانظر: تفسير الطبرى ٢٩/١٠٨، فتح القدير: ٥/٣٠٥، وقد جاء هذا المعنى في كتب التفسير عند الشيعة: انظر البرهان: ٤/٣٩١، تفسير القمي =

فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وحده وتركوهم[1]. والاستعاذة بالجن من الشرك، لأنه استعاذة بغير الله[2].

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3].

* * *

= (المصدر السابق)، تفسير الصافي: ٥/٢٣٤- ٢٣٥، تفسير شبر ص٥٣٥.

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/١٠٩.

(٢) انظر: كتاب التوحيد (مع شرحه فتح المجيد)، باب من الشرك الاستعاذة بغير الله ص١٧٥.

(٣) يونس، آية: ١٠٧.

□ المبحث السابع □

استخارتهم بما يشبه أزلام الجاهلية

كانت العرب في جاهليتها إذا أراد أحدهم سفراً أو غزواً ونحو ذلك أجال القداح وهى الأزلام، وكانت عبارة عن قداح ثلاثة على أحدها مكتوب افعل، وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء، ومن الناس من قال مكتوب على الواحد أمرني ربي، وعلى الآخر نهاني ربي، والثالث غفل ليس عليه شيء، فإذا أجالها فطلع سهم الأمر فعله أو النهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد»[1].

وقد ابتلي فئات من الناس بالأزلام، كما ابتلوا بالأنصاب، فالأنصاب للشرك في العبادة والأزلام للتكهن وطلب علم ما استأثر الله به هذه للعلم وتلك للعمل ودين الله وشرعه مضاد لهذا وهذا.

وقد أدخلت طائفة الاثنى عشرية الاستخارة بالأزلام في دينها وأضافت عليها بعض الإضافات وسموها الرقاع. وعقد الحر العاملي لهذا باباً بعنوان «باب استحباب الاستخارة بالرقاع وكيفيتها»[2] وذكر في هذا الباب جملة من أحاديثهم في ذلك بلغت خمس روايات، أما المجلسي فقد ذكر أنواعاً من الاستخارات تدخل في هذا المعنى في أبواب ثلاثة وهي باب الاستخارة بالرقاع[3]، وباب الاستخارة بالبنادق[4]، وباب الاستخارة بالسبحة والحصى[5].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/١٢، تفسير الطبري: ٩/٥١٠ (ط: المحققه).

(٢) وسائل الشيعة: ٥/٢٠٨-٢١٣.

(٣) بحار الأنوار: ٩١/٢٢٦-٢٣٤.

(٤) المصدر السابق: ٩١/٢٣٥-٢٤٠.

(٥) المصدر السابق: ٩١/٢٤٧-٢٥١.

وفي هذه الاستخارات تذكر كتب الشيعة كيفية قد تختلف في البداية عن طرق أهل الجاهلية حيث الصلاة والدعاء، وهي صلاة على طريقة مبتدعة، ثم دعاء معين ولكنها تنتهي بما يشبه عمل الجاهلية حيث استكشاف ما هو خير عن طريق تحريك السبحة، أو كتابة افعل أو لا تفعل في رقاع معينة واختبار ذلك عدة مرات.

ومن أمثلة ذلك ما جاء عند الكليني[(١)]، والطوسي[(٢)]، والحر العاملي[(٣)] وغيرهم»[(٤)] عن هارون بن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أردت أمراً فخذ ست رقاع فاكتب في ثلاث منها: «بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة[(٥)] افعل، وفي ثلاث منها: بسم الله الرحمن الرحيم خيرة من الله العزيز الحكيم لفلان بن فلانة لا تفعل، ثم ضعها تحت مصلاك، ثم صل ركعتين، فإذا فرغت فاسجد سجدة وقل فيها مائة مرة: أستخير الله برحمته خيرة في عافية، ثم استو جالساً وقل: اللهم خر لي واختر لي في جميع أموري، في يسر منك وعافية، ثم اضرب بيدك إلى الرقاع فشوشها وأخرج واحدة واحدة، فإن خرج ثلاث متواليات افعل. فافعل الأمر الذي تريده، وإن خرج ثلاث متواليات لا تفعل فلا تفعله، وإن خرجت واحدة افعل والأخرى لا تفعل فأخرج من الرقاع إلى خمس فانظر أكثرها فاعمل به ودع السادسة لا تحتاج إليها».

أما الاستخارة بالبنادق فيفسرها ما جاء في روايتهم التي تقول: «... انو الحاجة في نفسك ثم اكتب رقعتين في واحدة لا، وفي واحدة نعم، واجعلهما في بندقتين من طين، ثم صلِّ ركعتين واجعلهما تحت ذيلك وقل: ياالله إني أشاورك

---

(١) الفروع من الكافي: ١٣١/١.

(٢) التهذيب: ٣٠٦/١.

(٣) وسائل الشيعة: ٢٠٨/٥.

(٤) انظر: المقنعة ص٣٦، المصباح ص٣٧٢.

(٥) هكذا النسبة للأم، والله يقول: ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ الأحزاب، آية: ٥.

في أمري هذا وأنت خير مستشار ومشير فأشر علي مما فيه صلاح وحسن عاقبة، ثم أدخل يدك فإن كان فيها نعم فافعل، وإن كان فيها لا، لا تفعل»[1].

وجاء في أخبارهم أن «استخارة مولانا أمير المؤمنين وهي أن تضمر ما شئت وتكتب هذه الاستخارة وتجعلهما في مثل البندق ويكون بالميزان[2] وتضعهما في إناء فيه ماء ويكون على ظهر إحداهما افعل والأخرى لا تفعل فأيهما طلع على وجه الماء فافعل به، ولا تخالفه[3].

ولا شك بأن أمير المؤمنين علياً بريء من لوثات الجاهلية وأوهامها وهذا مما دسته الشيعة عليه، ولذلك لم ينقله عنه سواها..

أما الاستخارة بالسبحة والحصى فقد قال شيخهم المجلسي «سمعت والدي يروي عن شيخه البهائي.. أنه كان يقول: سمعنا مذاكرة عن مشايخنا عن القائم صلوات الله عليه في الاستخارة بالسبحة أنه يأخذها، ويصلي على النبي وآله صلوات الله عليهم ثلاث مرات، ويقبض على السبحة، ويعد اثنتين اثنتين، فإن بقيت واحدة فهو افعل، وإن بقيت اثنتان فهو لا تفعل»[4].

هذه الأنواع من الاستخارة ذات أصل جاهلي حاولوا إلباسه ثوب الإسلام.

وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخيرة في الأمر الذي يريدونه[5]، لما روى الإمام أحمد والبخاري وأهل السنن عن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا همّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة

---

(١) الفروع من الكافي: ١/١٣٢، التهذيب: ١/٣٠٦، وسائل الشيعة: ٥/٢٠٩.

(٢) أى متساويتين بأن تزنهما بالميزان قاله شيخهم المجلسي: البحار: أبو ٩١/٢٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ٩١/٢٣٨، باب الاستخارة بالبنادق.

(٤) المصدر السابق: ٩١/٢٥٠.

(٥) ابن كثير/ التفسير: ٢/١٣.

ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب.. الحديث[1].

وهذه الاستخارة جاءت أيضاً في كتب الشيعة بنفس النص السابق[2] الوارد في أمهات كتب المسلمين (مصادر أهل السنة) ولكن عقيدة التقية التي كانت من أهم العوامل التي نأت بالشيعة عن الانضواء تحت لواء الجماعة.. جعلت بعض شيوخ الشيعة يرجح العمل برقاع الجاهلية على غيرها لالشيء إلا لأنها مما شذت به طائفته عن هدي المصطفى ﷺ وما عليه أهل السنة، ذلك أن ما يتفق من رواياتهم مع إجماع المسلمين يصبح العمل به عند الشيعة موضع تردد لاحتمالات التقية المزعومة. قال الحر العاملي: «قد رجح ابن طاووس العمل باستخارة الرقاع بوجوه كثيرة منها.. أنها لا تحتمل التقية لأنه لم ينقله أحد من العامة»[3] ويعني بالعامة أهل السنة، وهذا اعتراف منهم أن استخارة الرقاع مما شذت به طائفتهم.

ويبدو أن بعض شيوخهم رابهم أمر هذه الرقاع وشعروا بشذوذه فقال بعضهم[4]: «وأما الرقاع وما يتضمن افعل ولا تفعل ففي حيز الشذوذ»[5] كما طعن بعضهم في إسنادها[6].

ولكن هذا الصوت الذي ينكر هذا الاتجاه في الاستخارة لم يرق لبعض

---

(١) أخرجه البخاري: ٢/٥١ في التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، و٨/١٦٨، باب قول الله تعالى ﴿**قل هو القادر**﴾، وأبو داود ٢/١٨٧، ١٨٨ (١٥٣٨)، والترمذي: ٢/٣٤٩ (٤٨٠)، والنسائي ٦/٨٠-٨١، وابن ماجه: ١/٤٤٠ (١٣٨٣)، وأحمد: ٣/٣٤٤.

(٢) انظر: بحار الأنوار: ٩١/٢٦٥، مكارم الأخلاق ص ٣٧٢.

(٣) وسائل الشيعة: ٥/٢١١.

(٤) وهو شيخهم جعفر بن الحسن الحلي (ت ٦٧٦هـ) الملقب عندهم بالمحقق.

(٥) انظر: بحار الأنوار: ٩١/٢٨٧.

(٦) قال شيخهم ابن إدريس: «إنها من شواذ الأخبار، لأن رواتها فطحية ملعونون مثل: زرعة وسماعة (بحار الأنوار: ٩١/٢٨٧).

متأخري الشيعة، فقد ردوه وقالوا: «إنه لا مأخذ له مع اشتهارها بين الأصحاب وكيف تكون شاذة وقد دونها المحدثون في كتبهم، والمصنفون في مصنفاتهم[1]، ثم قالوا بأنه قد ألف أحد شيوخهم[2] كتاباً ضخماً في الاستخارات واعتمد فيه على رواية الرقاع وذكر من آثارها عجائب وغرائب[3] وقالوا بأنه لم ينكرها إلا قلة[4] منهم لا عبرة بإنكاره.

هذه حكاية الاستخارة بالرقاع، والبنادق، والسبحة، والحصا، وما دار حولها من جدل.. وهي عين استخارة المشركين «افعل أو لا تفعل» سوى أنهم أضافوا إليها صلاةً ودعاءً، وخصصت بعض رواياتهم موضع هذه الاستخارة بأن تكون عند قبر الحسين[5] ليتسع باب الشرك أكثر. وهذه بدعة انفرد بها هؤلاء القوم، جعلتهم يتعلقون، ويأتمرون بما تهديهم إليه هذه الأزلام.

مع أن الله سبحانه يقول: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ ﴾- إلى قوله سبحانه- ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ.. ﴾[6] أي حرم عليكم أيها

(١) بحار الأنوار: ٢٨٨/٩١.

(٢) وهو رضي الدين الحسن علي بن طاووس الحسني.

(٣) بحار الأنوار: ٢٨٨/٩١.

(٤) اختلفت أقوالهم في أول من أنكرها فذكر شيخهم الملقب بالشهيد بأنه لم ينكرها من شيوخهم سوى ابن إدريس ومن أخذ مأخذه كالشيخ نجم الدين (بحار الأنوار: ٢٨٨/٩١).
بينما قال المجلسي بأن أصل الإنكار كان من شيخهم المفيد، وذلك حينما ذكر رواية الاستخارة بالرقاع قال: «وهذه الرواية شاذة.. أوردناها للرخصة دون تحقيق العمل». ثم أنكر بعض متأخريهم وجود هذا الكلام في نسخة المفيد وقالوا بأنه مما ألحق في كلامه وليس منه.

(بحار الأنوار: ٢٨٧/٩١-٢٨٨) وهذا يدل على أنهم يغيرون في كتب شيوخهم ويبدلون.

(٥) انظر: وسائل الشيعة: ٢٢٠/٥، بحار الأنوار: ١٠١/ ٢٨٥.

(٦) المائدة، آية: ٣.

المؤمنون الاستقسام بالأزلام، والاستقسام مأخوذ من طلب القسم من هذه الأزلام[1]. قال ابن عباس: «هي قداح كانوا يستقسمون بها في الأمور»[2] أي يطلبون بها علم ماقسم لهم[3]. وقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ أي تعاطيه فسق وغيّ وضلالة وجهالة وشرك»[4].

وهؤلاء الروافض في استخارتهم تلك ساروا في خطا المشركين، ورجحوا العمل بهذه «الأزلام»[5] على الاستخارة الشرعية، لأن انفرادهم بها عن المسلمين دليل الصحة عندهم، كما هي قاعدتهم، كما ألزموا أتباعهم العمل بنتيجتها، وتوعدوا على مخالفتها[6]. فكأنهم اعتقدوا أنها تأتيهم بالخبر عن الله، وهذا كالاستقسام بالأزلام عند المشركين. قال ابن القيم: «الاستقسام هو إلزام أنفسهم بما تأمر به القداح كقسم اليمين..»[7].

فكيف يزعم الرافضي أن ما خرج من هذه الرقاع التي يستقسم بها هي عين ما أراد الله فيلزم نفسه بها.. أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً، فهذه الرقاع تدفعه للمضي في أمره أو تمنعه بلا بينة ولا برهان كحال أهل الشرك، ولعله «لا فرق بين ذلك وبين قول المنجم لا تخرج من أجل نجم كذا». والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[8][9]. فهؤلاء يقولون اعمل أو لا تعمل، بأمر الحصى والجمادات.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢/١٢.

(٢) تفسير الطبري: ٦/٧٨.

(٣) ابن القيم/ إغاثة اللهفان: ١/٢٢٧.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢/١٣.

(٥) انظر: الحر العاملي/ الإيقاظ من الهجعة: ص٣، ٧٠-٧١.

(٦) قالوا- مثلا-: «وإن وجد في كلها (أي الرقاع) لا تفعل فليحذر عن الإقدام على ذلك الأمر». (بحار الأنوار: ٩١/٢٢٨).

(٧) إغاثة اللهفان: ١/٢٢٧.

(٨) لقمان، آية: ٣٤.

(٩) إغاثة اللهفان: ١/٢٢٧.

الفصل الثاني

عقيدتهم في توحيد الربوبية

* * *

□ الفصل الثاني □

عقيدتهم في توحيد الربوبية

وتوحيد الربوبية هو إفراد الله سبحانه بالملك والخلق والتدبير، فيؤمن العبد بأنه سبحانه الخالق الرازق، المحيي، المميت، النافع، الضار، المالك المدبر، له الخلق والأمر كله، كما قال سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1]. وقال ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[2]. لا شريك له في ذلك سبحانه ولا نظير[3].

وليس المقصود هنا دراسة هذا الأصل، وإنما القصد معرفة اعتقاد الشيعة فيه..

وهل تأثر هذا الأصل الأصيل والركن العظيم عندهم بما يدعونه في الإمام؟

لقد بين القرآن العظيم أن مشركي قريش مع كفرهم بعبادته سبحانه وصرفهم أنواعاً من العبادات لغيره، إلا أنهم يؤمنون بأن الله سبحانه هو خالقهم ورازقهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ؟ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[4] وقال: ﴿قُلْ

---

(١) الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) النور، آية: ٤٢.

(٣) انظر في معنى توحيد الربوبية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٠/٣٣١، وعلي بن أبي العز/ شرح العقيدة الطحاوية ص١٧، المقريزي/ تجريد التوحيد ص٨١ (ضمن مجموع: عقيدة الفرقة الناجية) السفاريني/ لوامع الأنوار البهية: ١/١٢٨-١٢٩، سليمان بن عبد الوهاب/ تيسير العزيز الحميد ص٣٣، عبد الرحمن بن سعدي/ سؤال وجواب في أهم المهمات ص٥، محمد خليل هراس/ دعوة التوحيد: ص٢٧ وما بعدها. عبد العزيز بن باز/ تعليق على العقيدة الطحاوية، نشر في مجلة البحوث الإسلامية، العدد: (١٥) ١٤٠٦هـ.

(٤) الزخرف، آية: ٨٧.

مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[1].

ولكنهم مع ذلك أشركوا مع الله غيره في عبادته، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[2] قال مجاهد: «إيمانهم بالله قولهم إن الله خلقنا ويرزقنا ويميتنا فهذا إيمان مع شرك عبادتهم غيره»[3].

فهل كانت الشيعة أكثر كفراً من المشركين في هذا؟

لقد بين أهل العلم أن الإيمان بربوبية الله سبحانه أمر قد فطر عليه البشر وأن الشرك في الربوبية باعتبار إثبات خالقين متماثلين في الصفات والأفعال لم يثبت عن طائفة من الطوائف في التاريخ البشري، وإنما ذهب بعض المشركين إلى أن ثم خالقاً خلق بعض العالم[4].

ولهذا كان السؤال هل تأثر هذا الأصل في دين الشيعة، بمعنى هل وجد الإشراك الجزئي عندهم، باعتبار ما يولونه الأئمة من اهتمام، وما يعطونهم من أوصاف، وما يضفونه عليهم من ألقاب؟ سيتبين هذا من خلال التتبع لما جاء عن أئمتهم في كتبهم المعتمدة، ورواياتهم المعتبرة عندهم، حيث أعرض خمسة مباحث: أولها: قولهم إن الرب هو الإمام، وثانيها: اعتقادهم أن الدنيا والآخرة للإمام، وفي المبحث الثالث: قولهم إن السحاب والرعد هو من أمر الأئمة، ومسخر للأئمة وهو ما أسميته (إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة) وفي المبحث الرابع: قولهم بحلول جزء إلهي في الأئمة، وفي الخامس: زعمهم تأثير الأيام بالنفع والضر، وسيأتي أيضاً

---

(١) يونس، آية: ٣١.

(٢) يوسف، آية: ١٠٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٣١/٧٧-٧٨، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢/٥٣٢.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣/٩٦-٩٧، شرح العقيدة الطحاوية: ص١٧-١٨.

في أقوالهم بأركان الإيمان مبحث قولهم بالقدر وأن العبد يخلق فعله، وهذا شرك في الربوبية وقد أرجأت عرضه إلى هناك حتى يكتمل النظر في أقوالهم في أركان الإيمان.

* * *

□ المبحث الأول □

قولهم إن الرب هو الإمام

جاء في أخبارهم أن علياً- كما يفترون عليه- قال: أنا رب الأرض الذي يسكن الأرض به[1].

فانظر إلى هذا التطاول والغلو.. فهل رب الأرض إلا الواحد القهار وهل يمسك السمٰوات والأرض إلا خالقهما سبحانه ومبدعهما.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ..﴾[2].

وقال إمامهم: «أنا رب الأرض يعني إمام الأرض، وزعم أنه هو المقصود بقوله سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[3][4].

وفي قوله سبحانه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾[5] قالوا: يرد إلى أمير المؤمنين فيعذبه عذاباً نكراً[6].

وفي قوله سبحانه: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[7]. جاء في تفسير العياشي: يعني التسليم لعلي رضي الله عنه ولا يشرك معه في الخلافة من ليس له

---

(١) مرآة الأنوار ص٥٩، وقد نقل ذلك عن بصائر الدرجات للصفار.

(٢) فاطر، آية: ٤١.

(٣) الزمر، آية: ٦٩.

(٤) مرّ تخريج هذا النص ص: (١٧٢).

(٥) الكهف، آية: ٨٧.

(٦) مرآة الأنوار ص٥٩، وقد عزاه إلى كنز الفوائد.

(٧) الكهف، آية: ١١٠.

ذلك ولا هو من أهله[1]، وبنحو ذلك جاء تأويلها عند القمي في تفسيره[2].

ولا تظن أن هذا التأويل من باب أن رب تأتي في اللغة بمعنى صاحب، أو سيد، إذ أن هذه الآيات نص في الرب سبحانه لا يحتمل سواه، فالإضافة عرفته وخصصته.

وقد قال أئمة اللغة: إن الرب إذا دخلت عليه أل لايطلق إلا على الله سبحانه[3].

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

الأسماء والصفات نوعان: نوع يختص به الرب، مثل الإله ورب العالمين ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال ومن هنا ضل المشركون الذين جعلوا لله أنداداً، والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة كالحي والعالم والقادر إلا أنه لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلاً[4].. ولكن هؤلاء جعلوا لفظ الرب الخاص بالله سبحانه اسماً لإمامهم عبر تأويلاتهم الكثيرة.

وهذه التأويلات وضعها لهم زنديق ملحد أراد بذلك صرف الشيعة عن ربها.. وقد تكون فرقهم التي قالت بربوبية عليّ، والرجال الذين ذهبوا هذا المذهب والذي نسمع نعيقهم إلى يومنا هذا قد شربوا من هذا المستنقع الآسن الذي احتفظت به كتب الاثنى عشرية المعتمدة عندها.

* * *

---

(١) تفسير العياشي: ٢/٣٥٣، البرهان: ٢/٤٩٧، تفسير الصافي ٣/٢٧٠.

(٢) انظر: تفسير القمي: ٢/٤٧.

(٣) انظر: المصباح المنير: ص٢٥٤.

(٤) منهاج السنة: ١/٣٤٢.

□ المبحث الثاني □

قولهم بأن الدنيا والآخرة كلها للإمام يتصرف بها كيف يشاء

عقد صاحب الكافي لهذا باباً بعنوان: «باب أن الأرض كلها للإمام»[1] ومما جاء فيه: عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله..»[2].

أليس في هذا النص شرك في ربوبية الله سبحانه، لأن الله جل شأنه يقول: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[3] ويقول سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]. ويقول جل شأنه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾[5]. وقال: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾[6]. وقال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾[7].

كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾[8].

وقال سبحانه: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[9].

---

(١) انظر: أصول الكافي: ١/٤٠٧-٤١٠.

(٢) المصدر السابق: ١/٤٠٩.

(٣) البقرة، آية: ١٠٧.

(٤) المائدة، آية: ١٨.

(٥) المائدة: آية: ١٢٠.

(٦) الفرقان، آية: ٢.

(٧) النجم، آية: ٢٥.

(٨) سبأ، آية: ٢٤.

(٩) فاطر، آية: ٣.

وقال: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ﴾[1]. فهو سبحانه قد تفرد بالملك والرزق والتدبير لا شريك له في ذلك.

فكيف تدعي هذه الزمرة ما لا سلطان للبشر عليه، وتعطي الأئمة ما هو من مقتضيات ربوبية الله سبحانه، ما لهم بذلك من برهان إلا اتباع ما تمليه شياطينهم، وتسطره زنادقتهم، ومن العجب أنهم يعطون أئمتهم ملك الله وعلمه وحقوقه وأفعاله.. ويقولون: إن ذلك من الله أو «جائز له ذلك من الله» فهل هذا إلا مجرد تستر على الإلحاد، ومحاولة لإخفاء الهدف الخطير الذي تسعى إليه شياطينهم في تأليه الأئمة، وإضفاء صفات الربوبية عليهم.

* * *

(١) العنكبوت، آية: ١٧.

□ المبحث الثالث □

إسناد الحوادث الكونية إلى الأئمة

كل ما يجري في هذا الكون فهو بأمر الله وتقديره لا شريك له سبحانه، لكن في كتب الاثنى عشرية مايثير العجب في هذا حيث تدعي بأن لأئمتها أمراً في ذلك تقول رواياتهم:

«عن سماعة بن مهران قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأرعدت السماء وأبرقت، فقال أبو عبد الله عليه السلام: أما إنه ما كان منْ هذا الرعد ومن هذا البرق فإنه من أمر صاحبكم، قلت: من صاحبنا؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

يعنى كل ماوقع من رعد وبرق فهو من أمر عليّ، لا من أمر الواحد القهار..

فماذا يستنبط المسلم المنصف من هذه الرواية، والله جل شأنه يقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾[2]. أليست هذه هي السبئية قد أطلت برأسها المشوه من خلال كتب الاثنى عشرية؟ أليس هذا ادعاء لربوبية عليّ، أو أن له شركاً في الربوبية؟ كيف يتجرأ قلم المجلسي ومن قبله المفيد على كتابة هذه الأسطورة ونسبتها إلى جعفر؟ فإن هذا الإلحاد لا يخفى على أمثالهم، ولا يؤمن بهذا ويدعو إليه إلا كل زنديق وملحد، والعجب من قوم يستقون دينهم من كتب حوت هذا الغثاء، ويعظمون شيوخاً يجاهرون بهذا البلاء، أليس في هذه الطائفة من صاحب عقل ودين يعلن الصيحة والنكير على هذا الضلال المنتشر، والكفر المبين ويبريء «أهل البيت الأطهار» من هذا الدرن

---

(١) المفيد/ الاختصاص ص٣٢٧، بحار الأنوار: ٣٣/٢٧، البرهان: ٤٨٢/٢.

(٢) الرعد، آية: ١٢.

القاتل.. وينقي ثوب التشيع مما لطخه به شيوخ الدولة الصفوية من كفر وضلال.

أم أن كل صوت صادق إما أن يعاجل بالقتل كما فعلوا مع الكسروي، أو يحمل قوله على التقية كما صنعوا في الكثير من رواياتهم، وطائفة من أقوال شيوخهم، فهل وصل هذا المذهب في سبيل عودته إلى نور الحق إلى طريق مسدود...؟

أحسب أن أولئك الأتباع الأغرار لا يظنون بأن هناك إسلاماً إلا هذا، لأن طوائف من السنة والشيعة أوهموهم بأن لا فرق بين المذهبين إلا في بعض مسائل الفروع فأوصدوا أمامهم مجال النظر والتفكير والبحث بهذا الوهم الشائع الكبير[1].

ويقولون بأن السحاب هو المطية الذلول لعلّي يسيرها كيف شاء. تقول روايتهم: «.. ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة وبرق فصاحبكم يركبه، أما أنه سيركب السحاب، ويرقى في الأسباب أسباب السموات والأرضين السبع خمس عوامر وثنتان خراب»[2].

وكأنهم بهذا يقولون إن علياً هو الذي يسير السحاب فيكفرون بقول الله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابًا ثِقَالًا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ﴾[3] وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبۡسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾[4].

ويبدو أن قول الاثنى عشرية إن علياً يركب السحاب امتداد للمذهب السبئي الذي يقول بأن علياً: «هو الذي يجيء في السحاب والرعد صوته والبرق تبسمه»[5].

---

(١) راجع فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة.

(٢) الاختصاص: ص١٩٩، وانظر: رواية أخرى مثلها ص٣٢٧، وانظر: بحار الأنوار: ٣٢/٢٧.

(٣) الأعراف، آية: ٥٧.

(٤) الروم، آية: ٤٨.

(٥) الشهرستاني/ الملل والنحل: ١٧٤/١.

وينقل لنا المجلسي رواية طويلة في ثماني صفحات[1]، تجعل لعلي قدرات مطلقة، فهو ينقل أصحابه إلى عالم السموات والأرض، ويعرض عليهم معجزات أعظم من معجزات الأنبياء، ويمر بأقوام فيهلكهم بصعقة واحدة. ويتعاظم حتى يقول: إني لأملك من ملكوت السموات والأرض ما لا تحتملون العلم ببعضه..

يقول المجلسي- في حديثه هذا- إن علياً أومأ إلى سحابتين فأصبحت كل سحابة كأنها بساط موضوع فركب على سحابة بمفرده، وركب بعض أصحابه- كما تقول الرواية- كسلمان والمقداد.. السحابة الأخرى، وقال علي وهو فوق السحابة: «أنا عين الله في أرضه، أنا لسان الله الناطق في خلقه، أنا نور الله الذي لايطفأ، أنا باب الله الذي يؤتى منه، وحجته على عباده»[2].

ومضت القصة الطويلة في سرد غريب، أصحاب عليّ يسألونه عن معجزات الأنبياء فيقول: أنا أريكم أعظم منها حتى قال: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السموات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم، إن اسم الله الأعظم على اثنين وسبعين حرفاً، وكان عند آصف بن برخيا حرف واحد فتكلم به فخسف الله عز وجل الأرض ما بينه وبين عرش بلقيس، حتى تناول السرير، ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرف النظر وعندنا نحن والله اثنان وسبعون حرفاً وحرف واحد عند الله عز وجل استأثر به في علم الغيب»[3].

ثم تذكر هذه الأسطورة بأنهم مروا على عوالم غريبة فزار الأنبياء، فكان من الأنبياء من يبكي لما رأى أمير المؤمنين ولما قيل له ما بكاؤك قال: «إن أمير المؤمنين كان يمر بي عند كل غداة فيجلس فتزداد عبادتي بنظري إليه فقطع ذلك منذ عشرة أيام فأقلقني ذلك»[4].

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٢٧/٣٣-٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٢٧/٣٤.

(٣) السابق: ٢٧/٣٧.

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

وتقول القصة بأن علياً كان يقول لأصحابه «غضوا أعينكم» فينقلهم إلى مدينة أسواقها قائمة، وأهلها أعظم من طول النخل، ويقول إن هؤلاء من قوم عاد ثم يصعق فيهم عليّ صعقة فتهلكهم[١]. وهكذا تمضي القصة حتى يعودوا تقلهم السحاب ثم يهبطون في دار أمير المؤمنين في أقل من طرف النظر، قالوا: وكان وصولنا إلى المدينة وقت الظهر والمؤذن يؤذن، وكان خروجنا منها وقت علت الشمس»[٢]. فقال أمير المؤمنين: «لو أنني أردت أن أجوب الدنيا بأسرها والسموات السبع وأرجع في أقل من الطرف لفعلت بما عندي من اسم الله الأعظم، فقلنا: ياأمير المؤمنين أنت والله الآية العظمى والمعجز الباهر»[٣].

هذه الرواية الطويلة بكل ما فيها من «بلايا» لم يتجاسر شيخهم المجلسي على ردها، بالرغم من أنه قال بأن هذا النص «لم نره في الأصول التي عندنا»[٤]، إلا أنه قال بأننا «لا نردها ونرد علمها إليهم عليهم السلام»[٥].

فانظر إلى نص لايوجد في أصولهم المعتبرة، وحوى من الغلو ما لا يخطر بالبال، ومع ذلك لم يتجرأ على رده.. فكيف إذنْ بالروايات الأخرى المثبتة في أصولهم. فقبولها من باب أولى.

* * *

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٢٧/٣٩.

(٢) المصدر السابق: ٢٧/٤٠.

(٣) السابق ونفس الموضع.

(٤) السابق: ٢٧/٤٠.

(٥) الموضع نفسه من المصدر السابق.

المبحث الرابع

الجزء الإلهي الذي حل في الأئمة

وترد عندهم روايات تدعي بأن جزءاً من النور الإلهي حل بعليّ.

قال أبو عبد الله: «ثم مسحنا بيمينه فأفضى نوره فينا»[1]. «.. ولكن الله خلطنا بنفسه..»[2].

وهذا الجزء الإلهي الذيّ في الأئمة- كما يزعمون- أعطوا به قدرات مطلقة، ولذلك فإن من يقرأ ما يسمونه معجزات الأئمة وتبلغ مئات الروايات يلاحظ أن الأئمة أصبحوا كرب العالمين- تعالى الله وتقدس عما يقولون- في الإحياء والإماتة والخلق والرزق[3].. إلا أن رواياتهم تربط هذا بأنه من الله كنوع من التلبيس والإيهام.

فهذا- مثلاً- عليّ يُحْيِيَ الموتى. جاء في الكافي عن أبي عبد الله قال: «إن أمير المؤمنين له خؤولة في بني مخزوم وإن شاباً منهم أتاه فقال: ياخالي إن أخي مات وقد حزنت عليه حزناً شديداً، قال فقال: تشتهي أن تراه؟ قال: بلى، قال: فأرني قبره، قال فخرج ومعه بردة رسول الله متزرا بها، فلما انتهى إلى القبر

---

(١) أصول الكافي: ١/٤٤٠، وانظر أيضاً: المصدر السابق: ١/٤٤١-٤٤٢.

(٢) المصدر السابق: ١/٤٣٥.

(٣) انظر: بحار الأنوار، باب جوامع معجزاته (يعنون علياً): ٤٢/١٧-٥٠، وفيه ١٧ رواية، وباب ما ورد من غرائب معجزاته: ٤٢/٥٠-٥٦، وحتى قبره جعلوا له معجزات لا يقدر عليها إلا رب العباد، وعقد لهذا صاحب البحار باباً بعنوان باب «ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات: ٤٢/ ٣١١-٣٣٩.

وهكذا كل إمام من أئمتهم الاثنى عشر، ويزيد الحسين على سائر الأئمة بأن جعلوا لتراب قبره تأثيراً كالقدرة الربانية من رزق وشفاء وعافية.

تلملمت شفتاه ثم ركضه برجله فخرج من قبره وهو يقول بلسان الفرس، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألم تمت وأنت رجل من العرب؟ قال: بلى، ولكنّا متنا على سنة فلان وفلان (أي أبو بكر وعمر) فانقلبت ألسنتنا»[(١)]. بل إن علياً- كما يزعمون- أحيى موتى مقبرة الجبانة بأجمعهم[(٢)]، وضرب الحجر فخرجت منه مائة ناقة[(٣)].

وقال سلمان- كما يفترون- «لو أقسم أبو الحسن على الله أن يحيي الأولين والآخرين لأحياهم»[(٤)].

هذا الغلو هو بلا شك ارتضعوه من أفاويق المذاهب الوثنية التي تدعى في أصنامها، ومعبوداتها ما للرب سبحانه من أفعال، ويكفي في فساده مجرد تصوره، إذ هو مخالف للنقل والعقل، والسنن الكونية كما هو منقوض بواقع الأئمة وإقراراتهم، ورسول الهدى ﷺ يقول- كما أمره ربه- ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[(٥)].

ومن الطريف أن كتب الشيعة مع تعظيم الأئمة والغلو فيهم تروي ما يخالف هذا، لتثبت تناقضها فيما تقول كالعادة في كل كذب وباطل، فقد جاء في رجال الكشي أن جعفر بن محمد قال: «فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وإن رحمنا فبرحمته، وإن عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولامعنا من الله براءة وإنا لميتون ومقبورون ومنشورون ومبعوثون وموقوفون ومسؤولون، ويلهم ما لهم لعنهم الله فقد آذوا الله وآذوا

---

(١) أصول الكافي: ١/٤٥٧، وانظر: بحار الأنوار: ٤١/١٩٢، بصائر الدرجات: ص٧٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤١/١٩٤، وعزاه إلى الخرائج والجرائح، ولا يوجد في النسخة المطبوعة.

(٣) المصدر السابق: ٤١/١٩٨، وعزاه إلى الخرائج والجرائح، وليس في النسخة المطبوعة.

(٤) السابق: ٤١/٢٠١، الخرائج والجرائح ص٨٢.

(٥) الأعراف، آية: ١٨٨.

رسوله ﷺ في قبره، وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومحمد بن عليّ صلوات الله عليهم... أشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله-ﷺ-، وما معي براءة من الله إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً»[1].

ولكن شيوخ الشيعة يعدون مثل هذه الإقرارات من باب التقية[2] فأضلوا قومهم سواء السبيل، وأصبح مذهب الشيعة مذهب الشيوخ لا مذهب الأئمة.

وهذه المقالة التي عرضت لبعض شواهدها عندهم والتي تزعم حلول جزء إلهي بالأئمة، قد تطورت عند بعض شيوخهم واتسع نطاقها إلى القول «بوحدة الوجود»[3] وعدوا ذلك أعلى مقامات التوحيد فهو الغاية في التوحيد عند شيخهم النراقي[4]، كما أن شيخهم الكاشاني- صاحب الوافي أحد أصولهم الأربعة المتأخرة- كان يقول بعقيدة وحدة الوجود، وله رسالة في ذلك، جرى فيها مجرى ابن عربي وعبر عنه ببعض العارفين[5].

والاتجاه الصوفي المتطرف قد تغلغل في كيان المذهب الاثنى عشري، وعشعش في عقول أساطين المذهب من المتأخرين، وبين الأفكار الصوفية الغالية والعقائد الشيعية المتطرفة تشابه وتلاق[6].

---

(١) رجال الكشي: ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) انظر: ص١٥١، وراجع: مبحث التقية في هذه الرسالة.

(٣) وحقيقتها أن وجود الكائنات هو عين وجود الله. (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١/ ١٤٠).

(٤) مهدي بن أبي ذر الكاشاني النراقي، المتوفي سنة (١٢٠٩هـ) (انظر: الذريعة: ٥/٥٨، وانظر نص النراقي في ذلك في كتابه: جامع السعادات ص١٣٢-١٣٣).

(٥) لؤلؤة البحرين: ص١٢١.

( ) راجع في ذلك: الصلة بين التصوف والتشيع/ لمصطفى كامل الشيبي، والفكر الشيعي والنزعات الصوفية للمؤلف نفسه، والفكر الصوفي/ عبد الرحمن عبد الخالق ص٣٨٩، وقد غاظت هذه الحقيقة بعض متعصبي الشيعة الاثنى عشرية وهو هاشم معروف الحسيني فرد على الشيبي بكتاب سماه: «بين التصوف والتشيع».

□ المبحث الخامس □

قولهم بتأثير الأيام والليالي بالنفع والضر

قال الله سبحانه: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[١]. فالضر والنفع من الله وحده، وليس للأنواء والأيام والليالى وغيرها تأثير في ذلك، والشيعة تخالف هذا بدعواها أن في بعض الأيام شؤماً لا تقضى فيه الحاجات. قال أبو عبد الله: «لا تخرج يوم الجمعة في حاجة، فإذا كان يوم السبت وطلعت الشمس فاخرج في حاجتك»[٢].

وقال: السبت لنا، والأحد لبنى أمية[٣].

وقال: «.. فأي يوم أعظم شؤماً من يوم الاثنين.. لاتخرجوا يوم الاثنين واخرجوا يوم الثلاثاء»[٤].

وقال أبو عبد الله: «لا تسافر يوم الاثنين ولا تطلب فيه حاجة»[٥].

وقال: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر»[٦].

وقال أمير المؤمنين علي- كما يفترون-: «يوم السبت يوم مكر وخديعة ويوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء يوم حرب

---

(١) النحل، آية: ٥٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ١/٩٥، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢/٣٤٢، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ١/٩٥، الروضة ص٣١٤، المحاسن: ص٣٤٧، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٤، وانظر: الخصال: ٢/٢٦.

(٥) المحاسن: ص٣٤٦، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٥.

(٦) الخصال: ٢/٢٧، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٧.

ودم، ويوم الأربعاء يوم شؤم يتطير فيه الناس، ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح»[1].

وثمة أحاديث أخر عندهم بهذه المعاني[2]، ومن مجموع هذه الروايات يتبين أن الجمعة، والأحد، والاثنين، والأربعاء أيام فيها شؤم ذاتي فلا يناسب قضاء الحاجات فيها.

ولكن تلحظ أن الرواية الأخيرة اعتبرت يوم الاثنين يوم سفر وطلب، وهذا يخالف ما مضى من روايات، ولذلك حمل شيخهم الحر العاملي هذا على التقية[3].

فعلى هذا كل هذه الأيام الأربعة أيام مشؤومة فلم يبق أمام الشيعي من وقت للعمل من الأسبوع سوى أيام ثلاثة

وهذا نوع من التطير[4]، وهو التشاؤم ببعض الأيام، أو الطيور والأسماء، والألفاظ والبقاع وغيرها، وهو من عمل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك، وأنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر، وهي من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته.

---

(١) علل الشرائع: ص١٩٩، الخصال: ٢/٢٨، عيون الأخبار ص١٣٧، وسائل الشيعة: ٨/٢٥٨.

(٢) ومثل هذا النوع قد ذكره علماء الحديث من أهل السنة في كتب الموضوعات (انظر: ابن الجوزي/ الموضوعات: ص٧١-٧٤، ابن عراق/ تنزيه الشريعة المرفوعة: ٢/٥٣-٥٦، الشوكاني/ الفوائد المجموعة: ص٤٣٧-٤٣٨).

(٣) وسائل الشيعة: ٨/٢٥٨.

(٤) وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير، فإذا خرج أحدهم لأمر، فإن رأى الطير طار يمنة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها وكانوا يسمونه السانح والبارح، فالسانح ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، والبارح بالعكس. وكانوا يتيمنون بالسانح، ويتشاءمون بالبارح. (فتح الباري ١٠/٢١٢-٢١٣، وانظر: لسان العرب: ٤/٥١٢).

ويفرق بعضهم بين الطيرة والتطير فيقول: التطير: هو الظن السيء الذي في القلب، والطيرة: هو الفعل المرتب على الظن السيء، وقد نسب ذلك صاحب عون المعبود إلى عز الدين بن عبد السلام (عون المعبود ١٠/٤٠٦).

قال تعالى: ﴿.. أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، يقول: مصائبهم عند الله ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

وقال ابن جريج عن ابن عباس قال «ألا إنما طائرهم عند الله» أي: من قبل الله»[2].

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «**الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثاً**»[3].

وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك، لما فيها من تعلق القلب بغير الله تعالى[4].

وقال ابن حجر: «وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضراً فكأنهم اشركوه مع الله تعالى»[5]. وهي دعوة باطلة لإضاعة الأوقات وتأجيل الحاجات، وصرف للقلوب عن الخالق الباريء إلى مخلوقات لا تضر ولا تنفع.

غير أنه لا يكاد يوجد شذوذ عند الشيعة إلا وفيه من رواياتهم نفسها ما يرد هذا الشذوذ ويبطله، فقد جاء في رواياتهم ما ينقض هذه الدعاوى، وأبلغ ما يكون نقض الخصم لكلامه بنفسه، فقد روت كتب الشيعة أن أبا عبد الله قال: لا

---

(١) الأعراف، آية: ١٣١.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢/٢٥٧.

(٣) رواه أبو داود في الطب، باب في الطيرة: ٤/٢٣٠ رقم (٣٩١٠) والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة: ٤/١٦٠-١٦١، رقم (١٦١٤). وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة: ٢/١١٧٠، رقم (٣٥٣٨)، ورواه ابن حبان في صحيحه «موارد الظمآن» رقم (١٤٢٧).

(٤) فتح المجيد: ص٣٦١.

(٥) فتح الباري: ١٠/٢١٣، وانظر: ابن منظور/ لسان العرب: ٤/٥١٣.

طيرة[1].

وقال: كفارة الطيرة التوكل[2].

وقال أبو الحسن الثاني رضي الله عنه: «من خرج يوم الأربعاء.. خلافاً على أهل الطيرة وقي من كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضى الله له حاجته»[3].

وجاء عندهم أيضاً: «إذا تطيرت فامض»[4].

وجاء في البحار وغيره «في الحديث أن النبي ﷺ كان يحب الفأل، ويكره الطيرة، وكان عليه السلام يأمر من رأى شيئا يكرهه، ويتطير منه أن يقول «اللهم لايؤتي الخير إلا أنت ولايدفع السيئات إلا أنت ولاحول ولاقوة إلا بك»[5].

فهذا تناقض، والتناقض علامة بطلان المذهب، ولكن مبدأ التقية، ومخالفة العامة يعطل الاستفادة من هذه النصوص وأمثالها، ولذلك تلحظ أن شيخهم الحر العاملي حمل حديثهم الذي يقول «بأن يوم الاثنين» يوم سفر وطلب على التقية...

* * *

---

(١) روضة الكافي: ص١٩٦، وسائل الشيعة: ٢٦٢/٨.

(٢) روضة الكافي: ص١٩٨، وسائل الشيعة: ٢٦٢/٨.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٩٥/١، الخصال: ٢٧/٢.

(٤) تحف العقول ص٥٠. ط: ٢.

(٥) بحار الأنوار: ٩٥/٢-٣، الطبرسي/ مكارم الأخلاق ص٤٠٣.

□ الفصل الثالث □

عقيدتهم في أسماء الله وصفاته

* * *

□ الفصل الثالث □

عقيدتهم في أسماء الله وصفاته

للشيعة في هذا الفصل أربع ضلالات:

الضلالة الأولى: ضلالة الغلو في الإثبات (ومايسمى بالتجسيم).

الضلالة الثانية: تعطيلهم الحق جل شأنه من أسمائه وصفاته.

الضلالة الثالثة: وصف الأئمة بأسماء الله وصفاته.

الضلالة الرابعة: تحريف الآيات بدافع عقيدة التعطيل للأسماء والصفات.

وسأتوقف عند كل مسألة من هذه المسائل الأربع وأبين مذهب الشيعة فيها من خلال مصادرها- إن شاء الله-.

* * *

المبحث الأول
الغلو في الإثبات (التجسيم)

اشتهرت ضلالة التجسيم بين اليهود[1]، ولكن أول من ابتدع ذلك بين المسلمين هم الروافض، ولهذا قال الرازي: «اليهود أكثرهم مشبهة، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض مثل هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي وأبي جعفر الأحول[2].

وكل هؤلاء الرجال المذكورين هم ممن تعدهم الاثنا عشرية في الطليعة من شيوخها، والثقات من نقلة مذهبها[3].

---

(١) وفي كتاب الله سبحانه أدلة على تلبس اليهود بهذا الضلال. قال تعالى: ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله**﴾ [التوبة، آية: ٣٠].
وفي التوراة المتداولة اليوم بين اليهود أمثلة عديدة لفشو ضلالة وصف الله سبحانه بصفات المخلوقين بينهم منها مايلي: «وسمعا (يعني آدم وحواء) صوت الرب الاله ماشيا» (سفر التكوين، الفصل الثالث، فقرة «٨»)، ومنها: «ثم صعد موسى وهارون.. وسبعون رجلاً من شيوخ بني إسرائيل ورأوا إله إسرائيل وتحت قدميه كصنعة بلاط.. وكذات السماء صفاء» (سفر الخروج، الفصل الرابع والعشرون، فقرة: ٩، ١٠، ١١). وأمثلة كثيرة على هذا النمط وأشد، وللمزيد من أمثلة هذه الافتراءات انظر: سفر التكوين، الفصل ٣٢ فقرة ٢٢، وسفر تثنية، الفصل ٣٤، فقرة ١٠، سفر القضاة، الفصل ٦، فقرة ١١، سفر الخروج، فصل ٢٤، فقرة ٤.. إلخ.

(٢) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص٩٧.

(٣) انظر: محسن الأمين/ أعيان الشيعة: ١/١٠٦، وهؤلاء في كتب الفرق أصحاب طوائف منسوبه لأسمائهم. قال الأشعري: «الهشامية أصحاب هشام بن الحكم..» (مقالات الإسلاميين: ١/١٠٦) و«اليونسية أصحاب يونس بن عبد الرحمن القمي (السابق: ١/١١٠)، والهشامية أصحاب هشام بن سالم الجواليقي (السابق: ١/١٠٩)، والجميع ينتظمهم سلك الرفض..

وقد حدد شيخ الإسلام ابن تيمية أول من تولى كبر هذه الفرية من هؤلاء فقال: «وأول من عرف في الإسلام أنه قال إن الله جسم هو هشام بن الحكم»[1].

وقبل ذلك يذكر الأشعري في مقالات الإسلاميين أن أوائل الشيعة كانوا مجسمة، ثم بين مذاهبهم في التجسيم، ونقل بعض أقوالهم في ذلك، إلا أنه يقول بأنه قد عدل عنه قوم من متأخريهم إلى التعطيل[2].

وهذا يدل على أن اتجاه الاثنى عشرية إلى التعطيل قد وقع في فترة مبكرة، وسيأتي ما قيل في تحديد ذلك[3].

وقد نقل أصحاب الفرق كلمات مغرقة في التشبيه والتجسيم منسوبة إلى هشام بن الحكم وأتباعه تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

يقول عبد القاهر البغدادي: «زعم هشام بن الحكم أن معبوده جسم ذو حد ونهاية وأنه طويل عريض عميق وأن طوله مثل عرضه...»[4].

ويقول: إن هشام بن سالم الجواليقي مفرط في التجسيم والتشبيه لأنه زعم أن معبوده على صورة الإنسان.. وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان[5]، وكذلك ذكر أن يونس بن عبد الرحمن القمي مفرط أيضاً في باب التشبيه، وساق بعض أقواله في ذلك[6].

وقال ابن حزم «قال هشام إن ربه سبعة أشبار بشبر نفسه»[7].

---

(١) منهاج السنة: ١/٢٠.

(٢) انظر: مقالات الإسلامين: ١/١٠٦-١٠٩.

(٣) في المبحث الثاني.

(٤) الفرق بين الفرق ص٦٥.

(٥) المصدر السابق: ص٦٨-٦٩.

(٦) السابق ص٧٠.

(٧) الفصل: ٥/٤٠.

وقد نقل الإسفراييني مقالة هشام بن الحكم، وهشام الجواليقي وأتباعهما في التجسيم، ثم قال: «والعاقل بأول وهلة يعلم أن من كانت هذه مقالته لم يكن له في الإسلام حظ»[1].

وقد استفاض عن هشام بن الحكم ومن تبعه أمر الغلو في التجسيم في كتب الفرق وغيرها[2]. وتحدثت عن ذلك أيضاً بعض كتب المعتزلة والزيدية. وممن نقل ذلك عن الروافض من المعتزلة الجاحظ حيث قال: وتكلمت هذه الرافضة وجعلت له صورة وجسداً، وكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير[3]، وكذلك ابن الخياط[4]، والقاضي عبد الجبار[5].

ومن الزيدية[6] ابن المرتضى اليماني حيث قال «بأن جل الروافض على التجسيم إلا من اختلط منهم بالمعتزلة»[7].

إذاً تشبيه الله سبحانه بخلقه كان في اليهود، وتسرب إلى التشيع، لأن التشيع كان مأوى لكل من أراد الكيد للإسلام وأهله، وأول من تولى كبره هشام بن الحكم[8]، ثم تعدى أثره إلى آخرين عرفوا بكتب الفرق بمذاهب ضالة غالية

---

(١) التبصير في الدين/ ٢٤.

(٢) انظر- بالإضافة لما مضي- الملطي/ التنبيه والرد ص٢٤، الشهرستاني/ الملل والنحل: ١/١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، السكسكي/ البرهان ص٤١، ابن حجر/ لسان الميزان: ٦/١٩٤، محمود البشبيشي/ الفرق الإسلامية ص٥٨، علي مصطفى الغرابي/ تاريخ الفرق الإسلامية ص٣٠٠.

(٣) انظر: رسالة الجاحظ في بني أمية ص٩٩ (ضمن كتاب النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، المطبعة الإبراهيمية القاهرة ١٩٣٧م.

(٤) الانتصار ص١٤. (٥) تثبيت دلائل النبوة: ١/٢٢٥.

(٦) يلاحظ أن الزيدية هم يوافقون المعتزلة في العقيدة ولذلك قال الشهرستاني: «أما في الأصول فيرون رأي المعتزلة حذو القذة بالقذه (انظر: الملل والنحل ١١/١٦٢، المقبلي/ العلم الشامخ: ٣١٩).

(٧) المنية والأمل ص١٩، وانظر: نشوان الحميري/ الحور العين ص ١٤٨-١٤٩.

(٨) انظر ما سلف من الحديث عن هشام وصلته بفرية دعوى التحريف للقرآن التي استشرى داؤها في مذهب الاثنى عشرية. ص (٢١٣-٢١٤).

منسوبة إليهم[1].

ولكن شيوخ الاثنى عشرية يدافعون عن هؤلاء الضلال الذين استفاض خبر فتنتهم، واستطار شرهم ويتكلفون تأويل كل بائقة منسوبة إليهم أو تكذيبها[2].

حتى قال المجلسي: «ولعل المخالفين نسبوا إليهما[3] هذين القولين[4] معاندة»[5].

وأقول أما إنكار بعض الشيعة لذلك فقد عهد منهم التكذيب بالحقائق الواضحات، والتصديق بالأكاذيب البينات.

وأما دفاعهم عن هؤلاء الضلال فالشيء من معدنه لا يستغرب، فهم يدافعون عن أصحابهم، وقد تخصص طغام منهم للدفاع عن شذاذ الآفاق، ومن استفاض شره، وتناقل الناس أخبار مروقه وضلاله، في حين أنهم يتناولون من أثنى الله عليهم ورسوله بالذم والتكفير.

وقد يقال إن ما سلف من أقوال عن هشام وأتباعه هي من نقل خصوم الشيعة فلا يكون حجة عليهم.

ومع أن تلك النقول عن أولئك الضلال قد استفاضت من أصحاب المقالات على اختلاف اتجاهاتهم، وهم أصدق من الرافضة مقالاً، وأوثق نقلاً، وهي تثبت أن الرافضة هم الأصل في إدخال هذه البدعة على المسلمين. لكن القول بأن نسبة التجسيم إليهم قد جاءت من الخصوم، ولا شاهد عليها من كتب

---

(١) انظر: ص (٥٢٨) هامش رقم: (٣).

(٢) انظر: المجلسي في دفاعه عن هؤلاء في بحار الأنوار: ٣/٢٩٠-٢٩٢.

(٣) يعني هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي.

(٤) يشير إلى ما نسب إليهما من القول بالجسم، والقول بالصورة.

(٥) بحار الأنوار: ٣/٢٨٨.

الشيعة قد يتوهمه من يقرأ إنكار المنكرين لذلك من الشيعة، وإلا فالواقع خلاف ذلك.

إذ قد جاء من رواياتهم في كتبهم المعتمدة ما يدل على أن متكلمي الشيعة كهشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي ويونس بن عبد الرحمن القمي وأمثالهم لم يكتفوا بمجرد إثبات الصفات كما دل عليه القرآن والسنة، بل تجاوّزوا ذلك حتى ابتدعوا الغلو في الإثبات والتجسيم.

جاء في أصول الكافي للكليني، وفي التوحيد لابن بابويه وغيرهما ما يدل على أن الشيعة في سنة (٢٥٥هـ) قد تاهوا في بيداء مظلمة، إذ قد غرقوا في خلافهم في التجسيم فمن قائل إنه صورة، ومن قائل إنه جسم، وقد صوروا هذا الواقع لإمامهم فحكم عليهم بأنهم بمعزل عن التوحيد، تقول الرواية كما يرويها صدوقهم القمي عن سهل قال كتبت إلى أبي محمد سنة (٢٥٥هـ) قد اختلف ياسيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول هو جسم[1]، ومنهم من يقول هو صورة فإن رأيت ياسيدى أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك؟

فوقع بخطه سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول، الله تعالى واحد أحد ضمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام ويصور ما يشاء وليس بمصوَّر، جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، وتعالى أن يكون له شبيه هو لا غيره ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[2].

---

(١) «لفظ» الجسم وأمثاله من الألفاظ المبتدعة التي لم يرد نفي لفظها ولا إثباته في الكتاب والسنة.. الحق التوقف في مثل هذه الألفاظ فلا يثبت اللفظ ولاينفى لعدم ورود دليل النفي أو الإثبات. وأما المعنى فإن أراد حقاً قبل وإن أراد باطلاً رد وإن اشتمل كلامه على حق وباطل فلابد من الاستفصال وتبيين الحق من الباطل. والله أعلم.

انظر: التدمرية ص٦٥ (بتحقيق محمد بن عودة السعودي) وانظر: معنى الجسم في اللغة وعند النظار والمتكلمين: في مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٢/٣١٦-٣١٨.

(٢) أصول الكافي: ١/١٠٣، التوحيد لابن بابويه: ص١٠١-١٠٢، بحار الأنوار: ٣/٢٦١.

وقد كان لهشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي بالذات دور ظاهر في اتجاه التجسيم عند الشيعة كما تذكر ذلك مجموعة من رواياتهم. جاء في أصول الكافي وغيره».. عن محمد بن الفرج الرّخجي قال «كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ماقال الهشامان[1].

وكان الأئمة يتبرؤون منهما ومن قولهما، وحينما جاء بعض الشيعة إلى إمامهم وقال له: «إني أقول بقول هشام» قال إمامهم (أبو الحسن على بن محمد) «ما لكم ولقول هشام؟ إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة»[2].

وتفصح بعض رواياتهم عما قالوه في الرب جل شأنه وتقدست أسماؤه، فهذا أحد رجالهم[3] ينقل لأبي عبد الله- كما تقول الرواية- ما عليه طائفة من الشيعة من التجسيم فيقول: إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر إنه في صورة أمرد جعد قطط! فخرّ أبو عبد الله عليه السلام ساجداً ثم رفع رأسه فقال: سبحان الذي ليس كمثله شيء، ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به علم...»[4].

وروى ابن بابويه عن إبراهيم بن محمد الخراز ومحمد بن الحسين قالا: دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ماروي أن محمداً رأى ربه في هيئة الشاب الموفق في سن أبناء ثلاثين سنة، رجلاه في خضره وقلنا: إن هشام بن

---

(١) أصول الكافي: ١/١٠٥، وانظر هذه الرواية في التوحيد لصدوقهم ابن بابويه ص٩٧، وفي «أمالي الصدوق»: ص٢٢٨، وبحار الأنوار: ٣/٢٨٨، وللحر العاملي/ الفصول المهمة ص١٥.

(٢) ابن بابويه/ التوحيد: ص١٠٤، بحار الأنوار: ٣/٢٩١.

(٣) سمته الرواية: يعقوب السراج وهو من ثقاتهم (انظر: الفهرست للطوسي ص٢١٤).

(٤) ابن بابويه/ التوحيد ص١٠٣-١٠٤، بحار الأنوار: ٣/٣٠٤.

سالم وصاحب الطاق[1] والميثمي[2] يقولون: إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد، فخر ساجداً ثم قال سبحانك ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك، سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك...»[3].

فأنت ترى أن كبار متكلميهم قد غلوا في الإثبات، حتى شبهوا الله جل شأنه بخلقه وهو كفر بالله سبحانه؛ لأنه تكذيب لقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[4] وعطلوا صفاته اللائقة به سبحانه فوصفوه بغير ما وصف به نفسه، وإمامهم كان ينكر عليهم هذا المنهج الضال، ويأمر بالالتزام في وصف الله، بما وصف به نفسه. ورواياتهم في هذا الباب كثيرة[5].

فهذا الاتجاه إلى الغلو في الإثبات، قد طرأ على الإثبات الحق الذي عليه علماء أهل البيت وأصبح المذهب يتنازعه اتجاهان اتجاه التجسيم الذي تزعمه هشام، واتجاه التنزيه الذي عليه أهل البيت كما تشير إليه روايات الشيعة نفسها، وكما هو «ثابت مستفيض في كتب أهل العلم»[6].

* * *

---

(١) يعني محمد بن علي بن النعمان أبو جعفر، لأنه يلقب بشيطان الطاق والشيعة يقولون عنه «مؤمن الطاق» (سبقت ترجمته ص: ٢٠٧).

(٢) هو: علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار، من وجوه متكلمي الشيعة، وتلميذ هشام بن الحكم، له كتب منها كتاب «الإمامة» انظر: رجال النجاشي ص١٧٦.

(٣) ابن بابويه/ التوحيد ص١١٣-١١٤، بحار الأنوار: ٤/٤٠، أصول الكافي: ١/١٠١-١٠١.

(٤) الشورى: آية: ١١.

(٥) لمعرفة المزيد من الشواهد انظر كتاب: التوحيد لابن بابويه، باب أنه عز وجل ليس بجسم ولاصورة ص: ٩٧-١٠٤، وفيه عشرون رواية، وأصول الكافي: باب النهى عن الجسم والصورة: ١/١٠٤-١٠٦، وفيه ثماني روايات، وفي بحار الأنوار في باب نفي الجسم والصورة والتشبيه وفيه (٤٧) رواية، وفي ترجمة هشام بن الحكم، وهشام بن سالم، ويونس ابن عبد الرحمن في رجال الكشي أمثلة أخرى لهذا الاتجاه، وانظر بعض روايات هذه المسألة أيضا عند: الطبطبائي/ مجالس الموحدين في أصول الدين: ص٢٣.

(٦) منهاج السنة: ٢٠/١٤٤.

□ المبحث الثاني □

التعطيل عندهم

بعد هذا الغلو في الإثبات بدأ تغير المذهب في أواخر المائة الثالثة حيث تأثر بمذهب المعتزلة في تعطيل الباريء سبحانه من صفاته الثابتة له في الكتاب والسنة، وكثر الاتجاه إلى التعطيل عندهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه كالموسوي الملقب بالشريف المرتضى، وأبي جعفر الطوسي، واعتمدوا في ذلك على كتب المعتزلة[1]. وكثيراً مما كتبوه في ذلك منقول عن المعتزلة نقل المسطرة، وكذلك ما يذكرونه في تفسير القرآن في آيات الصفات والقدر ونحو ذلك هو منقول من تفاسير المعتزلة[2].

ولهذا لا يكاد القاريء لكتب متأخري الشيعة يلمس بينها وبين كتب المعتزلة في باب الأسماء والصفات فرقا، فالعقل- كما يزعمون- هو عمدتهم فيما ذهبوا إليه، والمسائل التي يقررها المعتزلة في هذا الباب أخذ بها شيوخ الشيعة المتأخرون كمسألة خلق القرآن، ونفي رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، وإنكار الصفات.

بل إن الشبهات التي يثيرها المعتزلة في هذا، هي الشبهات التي يثيرها شيوخ الشيعة المتأخرون.

والفرق الذي قد يلمسه القاريء في هذه المسألة هو أن الشيعة أسندوا روايات إلى الأئمة تصرح بنفي الصفات وتقول بالتعطيل مع أنهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية قد «أسسوا دينهم على أن باب التوحيد والصفات لا يتبع فيه

---

(١) انظر: منهاج السنة: ١/٢٢٩.

(٢) المصدر السابق: ١/٣٥٦.

ما رأوه بقياس عقولهم»[1]. وهذا تلمسه في طريقة احتجاجهم على مذهبهم في التعطيل كما في النكت الاعتقادية للمفيد، ونهج المسترشدين لابن المطهر وغيرها من كتبهم الكلامية حيث اعتمدوا المنهج العقلي الكلامي البحت في صفات الله.

وهذا مخالف للمنهج الشرعي والعلمي والعقلي؛ إذ أن صفات الله سبحانه من الغيب الذي يتوقف العلم به على الكتاب والسنة.

ومع اعتمادهم الدليل العقلي كمنهج أهل الاعتزال فإنك تلاحظ أنهم جاءوا بروايات كثيرة عن الأئمة يسندون بها مذهبهم في التعطيل، ويفترون على أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- وبعض علماء أهل البيت كمحمد الباقر وجعفر الصادق بأنهم يقولون بالتعطيل. واعتبر بعض شيوخهم المعاصرين أن هذا هو عمدتهم في نفي الصفات حيث قال- تحت عنوان: طريقة معرفة الصفات- «هل يبقي مجال للبحث عن الصفات وهل له طريق إلا الإذعان بكلمة أمير المؤمنين رضي الله عنه كمال الإخلاص نفي الصفات عنه»[2].

فترى القوم ليس لهم منهج ثابت، ذلك أن مسلك التقليد عرضة لتناقض، فهم حيناً يعتمدون العقل، وتارة يعتمدون الخبر.. فهم بين مشرب أخباري، ومشرب اعتزالي عقلي يتأرجحون.

هذا والثابت عن عليّ رضي الله عنه وأئمة أهل البيت إثبات الصفات لله..

والنقل بذلك ثابت مستفيض في كتب أهل العلم[3]. وهذا أيضاً ما تعترف به بعض روايات لهم موجودة وسط ركام هائل من التعطيل وسيرد شيء منها بعد قليل.

ولكن الأمثلة على رواياتهم التي نسبوها لأهل البيت والتي تصرح بنفي

---

(١) منهاج السنة: ٢/٧٨-٧٩ تحقيق د. محمد رشاد سالم، أو ج١/٢٣٢ من ط: الأميرية.

(٢) الزنجاني/ عقائد الإمامية الاثنى عشرية ص٢٨.

(٣) منهاج السنة: ٢/١٤٤.

الصفات كثيرة منها قولهم: «وكمال التوحيد نفى الصفات عنه»[1]، وقولهم: «وحمد الله نفي الصفات عنه»[2] «ولا نفي (للتشبّيه) مع إثبات الصفات»[3].

وصرح علامتهم ابن المطهر بأن مذهبهم في الأسماء والصفات كمذهب المعتزلة[4]، ومنهم من قال: «وكمذهب الفلاسفة»[5].

كما وصفت مجموعة من رواياتهم رب العالمين بالصفات السلبية التي ضمنوها نفي الصفات الثابتة له سبحانه، فقد روى ابن بابويه أكثر من سبعين رواية تقول إنه تعالى «لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا كيفية، ولا حركة، ولا انتقال، ولا بشيء من صفات الأجسام وليس حساً ولا جسمانياً ولا صورة..»[6].

وشيوخهم ساروا على هذا النهج الضال من تعطيل الصفات الواردة في الكتاب والسنة ووصفه سبحانه بالسلوب. قال شيخهم محمد الحسيني الشهير بالقزويني (ت١٣٠٠هـ) والذي يلقبونه بالإمام الثالث عشر لأنه قابل منتظرهم- المزعوم- ثلاث مرات. قال في وصف الله سبحانه: «.. لاجزء له، وما لا جزء له لا تركيب فيه، وما ليس بمركب ليس بجوهر ولا عرض وما ليس بجوهر ليس بعقل ولا نفس ولا مادة ولا صورة ولا جسم وما ليس بجسم ليس في مكان ولا في زمان ولا في جهة، ولا في وقت، وما ليس في جهة لا كم له ولا كيف ولا رتبة، وما لا كم له وكيف له ولا جهة لا وضع له، وما ليس له وضع ولا في وقت ولا في مكان لا إضافة له ولا نسبة، وما لا نسبة له لا فعل فيه ولا انفعال، وما ليس بجسم ولا لون ولا في مكان ولا جهة لا يرى ولا يدرك..»[7].

---

(١) التوحيد لابن بابويه: ص٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص٣٤-٣٥. (٣) السابق ص٤٠.

(٤) ابن المطهر/ نهج المسترشدين ص٣٢.

(٥) الطبطبائي/ مجالس الموحدين في أصول الدين ص(٢١).

(٦) انظر: التوحيد/ لابن بابويه ص٣١ وما بعدها.

(٧) قلائد الخرائد في أصول العقائد ص٥٠، وانظر في مثل هذه الطريقة ابن المطهر/ نهج المسترشدين ص٤٥-٤٧، الطبطبائي/ مجالس الموحدين في أصول الدين ص٢١.

فأنت ترى أن هذا النفي المحض الذي استقاه من ركام الفلاسفة وغثاء الملاحدة يتضمن نفي الوجود الحق ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1].

وليس هذا بجديد فهو سبيل من زاغ وحاد عن منهج الرسل عليهم السلام «من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة[2] والمتفلسفة والجهمية[3] والباطنية[3] ونحوهم. فإنهم يصفونه سبحانه بالصفات

---

(١) الصافات، آية: ١٨٠-١٨٢.

(٢) ذهب جملة من الصابئة إلى وصف الله سبحانه بالسلوب، ولذلك قال البيروني عن صابئة حران: إنهم يصفون الله سبحانه بالسلب لا بالإيجاب كقولهم: لا يحد ولا يرى ولا يظلم ولا يجور، ويسمونه بالأسماء الحسنى مجازاً إذ ليس عندهم صفة بالحقيقة وينسبون التدبير إلى الفلك وأجرامه (الآثار الباقية عن القرون الخالية ص٢٠٥)، وطائفة الصابئة عموماً اختلف في أمرها فقد أخرج الطبرى بسنده عن مجاهد وغيره أنهم قالوا: «الصابئون قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين. (انظر: تفسير الطبرى: ١٤٦/٢ من تحقيق أحمد ومحمود شاكر). وهذا ما رجحه ابن كثير (انظر: تفسير ابن كثير: ١٠٧/١)، واختار الرازي أن الصابئين قوم يعبدون الكواكب في زمان إبراهيم (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٤٣) ويذكر الشهرستاني أن الفرق في زمان إبراهيم يرجعون إلى صنفين صابئة وحنفاء (الملل والنحل: ٢٣٠/١) وأنهم بحكم ميلهم عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة، لأن صبأ في اللغة بمعنى مال وزاغ (المصدر السابق: ٥/٢) وانظر عن الصابئة (بالإضافة لما أشير إليه من مصادر) التبصير في الدين للإسفراييني ص٨٩، الرد على المنطقيين لابن تيمية ص٢٨٧-٢٨٩، ٤٥٤- ٤٥٧، الخطط للمقريزي: ٣٤٤/٢.

(٣) **الجهمية**: أتباع الجهم بن صفوان، من ضلالاته القول بنفي الصفات وبدع أخرى كالقول بالإرجاء، والجبر، وفناء الجنة والنار. (انظر عن الجهم والجهمية: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٦٤ وما بعدها، خلق أفعال العباد للبخارى ص١١٨ وما بعدها، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ٢١٤/١ وما بعدها، التنبيه والرد/ للملطي ص٢١٨، التبصير في الدين/ للإسفراييني ص٦٣، والبدء والتاريخ/ للمقدسي: ١٤٦/٥، تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي وغيرها.

ومصطلح الجهمية لم يعد مختصاً بالجهمية المحضة أتباع جهم بن صفوان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة جهمياً (مجموع الفتاوى جـ: ١١٩/١٢) وقال في موضع آخر: «ومن الجهمية: المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق... (المصدر السابق: ٥٢٤/١٢).

(٤) **الباطنية**: من ألقاب الإسماعيلية ومر التعريف بها ص: (٩٧).

السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً لا حقيقة له عند التحصيل فقولهم يستلزم غاية التعطيل وهو نفي الوجود الحق، لأنهم يعطلون الأسماء والصفات تعطيلاً يستلزم نفي الذات.

كما يستلزم غاية التمثيل حيث يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات[1].

وهؤلاء جميعهم يفرون من شيء فيقعون في نظيره وفي شر منه مع ما يلزمهم من التحريفات والتعطيلات[2].

والله سبحانه بعث رسله في صفاته بإثبات مفصل، ونفي مجمل[3].

ولهذا يأتي الإثبات للصفات في كتاب الله مفصلاً، والنفي مجملاً[4].

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[5]. فالنفي جاء مجملاً (ليس كمثله شيء) وهذه طريقة القرآن في النفي غالباً. قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾[6] أي نظيراً يستحق مثل اسمه، ويقال مسامياً يساميه[7].

وهذا معنى ما يروى عن ابن عباس هل تعلم له مثلاً أو شبيهاً[8].

وقال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[9].

أما في الإثبات فيأتي التفصيل «وهو السميع البصير» وكآخر سورة الحشر:

---

(١) انظر: التدمرية لابن تيمية: ص١٦.
(٢) انظر: المصدر السابق: ص١٩.
(٣) انظر: السابق: ص٨.
(٤) شرح الطحاوية ص٤٩.
(٥) الشورى، آية: ١١.
(٦) مريم، آية: ٦٥.
(٧) التدمرية ص٨، وانظر: لسان العرب مادة «سما».
(٨) تفسير الطبري: ١٦/١٠٦.
(٩) الإخلاص، آية: ٤.

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وشواهد هذا كثيرة[2].

فطريقة هؤلاء في النفي المحض لا تتفق مع طريقة القرآن، كما لا تتفق مع الفطر السليمة والعقول الصريحة؛ بل هي منكرة في مدح البشر للبشر فكيف يوصف بها رب العالمين[3].

والشيعة تروي عن أئمتها «أن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه» ولكنها تعرض عن ذلك كما أعرضت عن كتاب الله سبحانه، وعن مقتضى العقل والفطرة وتؤثر في ذلك التقليد المحض، والأخذ من «نفايا» الفلسفات البائدة وإلا فكيف يتجرأ عاقل على الاعتماد في أمر غيبي لا سبيل للوصول إلى المعرفة فيه على سبيل التفصيل إلا بخبر السماء على العقل القاصر والفكر العاثر، وتحكيم خيالات البشر المتناقضة، وتصوراتهم المتعارضة..

وهؤلاء المعطلة قد رد عليهم أئمة الإسلام وبينوا باطلهم ولن نكرر القول ونبديء فيه ونعيد.. ولكن الذي يمكن أن يضاف في هذا المجال بعد ظهور الكتاب الشيعي وانتشاره هو تصوير هذه المسألة من كتب الشيعة ومن خلال روايات

---

(١) الحشر، آية: ٢٢ ـ ٢٤.

(٢) وقد استعرض أكثرها شيخ الإسلام في الرسالة التدمرية ص٨ وما بعدها.

(٣) قال شارح الطحاوية: «وهذا النفي المجرد مع كونه لا مدح فيه، فيه إساءة أدب، فإنك لو قلت للسلطان: أنت لست بزبال ولاحجام ولاحائك! لأدبك على هذا الوصف وإن كنت صادقاً، وإنما تكون مادحاً إذا أجملت النفي، فقلت: أنت لست مثل أحد من رعيتك، أنت أعلى منهم وأشرف وأجل، فإذا أجملت في النفي، أجملت في الأدب (علي بن أبي العز/ شرح الطحاوية/ ٥٠).

الشيعة عن أئمتها، وكلام شيوخهم المبني على مجاراة أهل التعطيل، ليتبين مدى تناقضهم، وانفصالهم عن أئمتهم، ومدى تدخل الأيدي السبئية لتحوير مذهب الأئمة، ووضع روايات تحاكي مذهب التعطيل، وتصدق مذهبهم في التقليد، وسأختار ثلاث مسائل في ذلك:

الأولى: مسألة خلق القرآن.

والثانية: مسألة الرؤية.

والثالثة: مسألة النزول الإلهي.

ثم أبين بعد ذلك من خلال نصوص الشيعة نفسها أن مذهب الأئمة كان وسطاً بين غلو الممثلة، وجفاء المعطلة. وهو ما يتفق مع مذهب أهل السنة وهو الموافق للنقل الصحيح والعقل الصريح.

* **المسألة الأولى:** قولهم بأن القرآن مخلوق:

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وعلى هذا دل الكتاب والسنة وإجماع السلف[1]، والاثنا عشرية حذت حذو الجهمية في القول بخلق القرآن فقد عقد شيخ الشيعة في زمنه المجلسي في البحار في كتاب القرآن باباً بعنوان: «باب أن القرآن مخلوق»[2] أورد فيه إحدى عشرة رواية، ومعظم هذه الروايات تخالف ما ذهب إليه، ولكن لشيوخ الشيعة مسلكاً في تأويلها سنذكره بعد قليل.

ويقول آية الشيعة محسن الأمين: «قالت الشيعة والمعتزلة القرآن مخلوق»[3].

---

(١) انظر في تقرير مذهب السلف في ذلك والرد على المخالفين: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد، كتاب خلق أفعال العباد للبخاري والرد على الجهمية للدارمي، وكتاب رد عثمان بن سعيد على المريسي العنيد، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة، والرد على من يقول القرآن مخلوق للنجاد، والرد على الجهمية لابن منده وغيرها.

(٢) بحار الأنوار: ٩٢/١١٧-١٢١.

(٣) أعيان الشيعة: ١/٤٦١.

وهذا بناءً على إنكارهم لصفة الكلام لله وزعمهم أن الله سبحانه «يوجد الكلام في بعض مخلوقاته كالشجرة حين كلم موسى، وكجبرائيل حين أنزله بالقرآن»[1].

هذا بعض ما يقوله شيوخهم في هذا الأمر[2].

وإذا رجعت إلى الروايات التي ينقلونها عن (آل البيت) وجدتها تخالف في أكثرها مايذهب إليه هؤلاء، فمن ذلك:
ما جاء في تفسير العياشي: «عن الرضا أنه سئل عن القرآن فقال... إنه كلام الله غير مخلوق..»[3].

وفي رجال الكشي: «... إن الكلام ليس بمخلوق..»[4].

وفي «التوحيد» لابن بابويه القمي قيل لأبي الحسن موسى رضي الله عنه «يابن رسول الله ما تقول في القرآن: فقد اختلف فيه من قبلنا فقال قوم: إنه مخلوق، وقال قوم إنه غير مخلوق، فقال رضي الله عنه: أما إني لا أقول في ذلك ما يقولون، ولكني أقول: إنه كلام الله عز وجل»[5].

---

(١) المصدر السابق: ١/٤٥٣.

(٢) وقد سئل شيخ الإسلام عمن قال ذلك فأفتى بكفره وأنه يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، وقال بأنه يكفر ولو قال: أنا لا أكذب قوله تعالى: ﴿**وكلم الله موسى تكليماً**﴾ [النساء، آية: ١٦٤]. بل أقر بأن هذا اللفظ حق، ولكن أنفي معناه وحقيقته، وقال بأن هؤلاء هم الجهمية الذين اتفق السلف والأئمة على أنهم من شر أهل الأهواء والبدع، حتى أخرجهم كثير من الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة (انظر: مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية: ١/٤٧٤، أو مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/٥٠٢، وقال في موضع آخر إن سلف الأمة وأئمتها كفروا الجهمية الذين قالوا: إن الله خلق كلاماً في بعض الأجسام سمعه موسى وفسر التكليم بذلك: (مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/٥٣٣).

(٣) تفسير العياشي: ١/٨.

(٤) رجال الكشي: ص٤٩٠.

(٥) ابن بابويه/ التوحيد ص٢٢٤.

وفي هذا المعنى روايات كثيرة عندهم[1].

ولكن يلاحظ أن شيخ الشيعة في زمنه ابن بابويه القمي قد ذهب في تأويل هذه النصوص إلى اتجاه آخر فأثبت أن قول الأئمة القرآن غير مخلوق يعني «أنه غير مخلوق أي غير مكذوب لا يعني به أنه غير محدث»[2]. وقال: «وإنما امتنعنا من إطلاق المخلوق عليه لأن المخلوق في اللغة قد يكون مكذوباً، ويقال : كلام مخلوق أي مكذوب»[3].

ولا شك أن هذا التأويل لا يسلم له لأنه من الواضح أن النصوص السابقة ترد على ما ذهب إليه أهل الاعتزال من القول بأن القرآن مخلوق فقال السلف رداً عليهم: إنه غير مخلوق ولم يريدوا بذلك أنه غير مكذوب كما يزعم ابن بابويه وغيره، فإن أحداً من المسلمين لم يقل إنه مكذوب، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وإنما قالوا إنه مخلوق خلقه في غيره فرد السلف هذا القول كما تواترت الآثار عنهم بذلك وصنف في ذلك مصنفات متعددة[4].

وفي كتاب تفسير الصراط المستقيم لآيتهم البروجردي نقل نصاً عن ابن بابويه- أيضاً- يحيل فيه النصوص التي فيها المعنى السابق على التقية فقال: «ولعل المنع من إطلاق الخلق على القرآن إما للتقية مماشاة مع العامة، أو لكونه موهماً لمعنى آخر أطلق الكفار عليه بهذا المعنى في قولهم : إن هذا إلا اختلاق»[5].

فلم يجد هؤلاء الشيوخ ما يلوذون به إلا القول «بالتقية» أو ما ماثلها.. وهذا المنهج يثبت أنهم ليسوا على شيء، وأن احتمال التقية في كل نص قد أفسد عليهم أمرهم وأضاع حقيقة المذهب فأصبح دينهم دين المجلسي، أو الكليني، أو

---

(١) انظر في ذلك: البحار: ٩٢/١١٧-١٢١، التوحيد: ص٢٢٣-٢٢٩.

(٢) انظر: التوحيد ص٢٢٥، البحار: ٩٢/١١٩.

(٣) الموضع نفسه من المصدرين السابقين.

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/٣٠١.

(٥) تفسير الصراط المستقيم: ١/٣٠٤.

ابن بابويه القمي لا روايات الأئمة[1]..

وتسنى لكل شيخ، أو زنديق أو مفتر يلبس ثوب المشيخة، ويتظاهر بالعلم أن يأخذ ما شاءت له زندقته أو جهله وهواه وتعصبه واحداً من هذه الأقوال المتعارضة المتضاربة ويعرض عن الأقوال الأخرى ولو كانت حقاً ويجد ما يبرر هذا التصرف من الاحتجاج بالتقية، أو دعوى أن في ذلك مخالفة للعامة– أي أهل السنة– ففي خلافهم الرشاد– كما يفترون– وهكذا يضيع العلم والحق والدين بهذه الطريقة الماكرة، ويكتب على الأمة الفرقة والخلاف بهذه الأساليب التي هي من وحي الشيطان ومكره.. ولو أحسن محسن للشيعة وأراد بها الخير من شيوخها لسلك بها طريق الجماعة وأخذ من رواياتهم ما يتفق وكتاب الله، وما عليه أهل السنة والجماعة، وتخلص من مكر القمي والكليني والمجلسي، ولا سيما، والأئمة تشتكي من كثرة الكذابين عليها حتى قالوا: «بأن الناس أولعوا بالكذب علينا»[2].

ولو أردت أن تطبق هذه النظرية أعني ما تتفق فيه روايات أهل السنة مع روايات الشيعة عن أهل البيت في هذه المسألة لوجدت أن كتب الشيعة روت– كما سبق– روايات عن أهل البيت بأن كلام الله منزل غير مخلوق وكتب أهل السنة روت مثل هذا فقد أخرج البخاري في كتاب أفعال العباد[3] وابن

---

(١) راجع كتاب «درة نجفية» لشيخهم هاشم البحراني ص٦٠ وما بعدها، فقد عرض لاختلاف الروايات عندهم من أجل التقية، وكشف عن حيرتهم بأي الأقوال يؤخذ هل يؤخذ بالأول أم بالأخير أو يتوقف أو يخير في الأخذ بأيهما شاء أم ماذا يفعل بهذه الأقوال المتعارضة المتناقضة فقد جعلت التقية كما يقول هذا البحراني «مناط الأحكام لا تخلو من شوب وريب وتردد لكثرة الاختلافات في تعارض الأدلة وتدافع الأمارات» درة نجفية: ص٦١، وانظر فصل «التقية» في هذه الرسالة.

(٢) رجال الكشي: ص١٣٥-١٣٦، وللاطلاع على المزيد من الشواهد ارجع إلى فصل «عقيدتهم في السنة» ص: (٣٦٢).

(٣) خلق أفعال العباد ص٣٦ (تحقيق البدر) وص١٣٥ (ضمن مجموعة عقائد السلف، تحقيق النشار وعمار الطالبي).

أبي حاتم[1]، وأبو سعيد الدارمي[2]، والآجري في الشريعة[3]، والبيهقي في الاعتقاد[4]، والأسماء والصفات[5]، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[6]، وأبو داود في مسائل الإمام أحمد[7] عن جعفر الصادق أنه قال حينما سئل عن القرآن قال : «ليس بخالق ولا مخلوق». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه قد استفاض ذلك عن جعفر[8].

فلماذا لا يؤخذ بالمعنى الحق المتفق عليه ويترك الباطل الذي لا يسنده إلا أقوال شيوخ يبغون في الأمة الفرقة والخلاف، وينشدون الشذوذ والعزلة ليتسنى لهم تحصيل الأموال الطائلة باسم الخمس، وتتحقق لهم الوجاهة الاجتماعية، والمنزلة (المقدسة) باسم النيابة عن الإمام الغائب ولهذا ما برحوا يؤكدون على القول إن ما خالف العامة ففيه الرشاد.

«والعامة» أو أهل السنة بالمعنى العام يدخل فيه المعتزلة[9] وهم قلدوا المعتزلة في هذا، ذلك أن مسألة خلق القرآن من عقائد أهل الاعتزال، قال عبد الجبار في شرح الأصول الخمسة: «وأما مذهبنا في ذلك (أي في القرآن) فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه وهو مخلوق محدث»[10].

---

(١) كما في منهاج السنة لابن تيمية: ١٨٧/٢-١٨٨ تحقيق د/ محمد رشاد سالم.

(٢) الرد على الجهمية ص١٠١.

(٣) الشريعة ص٧٧.

(٤) الاعتقاد ص٣٦ وقال البيهقي بعد ذكره: «فهو عن جعفر صحيح مشهور، وقد روي ذلك عن جعفر بن محمد عن أبيه عليّ بن الحسين، وروي عن الزهري عن علي بن الحسين، ورويناه من أوجه عن مالك بن أنس وهو مذهب كافة أهل العلم قديماً وحديثاً (المصدر السابق: ص٣٩).

(٥) الأسماء والصفات: ص٢٤٧.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٢٣٨/٢، ٢٤١-٢٤٢.

(٧) مسائل الإمام أحمد ص٢٦٥ ط: بيروت أو ص ١٠٦-١٠٧ (ضمن مجموعة عقائد السلف).

(٨) منهاج السنة: ٢٧٨/١.

(٩) انظر: منهاج السنة: ١٦٣/٢ تحقيق د/ محمد رشاد سالم.

(١٠) شرح الأصول الخمسة ص٥٢٨، وانظر: المحيط بالتكليف ص٣٣١.

وقد تلقته الشيعة فيما تلقته من آراء المعتزلة.. فهي بضاعة اعتزالية فلم يتحقق لهم مخالفة العامة.

وأول من قال بهذه المقالة هو الجعد بن درهم[1].

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : سمعت أبي يقول: «أول من أتى بخلق القرآن جعد بن درهم[2] فهو أول من قال بمبدأ التعطيل في هذه الأمة ثم تلقى ذلك عنه الجهم بن صفوان»[3].

ويشير البعض إلى أن هذه المقالة ترتد في أصولها إلى مؤثرات أجنبية فقد ذكر ابن الأثير، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما أن الجعد أخذ ذلك- أي القول بخلق القرآن- عن أبان بن سمعان، وأخذه هذا من طالوت بن أخت لبيد بن أعصم اليهودي الذي سحر النبي ﷺ وكان يقول بخلق التوراة، وكان طالوت زنديقاً وهو أول من صنف لهم في ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم[4]، كما يذكر الخطيب البغدادي أن والد بشر المريسي وهو أحد كبار القائلين بخلق القرآن من المعتزلة كان يهودياً[5].

ومن هنا يظهر الأثر اليهودى في ظهور هذه المقالة.

---

(١) قال ابن حجر: «الجعد بن درهم عداده في التابعين، مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولم يكلم موسى فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة (لسان الميزان ١٠٥/٢، ميزان الاعتدال: ٣٩٩/١، ابن نباته/ سرح العيون: ص٢٩٣-٢٩٤).

(٢) اللالكائي/ شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص٣٨٢. ويلاحظ أن النص المذكور له تتمة هي «وقاله (أي خلق القرآن) في سنة نيف وعشرين ومائة» ولم يتعقب المحقق هذا النص بشيء رغم أن الجعد قتل نحو سنة ١١٨هـ.

(٣) انظر: ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية: ١٢٧/١، مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢٠/٥، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٤٤/٥، ابن نباتة، سرح العيون: ص٢٩٣.

(٤) انظر: ابن الأثير/ الكامل: ٢٩٤/٥، ابن تيمية/ الحموية (ضمن مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٢١/٢٠/٥)، ابن نباتة/ سرح العيون ص٢٩٣، السفاريني/ لوامع الأنوار: ٢٣/١.

(٥) تاريخ بغداد: ٦١/٧.

ويشير شيخ الإسلام- رحمه الله- إلى مؤثرات أخرى حيث يذكر أن الجعد ابن درهم كان من أهل حران، وكان فيهم من بقايا الصابئين والفلاسفة خصوم إبراهيم عليه السلام فلهذا أنكر تكليم موسى وخلة إبراهيم موافقة لفرعون والنمرود بناء على أصل هؤلاء النفاة وهو أن الرب تعالى لا يقوم به كلام، ولا محبة لغيره، فقتله المسلمون، ثم انتشرت مقالته في من ضل من هذا الوجه[1].

وتلك الروايات الواردة في كتب الشيعة والتي تنص على أن القرآن منزل غير مخلوق قد تمثل مذهب قدماء الشيعة الذين كانوا على هذا الاعتقاد كما أشار إلى ذلك أهل العلم[2]؛ لأن القول بأن القرآن مخلوق هو من إحداث متأخري الشيعة[3].

كما أن الاعتقاد بأن القرآن منزل غير مخلوق، هو الثابت عن أهل البيت، إذ ليس من أئمة أهل البيت مثل علي بن الحسين وأبي جعفر الباقر وابنه جعفر بن محمد من يقول بخلق القرآن، ولكن الإمامية تخالف أهل البيت في عامة أصولهم[4].

أما قولهم بأن كلام الله لموسى خلقه في شجرة فهو مخالف لصريح قوله سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[5] فالتأكيد بالمصدر «تكليماً» ينفي التأويل الذي يشيرون إليه، ولذا قال غير واحد من العلماء التوكيد بالمصدر ينفي المجاز[6].

ولو كان الأمر على ما يدعون لم يكن في ذلك مزية لموسى عليه السلام، وفضيلة اختص بها، ونوه الله سبحانه بذكرها فإن «من سمع كلام الله من ملك أو من نبي أتاه به من عند الله أفضل مرتبة في سماع الكلام من موسى، لأنهم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل: ٧/١٧٥-١٧٦.

(٢) انظر: منهاج السنة: ١/٢٩٦.

(٣) انظر: الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ١/١١٤.

(٤) منهاج السنة: ١/٢٩٦.

(٥) النساء: آية: ١٦٤.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٢/٥١٥.

سمعوه من نبي، وموسى سمعه من شجرة.. ويلزمهم أن تكون الشجرة هي التي قالت: (إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبذني) وهذا ظاهر الفساد[1].

والرد على الجهمية القائلين بنفي الصفات كثير في كلام التابعين وتابعيهم، والأئمة المشاهير، وفي مسألة القرآن آثار كثيرة جداً[2]، وهي مذكورة في الكتب المتخصصة في ذلك[3]. ولكن الذي يمكن أن يضاف فيما يتصل بنقد المذهب الشيعي في ذلك بعد ظهور كتبهم وانتشارها أنهم وهم ينفون هذه الفضيلة لموسى عليه السلام، وينكرون مناجاة الله له ومناداته، ويزعمون أن الشجرة هي التي كلمت موسى عليه السلام، لم يأخذوا بهذا المنهج في ما يتصل بالإمام، ونسوا هذه القضية في حديثهم عن فضائل الأئمة.. لقد جاء في كتابهم المعتمد عندهم «بحار الأنوار» باب بعنوان (باب أن الله تعالى ناجاه صلوات الله عليه..»[4] وساق فيه مجموعة من رواياتهم في هذا المعنى عزاها -كعادته- إلى طائفة من كتبهم المعتمدة تقول إحدى هذه الروايات «لما بعث رسول الله ﷺ ببراءة مع أبي بكر وأنزل الله عليه: تترك من ناجيته غير مرة، وتبعث من لم أناجه؟[5] فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ براءة منه ودفعها إلى علي رضي الله عنه فقال له علي: أوصني يا رسول الله، فقال له: إن الله يوصيك ويناجيك، قال: فناجاه يوم براءة قبل صلاة الأولى إلى صلاة العصر»[6].

وتقول رواية أخرى: «.. إن الله ناجاه (يعني علياً) يوم الطائف ويوم عقبة

---

(١) البيهقي/ الاعتقاد ص٣٣.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٤١٨/١٢.

(٣) انظر: ص (٥٤١). هامش (١).

(٤) بحار الأنوار: ١٥١/٣٩.

(٥) لاحظ هنا أن الله- بزعمهم- عاتب رسول الله، وبين خطأه.. وهذا يناقض دعوى العصمة المطلقة التي يصفون بها الرسول والأئمة.. والتناقض سمة عامة وظاهرة مطردة في نصوصهم.

(٦) بحار الأنوار: ١٥٥/٣٩.

تبوك، ويوم حنين»[1].

وفي بصائر الدرجات، والاختصاص وبحار الأنوار، رواية تقول: «عن أبي عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لأهل الطائف: لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي يفتح الله به الخيبر، سوطه سيفه (ثم تذكر الرواية اختيار علي لهذه المهمة، وأن الرسول لحق به ولما وصلها) «كان عليٌّ على رأس الجبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اثبت فثبت، فسمعنا مثل صرير الزجل[2] فقيل يارسول الله ما هذا؟ قال: إن الله يناجي علياً رضي الله عنه»[3].

وبغض النظر عما في هذه الرواية من أخطاء تاريخية في خلطها بين فتح خيبر والطائف، فلعل القارىء يلاحظ هذا التشبيه لكلام الحق جل شأنه...فعنصر التجسيم والتمثيل واضح في قوله «مثل صرير الزجل» ولا تشير الرواية إلى أن هذا قد سمعه عليّ من شجرة ونحوها، فما بالهم يذهبون تارة إلى التعطيل المحض، وتارة إلى التجسيم، هل هذه الروايات تمثل الأدوار التي مرت بها مراحل التشيع حينما كان الشيعة مجسمة، ثم تحولوا إلى مرحلة التعطيل في المائة الثالثة حينما هبت عليهم أعاصير الاعتزال.

أم أن وضّاع هذه الروايات يمثلون كل نحلة وكل يضع ما تمليه عليه عقيدته..

والتشيع يحتضن الجميع بلا تفريق فحب علي حسنة لا تضر معها سيئة كما يقولون.

ولا يجدون ما يلجأون إليه في تعليله سوى القول بالتقية ولا يكاد يجزم

---

(١) بحار الأنوار: ١٥٤/٣٩، الاختصاص: ص٣٢٨.

(٢) قالوا معناه «صوت الرعد» انظر: بحار الأنوار: ١٥٦/٣٩، الاختصاص: ص (٢٠٠) (الهامش).

(٣) المفيد/ الاختصاص: ص ٢٠٠-٢٠١، بحار الأنوار: ١٥٥/٣٩-١٥٦، الصفار/ بصائر الدرجات (انظر الموضع نفسه من المصدر السابق).

شيخ من مشايخهم بمعرفة أي القولين تقية إلا بالقول بأن ما خالف العامة (يعني أهل السنة) فيه الرشاد وليتهم قالوا: ما وافق القرآن هو الحق وما سواه تقية.

وبعد أليس يكفي في بيان فساد مذهبهم أنه عنصر غريب على الأمة وأنه خلاف ما عليه أهل البيت، وخلاف ما اتفقت فيه روايات لهم مع ما جاء عند أهل السنة، وأن رواياتهم كلها متعارضة متناقضة.

* * *

٢- مسألة الرؤية:

الرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١]. وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن[٢].

وقد قال بثبوت الرؤية الصحابة والتابعون، وأئمة الإسلام المعروفون بالإمامة في الدين، وسائر طوائف أهل الكلام المنسوبين إلى السنة والجماعة[٣].

وخالف في ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية[٤] وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة وإجماع السلف[٥].

---

(١) القيامة/ ٢٢، ٢٣، والنص عن الطحاوي (انظر: شرح الطحاوية ص١٤٦).

(٢) علي بن أبي العز/ شرح الطحاوية ص١٥١.

(٣) علي بن أبي العز/ شرح الطحاوية ص١٤٦.

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٥) انظر: الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٨٥، رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي: ٣/٤٥٤، وانظر التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة للآجري، ضوء الساري إلى معرفة رؤية الباري لأبي شامة، والتبصرة للشيرازي ص٢٢٩، شرح الطحاوية ص١٤٦، مختصر الصواعق المرسلة ص١٧٩.

وأذكر فيما يلي قول الشيعة من مصادرها:

لقد ذهبت الشيعة الإمامية بحكم مجاراتهم للمعتزلة إلى نفي الرؤية وجاءت روايات عديدة ذكرها ابن بابويه في كتابه التوحيد وجمع أكثرها صاحب البحار تنفي ما جاءت به النصوص من رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة فتفتري- مثلاً- على أبي عبد الله جعفر الصادق بأنه سئل «عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد؟ فقال سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.. إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية»[1].

ويظهر أن الحجة التي احتج بها هؤلاء الذين وضعوا هذه الرواية على جعفر تتضمن نفي الوجود الحق، لأن ما لا كيفية له مطلقاً لا وجود له. ولهذا قال بعض السلف حينما سئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول[2].. ولم يقل لا كيفية له.

فالمنفي هنا علم البشر بالكيفية لا ذات الكيفية، كما أن هذا يناقض ما رواه صاحب الكافي عن أبي عبد الله أنه قال: «.. ولكن لا بد من إثبات أن له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشارك فيها ولا يحاط بها ولا يعلمها غيره»[3].

وقال شيخهم وآيتهم جعفر النجفي صاحب كشف الغطا: «ولو نسب

---

(١) بحار الأنوار: ٣١/٤، وعزاه إلى أمالي الصدوق.

(٢) جاء هذا الأثر- بهذا المعنى- عن أم سلمة، فأخرجه اللالكائي بسنده عن أم سلمة موقوفاً (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣٩٧/٣، وذكره ابن حجر (فتح الباري: ٤٠٦/١٣).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها: موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه (الفتاوى: ٣٦٥/٥) كما ثبت مثل هذا الجواب عن ربيعة شيخ مالك، وروي من غير وجه عن مالك (المصدر السابق) فأخرجه اللالكائي عنهما (شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٣٩٨/٣).
والبيهقي (الأسماء والصفات ص٤٠٨-٤٠٩)، وذكره البغوي (شرح السنة: ١٧١/١) والسيوطي (الدر المنثور: ٩١/٣).

(٣) أصول الكافي: ٨٥/١.

إلى الله بعض الصفات... كالرؤية حكم بارتداده»[1]. وجعل الحر العاملي نفي الرؤية من أصول الأئمة، وعقد لذلك باباً بعنوان «باب أن الله سبحانه لا تراه عين ولا يدركه بصر في الدنيا ولا في الآخرة»[2].

فنفيهم لرؤية المؤمنين لربهم في الآخرة خروج عن مقتضى النصوص الشرعية، وهو أيضاً خروج عن مذهب أهل البيت، وقد اعترفت بعض رواياتهم بذلك، فقد روى ابن بابويه القمي عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: له أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم[3].

٣- ومثل مسألة «الرؤية» مسألة أخرى هي «نزول الرب جل شأنه»:

والذي استفاضت به السنة عن النبي ﷺ واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول[4] وإثباته على ما يليق بجلاله سبحانه ويختص بعظمته.

وقد جاءت عند الاثنى عشرية روايات نسبوها لأهل البيت تنكر ذلك[5] في حين يوجد روايات أخرى تثبت النزول الإلهي وهي التي تتفق مع نقل أهل السنة عنهم. جاء في كتب الشيعة «قال سائل لأبي عبد الله: تقول إنه ينزل إلى السماء الدنيا؟ قال أبو عبد الله: نقول بذلك، لأن الروايات قد صحت به

---

(١) كشف الغطا ص ٤١٧.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ص١٢.

(٣) ابن بابويه/ التوحيد ص١١٧، بحار الأنوار: ٤٤/٤، وانظر: رجال الكشي ص٤٥٠ (رقم ٨٤٨).

(٤) ابن تيمية/ شرح حديث النزول ص٦، وانظر: الرد على الجهمية للإمام أبي سعيد الدارمي ص٢٨٤، ورد الإمام عثمان بن سعيد على المريسي العنيد ص٣٧٧، السنة/ لابن أبي عاصم: ٢١٦/١، شرح أصول اعتقاد أهل السنة/ اللالكائي: ٤٣٤/٣.

(٥) انظر رواياته في أصول الكافي: ١٢٥/١-١٢٧، وانظر: بحار الأنوار: ٣١١/٣، ٣١٤.

والأخبار[1]. ومثل هذا المعنى جاء في تفسير القمي أصل أصول التفاسير عندهم كما أثبت ذلك صاحب البحار[2]، وإن كان ناشر الكتاب والمعلق عليه أضاف إليه ما يغير معناه[3] ولم يتفطن أن بقية النص تكشف ما زاده فيه[4].

واختلاف رواياتهم بهذه الصورة يدل على أن جانباً منها باطل بلا ريب، ولا شك بأن الروايات التي تتفق مع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإجماع السلف هي الصواب، وإن أعرض عنها شيوخ الشيعة مجاراة لأهل الاعتزال.

ثم إن اختلاف شيوخ الإمامية المتقدمين عن متأخريهم في هذا الباب يلزم منه أن أحدهما على ضلال وعليه «لزم ضرورة أن شيوخ الإمامية ضلوا في التوحيد إما متقدموهم وإما متأخروهم»[5]. وقد جاءت روايات تدل على أن الأئمة- باعتراف كتب الشيعة- قد أخذوا بالمنهج الوسط بين غلو متقدمي الشيعة في الإثبات، وبين غلو متأخريهم في التعطيل.

وعقد صاحب الكافي باباً بعنوان «باب النهي عن الصفة بغير ما وصف به نفسه تعالى وذكر فيه اثنتى عشرة رواية عن الأئمة[6] افتتح الباب برواية «عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى

---

(1) بحار الأنوار: ٣٣١/٣. وقد عزاه المجلسي إلى كتاب التوحيد لابن بابويه، وقد رجعت إلى كتاب التوحيد فوجدت الرواية إلا أن النص الذي يدل على النزول قد حذف، لكن محقق الكتاب أشار في الحاشية إلى وجود هذا النص في بعض النسخ الخطية للكتاب، ولكنه لم يثبته في الصلب لعدم موافقته لمشربه (انظر: التوحيد لابن بابويه ص٢٤٨).

(2) بحار الأنوار: ٣١٥/٣.

(3) قال «ينزل أمره» انظر: تفسير القمي: ٢٠٤/٢.

(4) حيث جاء النص: «إن الرب تبارك وتعالى ينزل كل ليلة... فإذا طلع الفجر عاد الرب إلى عرشه». (انظر: بحار الأنوار: ٣١٥/٣، تفسير القمي: ٢٠٤/٢) ولا يخفى ما فيه من الغلو في الإثبات في قوله «ثم عاد الرب إلى عرشه».

(5) منهاج السنة: ٢٧٥/١.

(6) انظر: أصول الكافي: ١/١٠٠-١٠٤.

أبي عبد الله عليه السلام: إن قوماً بالعراق يصفون الله بالصورة وبالتخطيط فكتب إليّ: سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبهون الله بخلقه المفترون على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله جل وعز فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه[1].. لا تعدوا القرآن فتضلوا بعد البيان»[2]. وعن المفضل قال: سألت أبا الحسن عن شيء من الصفة فقال: «لا تجاوز ما في القرآن»[3].

لاحظ أن هذا النص الذي ورد في أصح كتبهم الأربعة يأمرهم باتباع ما نزل به القرآن من صفات الله سبحانه.. فمن قلد أهل الاعتزال، أو حكم العقل وأعرض عن كتاب الله، لم يتبع كتاب الله، ولم يأخذ بوصية إمامه.

وقال الرضا: للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب: نفي، وتشبيه، وإثبات بغير تشبيه. فمذهب النفي لا يجوز، ومذهب التشبيه لا يجوز، لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه»[4].

فأوائل الشيعة أخذوا بالتشبيه «وأواخرهم أخذوا بالنفي، وأعرضوا عن المذهب الوسط، وهو مذهب الأئمة كما تقر به «نقولهم» فدل على أنهم ليسوا على

---

(١) مذهب السلف بين مذهبين، وهدى بين ضلالتين: هو إثبات الصفات، ونفي مماثلة المخلوقات، فقوله تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ رد على أهل التشبيه، والتمثيل. وقوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾ رد على أهل النفي والتعطيل (انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩٦/٥) لكن لفظ التشبيه صار في كلام الناس لفظاً مجملاً: يراد به المعنى الصحيح وهو ما نفاه القرآن ودل عليه العقل من أن صفات الرب لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته، ويراد به معنى باطل وهو أن لا يثبت لله شيء من الصفات. (انظر: شرح الطحاوية ص٤٠).

(٢) أصول الكافي: ١٠٠/١.

(٣) السابق: ١٠٢/١.

(٤) بحار الأنور: ٢٦٣/٣.

شيء في هذا الباب فلم يأخذوا بمنهج القرآن والسنة ولم يأخذوا بطريقة الأئمة الذين يزعمون أنهم قدوتهم، بل ساروا مع أهل التمثيل أولاً، وخالفوا قول الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ ثم أخذوا بمسلك أهل التعطيل وأعرضوا عن نصوص الصفات الواردة عن الله ورسوله.

* * *

□ المبحث الثالث □

وصفهم الأئمة بأسماء الله وصفاته

وهو ما انفردت به الشيعة، وشذت به عن الأمة... فإذا كان شيوخ الشيعة المتقدمون قد شبهوا الخالق سبحانه بصفات المخلوقين، ثم واجه هذه الموجة الغالية في التجسيم موقف آخر قد يمثل ردة فعل له، وهو موقف التعطيل..

فشبهوا الله سبحانه بالمعدومات والجمادات والممتنعات، وعطلوا نصوص الأسماء والصفات.

فهم لم يصفوا الله سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ لا في مذهبهم الأول ولا في مذهبهم الأخير.. إذا كان الأمر كذلك فإنهم لم يكتفوا بذلك، بل تطور الأمر إلى أن الأسماء والصفات الواجبة لله سبحانه وصفوا بها بعض البشر (الأئمة) فخرجوا بمذهب ثالث وهو تشبيه المخلوق بالخالق، فشابهوا النصارى في ذلك كما شابهوا اليهود في المذهب الأول (التجسيم).

لقد خرجوا ببدعة ثالثة أحدثوها في أمة محمد ﷺ، حين زعموا أن الأئمة هم أسماء الله، فأسماء الله سبحانه التي ذكرها في كتابه هي- على حد زعمهم- عبارة عن الأئمة الاثنى عشر، وهذا يتضمن تعطيل الله من أسمائه الحسنى، وإعطاءها بعض البشر، ويزعمون أن النص من «المعصوم» قد ورد بذلك وهذا إفك عظيم افتروه فويل لهم مما يفترون. روى الكليني في أصول الكافي عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1] قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا»[2].

---

(١) الأعراف، آية: ١٨٠.

(٢) أصول الكافي: ١/١٤٣-١٤٤.

وهذا المعنى تناقله أساطين المذهب في روايات عديدة منسوبة لجعفر الصادق وغيره[1].

الله سبحانه يقول: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ وهؤلاء يقولون: نحن الأسماء الحسنى، فأي محاداة لله وكتابه أعظم من هذا، إن من معين هذه النصوص المظلمة تستقي طوائف الباطنية الملحدة والتي تذهب لتأليه الأئمة.. ومن مائها الآسن ترتوي.

وتفصل روايات أخرى لهم ما أجملته الرواية السابقة فيروون عن أبي جعفر أنه قال: «نحن وجه الله نتقلب في الأرض بين أظهركم، ونحن عين الله في خلقه، ويده المبسوطة بالرحمة على عباده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا»[2].

وعن أبي عبد الله «إن الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار، وجرت الأنهار، وبنا ينزل غيث السماء وينبت عشب الأرض وبعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله»[3].

وزعموا أن أمير المؤمنين علياً قال: «أنا عين الله وأنا يد الله وأنا جنب الله وأنا باب الله»[4]. وقال- كما يفترون- «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله وأنا يد الله»[5].

---

(١) انظر: تفسير العياشي: ٢/ ٤٢، المفيد/ الاختصاص: ص٢٥٢، المجلسي/ بحار الأنوار: ٩٤/ ٢٢، النوري الطبرسي/ مستدرك الوسائل: ١/ ٣٧١، البرهان: ٢/ ٥٢، تفسير الصافي ٢/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٢) أصول الكافي: ١/ ١٤٣، البرهان: ٣/ ٢٤٠.

(٣) أصول الكافي: ١/ ١٤٤، ابن بابويه/ التوحيد ص١٥١-١٥٢، بحار الأنوار: ٢٤/ ١٩٧، البرهان: ٣/ ٢٤٠-٢٤١.

(٤) أصول الكافي: ١/ ١٤٥، بحار الأنوار: ٢٤/ ١٩٤.

(٥) ابن بابويه/ التوحيد ص١٦٤، بحار الأنوار: ٢٤/ ١٩٨.

وفي التوحيد لابن بابويه أن أبا عبد الله قال: «إن لله عز وجل خلقاً من رحمته، خلقهم من نوره.. فهم عين الله الناظرة وأذنه السامعة، ولسانه الناطق في خلقه بإذنه.. بهم يمحو السيئات، وبهم يدفع الضيم، وبهم ينزل الرحمة، وبهم يحيي ميتاً، وبهم يميت حياً، وبهم يبتلي خلقه، وبهم يقضي في خلقه قضيته»[1].

وقد ذكر المجلسي ستاً وثلاثين رواية تقول إن الأئمة هم وجه الله ويد الله[2]. وفي رجال الكشي وغيره قال عليّ- كما يفترون- «أنا وجه الله، أنا جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن..»[3].

وجاءت عندهم روايات عديدة في كثير من مصادرهم المعتمدة تفسر قوله سبحانه: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[4]. وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[5] بما رووه عن جعفر أنه قال: «نحن وجه الله»[6] «نحن الوجه الذي يؤتى الله منه»[7] «نحن وجه الله الذي لا يهلك»[8] وروايات أخرى بهذا المعنى[9].

وجاء في تفسير العياشي رواية طويلة تقشعر منها أبدان المؤمنين تصف

---

(١) التوحيد: ص١٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/١٩١-٢٠٣.

(٣) رجال الكشي ص٢١١ رقم (٣٧٤)، وانظر: بحار الأنوار: ٩٤/١٨٠، بصائر الدرجات ص١٥١.

(٤) الرحمن، آية: ٢٧.

(٥) القصص، آية: ٨٨.

(٦) مضى تخريج هذا النص من كتبهم ص ١٧٢-١٧٣.

(٧) مضى تخريجه من كتبهم ص ١٧٢-١٧٣.

(٨) ابن بابويه/ التوحيد ص١٥٠، بحار الأنوار: ٢٤/٢٠١، تفسير الصافي: ٤/١٠٨، البرهان: ٣/٢٤١.

(٩) انظر: ابن بابويه/ التوحيد، باب تفسير كل شيء هالك إلا وجهه ص١٤٩-١٥٣، وبحار الأنوار: ٢٤/١٩١ وما بعدها، وفي تفسير البرهان ثلاث عشرة رواية بهذا المعنى نقلها من مختلف كتبهم المعتمدة عندهم (انظر: البرهان ٣٠/٢٤٠-٢٤٢).

ما يجري في يوم القيامة، وتقول نهاية الرواية- على لسان الأئمة- «ثم يؤتى بنا فنجلس على عرش ربنا..»[1] نعوذ بالله من هذا البهتان والافتراء.

هذا ونصوصهم التي تفسر أسماء الله عز وجل وصفاته بالإمام والأئمة كثيرة.

كما أنهم أضفوا على الأئمة أيضاً بعض صفات الرب سبحانه كالعلم بالغيب وعقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم الشيء»[2]. وضمنه طائفة من رواياتهم. وعقد باباً آخر بعنوان «باب أن الأئمة إذا شاءوا أن يعلموا علموا»[3] وذكر فيه جملة من أحاديثهم. ومن روايات هذه الأبواب:

قال أبو عبد الله- كما يفترون- «إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض وأعلم ما في الجنة وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون..»[4] «وعن سيف التمار قال: كنا مع أبي عبد الله رضي الله عنه جماعة من الشيعة في الحجر فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة فلم نر أحداً، فقلنا: ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة ورب البنية ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس في أيديهما، لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثة[5].

وبعد فهذه كلمات لا تحتاج إلى تعليق، وأقوال هي «زبالة» المذاهب

---

(١) تفسير العياشي: ٢/٣١٢، البحراني/ البرهان: ٢/٤٣٩، المجلسي/ بحار الأنوار: ٣/٣٠٢ (ط: كمباني).

(٢) انظر: أصول الكافي: ١/٢٦٠-٢٦٢.

(٣) المصدر السابق: ١/٢٥٨.

(٤) السابق: ١/٢٦١.

(٥) السابق: ١/٢٦٠-٢٦١.

الباطنية، التي كان لها وجود في تاريخ المسلمين، والتي تذهب إلى تأليه عليّ والأئمة. قد استوعبتها الاثنا عشرية في بنية مذهبها.

وهم يلصقون هذه المفتريات بأهل البيت ليتخذوا منهم «عكازة» يعتمدون عليها لنشر مذهبهم. وإلا فمن يقول «أنا الأول والآخر والظاهر والباطن»[1] هل يختلف عن فرعون الذي قال: «أنا ربكم الأعلى»، وكيف يتجرأ أساطين المذهب كالكشي والطوسي على نقل هذا الإلحاد، وكيف يعدون الكليني ثقة إسلامهم وهو ينقل هو وأضرابه هذا الكفر البواح.

وهل ثمة عذر لمعتذر؟

وقد حاول شيخهم المجلسي اللجوء إلى المجاز لتفسير بعض نصوصهم الواردة في هذا الباب حيث قال: «إن تلك المجازات شائعة في كلام العرب، فيقال لفلان وجه عند الناس، ولفلان يد على فلان وأمثال ذلك والوجه يطلق على الجهة، فالأئمة الجهة التي أمر الله بالتوجه إليها، ولا يتوجه إليه تعالى إلا بالتوجه إليهم، وكل شيء هالك باطل مضمحل إلا دينهم وطريقتهم وطاعتهم، وهم عين الله أي شاهده على عباده، فكما أن الرجل ينظر بعينه ليطلع على الأمور فكذلك خلقهم الله ليكونوا شهداء من الله عليهم ناظرين في أمورهم. وإطلاق اليد على النعمة والرحمة والقدرة شائع فهم نعمة الله التامة، ورحمته المبسوطة، ومظاهر قدرته الكاملة، والجنب: الجانب والناحية وهم الجانب الذي أمر الخلق بالتوجه إليهم.. ويحتمل أن يكون كناية عن أن قرب الله تعالى لا يحصل إلا بالتقرب بهم، كما أن قرب الملك يكون بجنبه» اهـ[2].

إن هذا الاعتذار دليل على رضا شيوخهم بهذا الكفر البين، وإلا فكيف يلتمس لهذا الإلحاد الظاهر مخرجاً؟! لم لا يضرب به الجدار، وينقى «ثوب التشيع»

---

(١) انظر: ص (٥٥٨).

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/٢٠٢.

من أدران رؤوس الملاحدة، وزبانية الكفر؟ وهل يصح تأويل المجلسي إلا إذا صح تأويل قول فرعون «أنا ربكم الأعلى» إلا إذا كان هذا التأويل لمجرد التستر على الباطل، والدفاع بالهوى عن مقالات الملاحدة.

إن التعلق بالمجاز على فرض القول[1] به لا مكان له هنا، لأن المجاز في اللغة يلاحظ فيه وجود علاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي، مع وجود قرينة تمنع إرادة المعنى الأصلي[2]. والأصل في الكلام الحقيقة «ولا يصار إلى المجاز إلا إذا تعذر حمل الكلام على حقيقته»[3].

ولذلك فإن فرقاً كثيرة في الاثنى عشرية وغيرها عدت ذلك الكلام حقيقة، واعتقدت في الأئمة الألوهية بمقتضى هذا الكفر الذي ينقله لهم شيوخ الاثنى عشرية، وكان حق هذه المقالة الرفض والتكذيب، لأنه لا معنى لدعوى المجاز، فهل توجد علاقة وقرينة لجعل معاني أسماء الله الحسنى وصفاته العليا للأئمة؟! فأين العلاقة في قولهم بأن أسماء الله «الأول والآخر والظاهر والباطن» هي أوصاف للأئمة؟!! وقوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ أين القرينة الصارفة لهذه الآية عن معناها الأصلي وهو أسماء الله سبحانه، لا يوجد شيء من ذلك إلا إن كانت هي زعمهم أن في الأئمة جزءًا إلـٰهياً فقد أخرج صاحب الكافي عن الأئمة أنهم قالوا: «إن الله خلطنا بنفسه»[4].

فإذا كانت هذه هي القرينة فهي تؤكد مبدأ الغلو ولا تنفيه، وتعطي الأئمة جزءاً من صفات الله سبحانه. وأنت تلاحظ في كلمات المجلسي مظاهر الغلو في الأئمة وتكاد تكون مجرد صدى لتلك الروايات.

فهل يمكن أن يقارن قول العرب لفلان وجه عند الناس بقول إمامهم-

---

(١) انظر في مسألة المجاز: ابن تيمية/ مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٧/٨٧- ١١٩، مختصر الصواعق المرسلة ص٢٤٢ وما بعدها.

(٢) راجع: كتب البلاغة العربية: انظر- مثلاً- المراغي/ علوم البلاغة ص٢٩٦، حفني ناصف وزملاؤه/ البلاغة ص٣٤١ (ضمن قواعد اللغة).

(٣) أبو شامة/ ضوء الساري ص١٠٦.

(٤) أصول الكافي: ١/١٤٦.

كما يفترون– «أنا وجه الله» وهل يقبل أن تجعل قرينة ذلك أن علياً والأئمة هي الجهة التي أمر الله بالتوجه إليها.. هل عندهم من برهان بهذا فيخرجوه لنا؟

لا يتوجه الناس بعبادتهم ودعائهم إلا إلى الله وحده، ولا يستقبل المسلمون في صلواتهم إلا بيت الله، ولا واسطة بين الله وخلقه إلا في تبليغ وحيه سبحانه ولا واسطة في التبليغ إلا رسل الهدى عليهم السلام، وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فكيف يقال بعد هذا إن الأئمة هم الجهة التي يتوجه الناس إليها؟!

أما دعوى «أن الأئمة يعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم الشيء» فهذه صفة للحق جل شأنه لا يشاركه فيها أحد سبحانه. قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]. ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[3].

والله سبحانه أمر أفضل الخلق رسول الهدى ﷺ أن يقول: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾[4] ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[5] فأمره سبحانه أن يفوض الأمور إليه، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم بغيب المستقبل ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ..﴾[6].

وقد ذكر علماء الإسلام أن من أدعى شيئاً من علم الغيب فقد كفر،

---

(١) النمل: آية: ٦٥.

(٢) الأنعام، آية: ٥٩.

(٣) آل عمران، آية: ٥.

(٤) الأعراف، آية: ١٨٨.

(٥) الأنعام، آية: ٥٠.

(٦) الجن، آية: ٢٦، ٢٧، والنص عن تفسير ابن كثير: ٢/٢٩٣.

فقد أضاف الله سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه، فلا يظهر على غيبه إلا من اصطفى من رسله[1]، وهذا هو الغيب المطلق المحجوب عن جميع الخلق[2].

وقد عثرت وسط هذا الركام من هذه الدعاوى الغبية الملحدة حول الأئمة على بعض النصوص التي روتها كتب الشيعة والتي تجرد الأئمة من هذه الصفات التي خلعوها عليهم وهي لا تنبغي إلا للحق جل شأنه. قال أبو عبد الله- كما يروي صاحب الكافي- «يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت مني، فما علمت في أي بيوت الدار هي..»[3].

ولو كان أبو عبد الله كما يزعم الكليني في أبوابه التي عقدها بعد ذكره لهذا النص، لو كان يعلم ما يكون ولا يخفى عليه الشيء، وإذا شاء أن يعلم علم لم يخف عليه موضع الجارية.

وكان الأئمة من قديم يشكون من مزاعم هؤلاء الذين جمع أقوالهم صاحب

---

(١) انظر هذا المعنى في تفسير القرطبي: ٣،٢/٧.

(٢) ذكر أهل العلم أن الغيب ينقسم إلى قسمين:

غيب «مطلق» أو حقيقي وهو ما يعلمه وحده سبحانه دون ما سواه وهو المقصود عند الإطلاق، وفيه يقول الله عز وجل **﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾**.

وغيب «إضافي» أو مقيد وهو ما غاب علمه عن بعض المخلوقين دون بعض كالذي يعلمه الملائكة من أمر عالمهم وغيره ولا يعلمه البشر مثلاً، وأما ما يعلمه بعض البشر بتمكينهم من أسبابه واستعمالهم لها ولا يعلمه غيرهم لجهلهم بتلك الأسباب أو عجزهم عن استعمالها فلا يدخل في عموم معنى الغيب الوارد في كتاب الله لأنه غيب عمن غاب عنه من المخلوقين ليس هو غيباً عمن شهده.

والناس كلهم قد يغيب عن هذا ما يشهده هذا فيكون غيبا مقيداً ليس غيباً مطلقاً غاب عن المخلوقين قاطبة.

(انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١٠/١٦، تفسير المنار: ٤٢٢/٧).

(٣) أصول الكافي: ٢٥٧/١.

الكافي وأسندها للأئمة، ولهذا جاء في حديث لهم ذكره صاحب البحار وصاحب الاحتجاج عن بعض أئمتهم قال: «تعالى الله عز وجل عما يصفون سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاء في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾... قد آذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم، ومن دينه جناح البعوضة أرجح منه، وأشهد الله الذي لا إله إلا هو وكفى به شهيداً... أني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه، أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا»..

وروايات الشيعة تكشف نفسها بنفسها وتتناقض نصوصها.

وقول الأئمة إنهم مصدر الرزق وإنزال الغيث.. إلخ والذي يرويه شيوخ الاثنى عشرية هو من مخلفات غلاة الشيعة والذي أنكر الأئمة مذهبهم، فقد جاء في أخبارهم أن أبا عبد الله قال حينما قيل له: «إن المفضل بن عمر يقول: إنكم تقدرون أرزاق العباد. فقال: والله مايقدر أرزاقنا إلا الله ولقد احتجت إلى طعام لعيالي فضاق صدري وأبلغت إليّ الفكرة في ذلك حتى أحرزت قوتهم فعندها طابت نفسي، لعنه الله وبريء منه»[(1)].

ولكن هذه الروايات هي كالشعرة البيضاء في الثور الأسود، وفي التقية متسع لكل نص تضيق به نفوس شيوخ الشيعة، وإذا أردت مثالاً على ذلك فاسمع ما يقوله شارح الكافي تعقيباً على قول أبي عبد الله الذي نقلناه آنفاً (والذي يتعجب فيه أبو عبد الله من قوم نسبوا له العلم بالغيب، ويذكر للرد عليهم بأن جاريته قد اختفت في داره فلم يدر أين هي فكيف يقال عنه إنه يعلم ما كان وما يكون). قال شارح الكافي «.. الغرض من هذا التعجب وإظهاره هو ألا يتخذه الجهال

---

(1) بحار الأنوار: ٣٠١/٢٥، رجال الكشي ص٣٢٣، وانظر رواية في هذا المعنى في بحار الأنوار: ٣٢/٢٥، ورجال الكشي ص٣٢٤-٣٢٥، وأخرى أيضاً في البحار: ٣١٦/٢٥، ورجال الكشي ص٥١٨-٥١٩.

إلهاً، أو يدفع عن وهم بعض الحاضرين المنكر لفضله ما نسبوه إليه من العلم بالغيب حفظاً لنفسه وإلا فهو رضي الله عنه كان عالماً بما كان وما يكون فكيف يخفى عليه مكان الجارية، فإن قلت: إخباره بذلك على هذا يوجب الكذب، قلت: إنما يوجب الكذب لو لم يقصد التورية وقد قصدها، فإن المعنى ما علمت علماً غير مستفاد منه تعالى بأنها في أي بيوت الدار»[1].

انظر التكلف العجيب في رد هذه الرواية لإثبات أن الإمام يعلم ما كان وما يكون حتى ارتكب في سبيل ذلك نسبة الإمام إلى الكذب، وهدم أصلاً من أصولهم وهو العصمة.

وإذا كان الإمام أراد بهذا القول ألا يتخذه الجهال إلـٰهاً فهل أنت بإثباتك لضد قوله تريد أن تدعو إلى تأليه الإمام، وأين الدليل على وجود بعض الحاضرين الذين يخشى من وجودهم الإمام وسلسلة السند كلهم شيعة؟! وعلى أي وجه من وجوه اللغة يعتبر هذا من قبيل التورية..؟

أما شيخهم الآخر الشعراني المعلق على الشرح فلم يعجبه هذا التكلف في تأويل الرواية، ورام ردها بأقصر طريق وهو الحكم بأن الرواية كذب[2].

وهكذا يشيع الزنادقة عن علماء أهل البيت مثل هذه الإشاعات الكاذبة، فإذا أنكروا على هؤلاء الزنادقة فريتهم، وفضحوا باطلهم أمام الملأ حمل شيوخ الشيعة هذا التكذيب والإنكار على التقية.. فصارت التقية حيلة بيد غلاة الشيعة لإبقاء التشيع في دائرة الغلو، ورد الحق، والإساءة لأهل البيت.

وقد ادعى زرارة بن أعين أن جعفر بن محمد يعلم أهل الجنة وأهل النار، فأنكر ذلك جعفر لما بلغه ذلك، وكفّر من قاله، ولكن زرارة حينما نقل له موقف جعفر قال لمحدثه: «لقد عمل معك بالتقية»[3].

---

(١) المازندراني/ شرح جامع (على الكافي): ٦/٣٠-٣١.
(٢) تعاليق علمية (على الكافي وشرحه): ٦/٣١.
(٣) انظر قصة ذلك في ميزان الاعتدال، ترجمة زرارة بن أعين: ٢/٦٩- ٧٠.

□ المبحث الرابع □

دعوى التحريف لتأييد مذهبهم في التعطيل

وهو مسلك لم يسلكه أحد غيرهم، وشذوذ اختصوا به عن سواهم، حيث راموا التخلص من آيات الإثبات للأسماء والصفات في كتاب الله سبحانه بدعوى خطيرة، سبق أن عرضنا لها مفصلة، ولذلك سنشير إليها هنا باقتضاب ونقتصر على ما يتصل منها بباب الأسماء والصفات هذه الدعوى هي تحريفهم للآية عما أنزل الله، فمثلاً روى ابن بابويه عن الرضا علي بن موسى في قول الله سبحانه: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[1]. قال الرضا: إنها هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالملائكة في ظلل من الغمام وهكذا نزلت»[2].

وهدف الشيعة من هذا التحريف واضح، فهم يحاولون بذلك نفي الإتيان عن الله سبحانه كقول المعتزلة. وفى الاحتجاج للطبرسي عن أمير المؤمنين عليّ قال يخاطب أحد الزنادقة لإقناعه بالإسلام!!: «وأما قوله ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾فإنما نزلت كل شيء هالك إلا دينه، لأن من المحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه، هو أجل وأعظم من ذلك»[3].

وواضح أن واضع هذه الأسطورة أعجمي جاهل لايفقه من أمر العربية شيئاً، وزنديق حاقد في افترائه على كتاب الله، وتعطيله لصفات الله، ونسبة هذا الكفر لأمير المؤمنين علي، ومن كبير مكره وحقده زعمه أن هذه إجابة أمير

---

(١) البقرة، آية: ٢١٠.

(٢) التوحيد لابن بابويه: ص١٦٣، بحار الأنوار: ٣١٩/٣، البرهان: ٢٠٨/١.

(٣) الاحتجاج: ص٢٥٣.

المؤمنين لإقناع أحد الزنادقة.

إن هذا المنهج في التعطيل يدل على أن هذه الزمرة التى وضعت هذه الروايات لا ترعى في سبيل الدفاع عن مبادئها أية حرمة، ولا تقف عند حد.

وإذا كانت فرق المعطلة من المعتزلة وغيرها لم تحاول أن تمس لفظ كتاب الله سبحانه، ورامت البحث عن تأويل للمعنى، فإن هذه الفئة قد تخطت الحدود وتجاوزت المباديء فرامت إثبات مبدئها، بما يخرجها عن الإسلام أصلاً، فدل على أن هناك فئات من أهل التعطيل تريد الكيد للأمة بمحاربة أصل دينها وهو كتاب الله العظيم. ولقد انكشف بهذه الوسيلة أمرها وافتضح شأنها. والله من ورائهم محيط.

* * *

«الفصل الرابع»

اعتقادهم في الإيمان وأركانه

□ الفصل الرابع □

اعتقادهم في الإيمان وأركانه

وفي هذا الفصل عرض لمبحثين الأول: قولهم في الإيمان والوعد والوعيد، والثاني: قولهم في أركان الإيمان.

وفي المبحث الأول خمس مسائل:

المسألة الأولى: مفهوم الإيمان عندهم.

المسألة الثانية: قولهم بشهادة ثالثة مَع الشهادتين.

المسألة الثالثة: القول بالإرجاء.

المسألة الرابعة: بيان قولهم بالوعد.

المسألة الخامسة: بيان قولهم بالوعيد.

وفي المبحث الثاني: بيان لقولهم في أركان الإيمان.

☐ المبحث الأول ☐

قولهم في الإيمان والوعد والوعيد

* **المسألة الأولى:** مفهوم الإيمان عندهم:

لقد أدخل الاثنا عشرية الإيمان بالأئمة الاثنى عشر في مسمى الإيمان[1]، بل جعلوه هو الإيمان بعينه. جاء في أصول الكافي: «الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله» ثم ذكر بقية أركان الإسلام، ثم قال: الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا، فإن أقر بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً[2].

ويقولون بأن الثواب في الآخرة ليس على الإسلام، إنما هو على الإيمان وعقد لذلك صاحب الكافي باباً بعنوان: «باب أن الإسلام يحقن به الدم وأن الثواب على الإيمان»[3].

ويفسرون قوله سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖ..﴾[4].

بما يروونه عن أبي جعفر قال: «إنما عنى بذلك علياً، والحسن، والحسين، وفاطمة. وجرت بعدهم في الأئمة. قال: ثم يرجع القول من الله في الناس فقال:

---

(١) وقد نسب الأشعري هذا المذهب إلى جمهور الرافضة، انظر: مقالات الإسلاميين: ١/١٢٥.

(٢) أصول الكافي: ٢/٢٤.

(٣) الموضع نفسه من المصدر السابق.

(٤) البقرة، آية: ١٣٦، ١٣٧.

«فإن آمنوا» يعني الناس، «بمثل ما آمنتم به» يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من بعدهم، «فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق»[1].

ولهذا قال ابن المطهر الحلي: إن «مسألة الإمامة (إمامة الاثنى عشر).. هي أحد أركان الإيمان المستحق بسببه الخلود في الجنان والتخلص من غضب الرحمن»[2].

وقال محمد جواد العاملي: «الإيمان عندنا إنما يتحقق بالاعتراف بإمامة الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام، إلا من مات في عهد أحدهم فلا يشترط في إيمانه إلا معرفة إمام زمانه ومن قبله»[3].

وقال أمير محمد القزويني (من شيوخهم المعاصرين): «إن من يكفر بولاية علي وإمامته- رضي الله عنه- فقد أسقط الإيمان من حسابه وأحبط بذلك عمله»[4].

* **المسألة الثانية**: الشهادة الثالثة:

وبمقتضى هذا الإيمان الذي لا يعرفه سوى الاثنى عشرية، فإنهم اخترعوا «شهادة ثالثة» هي شعار هذا الإيمان الجديد هي قولهم: «أشهد أن علياً ولي الله» يرددونها في أذانهم، وبعد صلاتهم، ويلقنونها موتاهم.

فالإقرار بالأئمة مع الشهادتين يقال بعد كل صلاة، وعقد الحر العاملي باباً في هذا المعنى[5].

وجاء في أخبارهم عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لو أدركت

---

(١) تفسير العياشي: ١/٦٢، تفسير الصافي: ١/٩٢. البرهان: ١/١٥٧.

(٢) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ص١.

(٣) مفتاح الكرامة: ٢/٨٠.

(٤) الشيعة في عقائدهم وأحكامهم: ص (٢٤).

(٥) انظر: وسائل الشيعة: باب استحباب الشهادتين والإقرار بالأئمة بعد كل صلاة: ٤/١٠٣٨.

عكرمة[1] عند الموت لنفعته، فقيل لأبي عبد الله عليه السلام: بماذا كان ينفعه؟ قال: يلقنه ما أنتم عليه»[2]، وعن أبي بصير عن أبي جعفر قال: «... لقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله والولاية»[3].

ويلقن هذه الشهادة عند إدخاله للقبر[4]، وكذلك عند انصراف الناس عنه وبوب لذلك المجلسي فقال: «باب استحباب تلقين الولي الميت الشهادتين والإقرار بالأئمة عليهم السلام بأسمائهم بعد انصراف الناس[5]، وساق في ذلك جملة من رواياتهم.

وهذه الشهادة الجديدة هي إقرار بمسألة الإمامة التي يرى ابن المطهر أنها «أهم المطالب في أحكام الدين وأشرف مسائل المسلمين»[6].

وبعد فإن الاعتقاد بأن الإيمان بالاثنى عشر هو ركن الإيمان، أو هو الإيمان نفسه وهو أهم مطالب الدين... إن هذا «الاعتقاد» إحدى الدلائل البينة، والأمارات الواضحة على بطلان مذهبهم، وأنهم شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله. فلا جاء في القرآن ولا ثبت في السنة شيء من ذلك[7]، ولهذا رأى شيخ الإسلام أن قولهم بأن الإمامة (فضلاً عن القول بإمامة الاثنى عشر التي لا يوافقهم أحد من المسلمين عليها إلا من ارتضى مذهبهم من الروافض) أهم مطالب الدين هو

---

(١) يعني عكرمة مولى ابن عباس العلامة الحافظ المفسر (انظر: سير أعلام النبلاء: ١٢/٥). هذا قدره عند هؤلاء (انظر: رجال الكشي: ص٢١٦ حيث قال بأن هذا يدل على ذمه).

(٢) فروع الكافي: ٣٤/١، من لا يحضره الفقيه: ٤١/١، تهذيب الأحكام: ٨٢/١، رجال الكشي: ص٢١٦، ووسائل الشيعة: ٦٦٥/٢.

(٣) فروع الكافي: ٣٤/١، تهذيب الأحكام: ٨٢/١، ووسائل الشيعة: ٦٦٥/٢.

(٤) انظر أخبارهم في ذلك في: فروع الكافي: ٥٣/١، تهذيب الأحكام: ٩١/١، ووسائل الشيعة: ٨٤٣/٢.

(٥) وسائل الشيعة: ٨٦٢/٢.

(٦) منهاج الكرامة: ص١.

(٧) انظر ما ساقه ابن تيمية من ذلك في منهاج السنة: ٢٠/١ وما بعدها، وقد مضى في هذه الرسالة شيء من ذلك، وسيأتي تفصيل في فصل الإمامة.

كفر، لأنه من المعلوم من الدين بالضرورة أن الإيمان بالله ورسوله أهم من مسألة الإمامة[1].

وإذا كانت الإمامة بهذه المثابة التي يزعمون، فأبعد الناس عنها الرافضة الذين يرون أن كل راية ترفع قبل قيام «المعدوم» والذي يسمونه المنتظر هي راية جاهلية[2]، ويكفرون بما وراءه من الخلفاء ما عدا خلافة علي والحسن.

كما أن مجرد المعرفة للأئمة لا يحصل بها نيل درجة الكرامة، لأن هذا لا يحصل بمجرد معرفة الرسول ﷺ إذا لم يطع أمره ويتبع قوله[3].

* **المسألة الثالثة:** القول بالإرجاء:

هذا وإذا كان الإيمان عندهم هو الإقرار بالأئمة الاثنى عشر، فقد أصبح معرفة الأئمة عندهم كافية في الإيمان ودخول الجنان فأخذوا بمذهب المرجئة[4] رأساً. ولهذا عقد صاحب الكافي باباً بعنوان: «باب أن الإيمان لا يضر معه سيئة، والكفر لا ينفع معه حسنة»[5]، وذكر فيه ستة أحاديث منها قول أبي عبد الله «الإيمان لا يضر معه عمل، وكذلك الكفر لا ينفع معه عمل»[6] والإيمان حسب مصطلحهم هو حب الأئمة أو معرفتهم.

---

(١) انظر: منهاج السنة: ١/٢٠.

(٢) انظر: الغيبة للنعماني، باب في أن كل راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت، ص ٧.

(٣) انظر: منهاج السنة: ١/٣١.

(٤) **المرجئة**: هم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان، ويجعلون الإيمان هو مجرد المعرفة بالله سبحانه، ومنهم من يقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة مهما ارتكب من المعاصي.
انظر عن المرجئة: مقالات الإسلاميين: ١/٢١٣-٢٣٤، الملل والنحل: ١/١٣٩- ١٤٦، الفرق بين الفرق ص٢٠٢- ٢٠٧، التنبيه والرد ص٤٣، التبصير في الدين ص٥٩، البدء والتاريخ: ٥/١٤٤، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٧، الخطط للمقريزي: ٢/٣٤٩-٣٥٠.

(٥) أصول الكافي: ٢/٤٦٣.

(٦) السابق: ٢/٤٦٤.

وحين قال شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله–: «إن أكثر الشيعة يعتقدون أن حب علي حسنة لا يضر معها سيئة»[1].

رد عليه بعض شيوخهم وآياتهم في هذا العصر فقال: «ما نسبه إلى كثير من الشيعة من القول بأن حب علي حسنة ليس يضر معه سيئة، فإنه بهتان منه، فإنهم جميعاً متفقون على ذلك، فتخصيصه الكثير منهم بهذه العقيدة ليس له وجه سوى الكذب»[2].

قال شيخ الإسلام: «وإذا كانت السيئات لا تضر مع حب علي، فلا حاجة إلى الإمام المعصوم الذي هو لطف في التكليف، فإنه إذا لم يوجد إنما توجد سيئات ومعاص، فإذا كان حب علي كافياً فسواء وجد الإمام أو لم يوجد»[3] فصارت مسألة إمامة المعصوم المبنية على قاعدة اللطف منقوضة بمسألة المحبة المجردة، وكل قول عندهم لا بد أن يهدم قولا آخر وهكذا الشأن في كل دين ليس من عند الله سبحانه.

ولعلهم يفارقون المرجئة من حيث إن المرجئة تقول: الإيمان هو المعرفة بالله، وهم يقولون: الإيمان معرفة الإمام أو حبه.

وأخبارهم في هذا الباب كثيرة في عشرات من الأحاديث، فقد جاء عندهم «وهل الدين إلا الحب»[4]، وذكر المجلسي (١٥٤) رواية في باب بعنوان: «باب ثواب حبهم وولايتهم وأنهم أمان من النار»[5]، كما جاء في عنوان باب آخر: «أن ولايته (يعني علياً) عليه السلام حصن من عذاب الجبار، وأنه لو اجتمع الناس على حبه ما خلق الله النار»[6]، وجاء في أحاديثهم «لا يدخل الجنة إلا من أحبه

---

(١) منهاج السنة: ١/٣١.

(٢) محمد مهدي الكاظمي/ منهاج الشريعة في الرد على ابن تيمية: ١/٩٨.

(٣) منهاج السنة: ١/٣١.

(٤) تفسير العياشي: ١/١٦٧، بحار الأنوار: ٢٧/٩٥.

(٥) بحار الأنوار: ٢٧/٧٣–١٤٤.

(٦) بحار الأنوار: ٣٩/٣٢.

من الأولين والآخرين ولا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين»[1].

وعلى هذا التقدير سقط الإيمان بالله ورسوله، وجميع العقائد الدينية، وجميع التكليفات والأحكام الشرعية، ولم يبق في شريعة الإسلام غير حب عليّ، وهذه المفتريات قد أضلت كثيراً ممن يحب الإباحة ويتبع الشهوات[2].

وهذه الروايات يلزم منها أن القرآن لم ينزل لهداية الخلق، بل لضلالتهم إذ لم يذكر فيه حب عليّ وبغضه مع أنه هو أصل دخول الجنة أو دخول النار. قال السويدي: «وإذا كان حب الله ورسوله ﷺ غير كاف في النجاة والخلاص من العذاب بلا إيمان وعمل صالح فكيف يكون حب عليّ كافياً، وهذا مخالف لقوله سبحانه: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[3] وقوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[4] بل مخالف لأصولهم ورواياتهم، أما المخالفة للأصول، فلأنه إذا ارتكب رافضي الكبائر ولم يعاقبه الله على ذلك يلزم ترك الواجب على الله تعالى عندهم. وأما المخالفة للروايات فلأن علياً والسجاد والأئمة الآخرين قد روي عنهم في أدعيتهم الواردة عندهم بطرق صحيحة البكاء والاستعاذة من عذاب الله تعالى، وإذا كان مثل هؤلاء الأئمة الكرام خاشعين خائفين من عذاب الله فكيف يصح لغيرهم أن يغتر بمحبتهم ويتكل عليهم في ترك العمل[5]. وانظر في قولهم إنه لا يدخل النار إلا من أبغضه من الأولين والآخرين تجد أنه يدل صراحة على أنه لا يدخل النار مثل فرعون وهامان وقارون وسائر رؤساء الكفر وأتباعهم من الأمم الماضية لأنهم لم يبغضوا علياً، بل لم يعرفوه فانظر كيف أدى بهم الغلو. ولا شك أن هذه مقالة لا يتكلف في ردها، لأنه معلوم بطلانها من الإسلام

---

(١) علل الشرائع: ص١٦٢.

(٢) نقض عقائد الشيعة للسويدي، الورقة: ٣٤ (مخطوط).

(٣) النساء: آية: ١٢٣.

(٤) الزلزلة، آية: ٨.

(٥) نقض عقائد الشيعة، الورقة: ٣٤، ٣٥.

بالضرورة، ولو كان الأمر كما يزعمون لما أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وشرعت الشرائع..

لكن هذه العقيدة بقيت آثارها في المجتمعات الشيعية من الاستهانة بشرائع الله، والجرأة على حدود الله.

* المسألة الرابعة: قولهم في الوعد:

قال ابن بابويه: «اعتقادنا في الوعد أن من وعد الله على عمل ثواباً فهو منجزه»[1].

وقد توسعوا في مفهوم الوعد فاخترعوا روايات وأخباراً ونسبوها لجعفر الصادق وغيره تثبت الوعد بالثواب على أعمال ما أنزل الله بها من سلطان. بل إن الدليل والبرهان قام على منعها وتحريمها أو اعتبارها ضرباً من الشرك أو الإلحاد كلعن صحابة رسول الله ﷺ وقد جعلوه من أفضل القربات[2]. ولطم الخدود وشق الجيوب، وتعذيب النفس، وضربها بالسكاكين والسيوف باسم عزاء الحسين وهو عندهم من عظيم الطاعات[3]. والحج إلى الأضرحة والطواف بها ودعائها والاستغاثة بها من أجل العبادات عندهم[4]. واستحداثهم لعبادات ما نزل بها من عند الله نص، وترتيب عظيم الثواب عليها[5].

---

(١) الاعتقادات: ص٩٤، وانظر: أوائل المقالات ص٥٧، الاعتقادات للمجلسي ص١٠٠.

(٢) انظر: بحار الأنوار: ٢١٨/٢٧، وراجع ص (٧٣٠) من هذه الرسالة.

(٣) انظر: عقائد الإمامية للزنجاني: ٢٨٩/١ وما بعدها، مبحث (المواكب الحسينية) وانظر: الآيات البينات/ لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص: ٤ وما بعدها، فصل المواكب الحسينية، ودائرة المعارف (الشيعية): ٧٠٦/٢١.

(٤) انظر: فصل عقيدتهم في توحيد الألوهية.

(٥) انظر- مثلاً- بحار الأنوار، باب أعمال يوم الغدير وليلته وأدعيتهما: ٢٩٨/٩٨-٣٢٣، وباب عمل يوم النيروز وما يتعلق بذلك ٤١٩/٩٨ وغيرها، وانظر: وسائل الشيعة، باب استحباب صوم يوم النيروز والغسل فيه، ولبس أنظف الثياب والطيب: ٣٤٦/٧، وباب استحباب صوم يوم التاسع والعشرين من ذى القعدة، وقال بأنه كفارة سبعين سنة، ٣٣٣/٧، وأبواب صلاة =

وجاءت أخبارهم تقول: بأن الأئمة يملكون الضمان لشيعتهم بدخول الجنة، وقد شهدوا بذلك لبعض أتباعهم على وجه التعيين، فهم يعدون بالثواب ويحققونه!!

ومن نصوصهم في هذا ما جاء في رجال الكشي: «.. عن زياد القندي عن علي بن يقطين، أن أبا الحسن قد ضمن له الجنة»[1]، وفي رواية أخرى «عن عبد الرحمن الحجاج، قال: قلت لأبي الحسن رضي الله عنه إن علي بن يقطين أرسلني إليك برسالة أسألك الدعاء له، فقال: في أمر الآخرة[2]؟ قلت: نعم، قال: فوضع يده على صدره ثم قال: ضمنت لعلي بن يقطين ألا تمسه النار[3].

فانظر إلى هذا «التألي» على الله، وكأن لديهم خزائن رحمة الله، وبيدهم مقاليد كل شيء، فهم يضمنون ولا يستثنون، ويوزعون صكوك الغفران والحرمان، فهل لهم مع الله تدبير؟ أم هم رسل يوحى إليهم، أو اطلعوا على الغيب، أم اتخذوا عند الرحمن عهداً.. إن مثل هذه المزاعم تبين أن واضعي هذه الأساطير هم فئة من الزنادقة الذين لا يؤمنون بقرآن ولا سنة، وهدفهم إفساد هذا الدين، فلم يجدوا مكاناً لتحقيق ذلك إلا في محيط التشيع. وعلي بن يقطين الذي ضمن له هؤلاء الزنادقة «جنتهم» قد يكون شريكاً لهم في المذهب، فقد ذكر الطبري في حوادث سنة ١٦٩ هـ بأنه قتل على الزندقة[4].

وأخبار ضمان الأئمة لأتباعهم الجنة مستفيضة أخبارها في كتب الاثنى

= جعفر: ٥/١٩٤، ١٩٧، وصلاة فاطمة: ٥/٢٤٣، وصلاة يوم المباهلة، وتعدل مائة ألف حجة- على حد زعمهم- ٥/٢٨٧.

(١) رجال الكشي: ص٤٣٠.

(٢) لاحظ أن الإمام المزعوم يستفهم عن المقصود بالدعاء وهو الذي يعلم المصير ويضمنه، وهذا من كذب المغفلين، أو أن الله سبحانه أراد لأمرهم أن يفتضح بهذا الاختلاف والتناقض الشائع في الكثير من أخبارهم.

(٣) رجال الكشي: ص٤٣١، وأورد الكشي عدة روايات مشابهة لما ذكر: ص٤٣١-٤٣٢.

(٤) تاريخ الطبري: ٨/١٩٠.

عشرية[1].

* **المسألة الخامسة: قولهم في الوعيد:**

قال المفيد: «اتفقت الإمامية على أن الوعيد بالخلود في النار متوجه إلى الكفار خاصة دون مرتكبي الذنوب من أهل المعرفة بالله تعالى والإقرار بفرائضه من أهل الصلاة»[2]، وأنهم بارتكاب الكبيرة لا يخرجون عن الإسلام، وإن كانوا يفسقون بما فعلوه من الكبائر والآثام[3].

وهذا القول في ظاهره موافق لمذهب أهل السنة، لكنهم خرجوا عن تحقيق هذا المذهب من طريق آخر، حيث توسعوا في مفهوم الكفر، والمكفرات ولذلك «اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم وإقامة البينات عليهم فإن تابوا عن بدعهم وصاروا إلى الصواب وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان، وأن من مات منهم على تلك البدعة فهو من أهل النار»[4].

واتفقت على القول بكفر من حارب أمير المؤمنين علياً وأنهم «كفار ضلال ملعونون بحربهم أمير المؤمنين وأنهم بذلك في النار مخلدون»[5].

وهكذا حكمهم في كل من خالفهم، ولذلك قال ابن بابويه: «واعتقادنا في من خالفنا في شيء واحد من أمور الدين كاعتقادنا في من خالفنا في جميع أمور الدين»[6].

---

(١) انظر مثل ذلك في أصول الكافي: ١/٤٧٤، ٤٧٥، رجال الكشي: ص٤٤٧- ٤٤٨، ٤٨٤، ورجال الحلي ص٩٨، ١٨٥، وكل هذه الصفحات المشار إليها تحمل ضمان الأئمة لبعض أتباعهم الجنة، وهذا «الضمان» يعدونه توثيقاً للرجل، ولذلك تكثر أخباره في كتب الرجال عندهم، كما أنَّ الشهادة بالنار يعتبرونها من علامات القدح، ولذلك يتداولون أخبارها في كتب رجالهم أيضاً.

(٢) أوائل المقالات ص١٤.

(٣) المصدر السابق: ص١٥.

(٤) السابق: ص١٦.

(٥) السابق: ص١٠.

(٦) الاعتقادات ص١١٦، وانظر: الاعتقادات للمجلسي: ص١٠٠.

فهم من هذا الباب وعيدية، ولهذا قال شيخ الإسلام بأن متأخري الشيعة وعيدية في باب الأسماء والأحكام[1].

ويذكر الأشعري بأن طائفة من الروافض «يثبتون الوعيد على مخالفيهم، ويقولـون إنهم يعذبون ولا يقولون بإثبات الوعيد في من قال بقولهم، ويزعمون أن الله سبحانه يدخلهم الجنة، وإن أدخلهم النار أخرجهم منها، ورووا في أئمتهم أن ما كان بين الله وبين الشيعة من المعاصي سألوا الله فيهم فصفح عنهم، و ما كان بين الشيعة وبين الأئمة تجاوزوا عنه، وما كان بين الشيعة وبين الناس من المظالم شفعوا لهم إليهم حتى يصفحوا عنهم»[2].

وهذا المعنى الذي يتحدث عنه الأشعري قد تبنى المجلسي اشاعته في باب عقده بعنوان: «باب الصفح عن الشيعة» وذكر فيه سبعاً وتسعين رواية[3]. وبعدما ذكر هذه الروايات كلها كأنه استقلها فقال: قد مرت أخبار كثيرة من هذا الباب في أبواب المعاد من الحوض والشفاعة وأحوال المؤمنين والمجرمين في القيامة وغيرها، وأبواب فضائل الأئمة[4].

وقد صدر الباب المذكور بحديث يحكي نفس المذهب الذي أشار إليه الأشعري، يقول حديثهم: «إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله عز وجل حكمنا فيها فأجابنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناها فوهبت لنا، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبيننا كنا أحق من عفا وصفح»[5].

فهم وعيدية بالنسبة لمن خالفهم، كما أنهم مرجئة في من دان بقولهم.

---

(١) الفتاوى: ٦/٥٥.

(٢) مقالات الإسلاميين: ١/١٢٦.

(٣) انظر: بحار الأنوار: ٦٨/ ٩٨-١٤٩.

(٤) بحار الأنوار: ٦٨/١٤٩.

(٥) المصدر السابق: ٦٨/٩٩، عيون أخبار الرضا: ٢/٦٨.

□ المبحث الثاني □

قولهم في أركان الإيمان

أركان الإيمان تشمل: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر، كما في قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ.. ﴾[1].

وقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2].

وقد سبق الحديث مفصلاً عن انحراف الشيعة في باب الإيمان بالله، في ربوبيته، وإلـٰهيته، وأسمائه وصفاته.

وهنا سيكون الحديث عن قولهم ببقية أركان الإيمان، حيث يبدو أن مسألة الإمامة كان لها أثرها على ذلك، فهم مع إثبات أركان الإيمان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر واليوم الآخر، يبدو أثر الإمامة واضحاً في بيانهم لهذه الأركان، وحديثهم عنها كما سيتبين في الصفحات التالية:

□ الإيمان بالملائكة:

وقد نال هذا الركن من أركان الإيمان نصيبه، فالملائكة خلقوا من نور الأئمة وهم خدم للأئمة، ومنهم طوائف قد كلفوا بزعمهم للعكوف على قبر الحسين.. إلخ.

---

(١) البقرة، آية: ١٧٧.

(٢) القمر، آية: ٤٩.

تقول أخبارهم: «خلق الله من نور وجه علي بن أبي طالب سبعين ألف ملك يستغفرون له ولمحبيه إلى يوم القيامة»[1].

وأحياناً يقولون: «خلق الله الملائكة من نور علي»[2].

وقد زعموا أن من ملائكة الرحمن من لا وظيفة لهم إلا البكاء على قبر الحسين، والتردد لزيارته، قالوا: «وكل الله بقبر الحسين أربعة آلاف ملك شعث غبر يبكونه إلى يوم القيامة..»[3].

وزيارة قبر الحسين هي أمنية أهل السماء، قالوا: «وليس شيء في السماوات إلا وهم يسألون الله أن يؤذن لهم في زيارة الحسين ففوج ينزل وفوج يعرج»[4].

وقالوا: «إن الملائكة لخدامنا وخدام محبينا»[5].

وجاء في آخر حديث طويل لهم إن جبرائيل دعا أن يكون خادماً للأئمة، قالوا: فجبريل خادمنا»[6].

وقد قال شيخ الإسلام- رحمه الله- وهو يرد على ابن المطهر نقله لمثل هذا اللقب للملائكة قال: «فتسمية جبريل رسول الله إلى محمد ﷺ خادماً عبارة من لا يعرف قدر الملائكة وقدر إرسال الله لهم إلى الأنبياء...»[7].

وكيف يطلق هذا اللقب «الوضيع» في من وصفه الله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ

---

(١) كنز جامع الفوايد ص٣٣٤، بحار الأنوار: ٢٣/ ٣٢٠.

(٢) المعالم الزلفى: ص ٢٤٩.

(٣) وسائل الشيعة: ١٠/٣١٨، فروع الكافي: ١/٣٢٥، ثواب الأعمال: ص٤٩، كامل الزيارات: ص١٨٩.

(٤) الطوسي/ التهذيب: ٢/١٦، ثواب الأعمال ص٥٤، وسائل الشيعة: ١٠/٣٢٢.

(٥) بحار الأنوار: ٢٦/٣٣٥، ابن بابويه/ إكمال الدين ص١٤٧، عيون أخبار الرضا: ١/٢٦٢، علل الشرائع ص١٣.

(٦) بحار الأنوار: ٢٦/٣٤٤-٣٤٥، إرشاد القلوب ص٢١٤، كنز جامع الفوايد ص٤٨٣.

(٧) منهاج السنة: ٢/١٥٨.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ. ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ﴾[1] فالمراد بالرسول الكريم هنا جبريل، وذي العرش رب العزة سبحانه.

ولهم دعاوى في هذا الباب كثيرة، وكأنه لا وظيفة للملائكة إلا أمر أئمتهم الاثني عشر، أو كأنهم ملائكة الأئمة لا ملائكة الله!

قال أبو عبد الله: «إن الملائكة لتنزل علينا في رحالنا وتتقلب على فرشنا، وتحضر موائدنا، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس، وتقلب علينا أجنحتها، وتقلب أجنحتها على صبياننا، وتمنع الدواب أن تصل إلينا، وتأتينا في وقت كل صلاة لتصليها معنا، وما من يوم يأتي علينا ولا ليل إلا وأخبار أهل الأرض عندنا وما يحدث فيها، وما من ملك يموت في الأرض ويقوم غيره إلا وتأتينا بخبره وكيف كانت سيرته في الدنيا»[2].

ويقولون بأن وسائد وقلائد أولادهم يأخذونها من أجنحة الملائكة، بل إن الملائكة تتولى رعاية أطفالهم حتى قال أبو عبد الله «هم ألطف بصبياننا منا بهم»[3].

والملائكة في أخبار الشيعة مكلفون بمسألة الولاية، ولكنهم يقولون بأنه لم يستجب منهم إلا طائفة المقربين[4]. رغم أن العقوبة تحل بمن يخالف منهم في أمر الولاية- في زعمهم- حتى إن أحد الملائكة عوقب بكسر جناحه لرفضه ولاية أمير المؤمنين ولم يبرأ إلا حينما تمسح وتمرغ بمهد الحسين[5].

ولم تشرف الملائكة- بزعمهم- إلا بقبولها ولاية علي[6].

---

(١) التكوير، آية: ١٩/٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٣٥٦/٢٦، بصائر الدرجات: ص٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ٣٥٤/٢٦، بصائر الدرجات: ص٢٦.

(٤) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٤٠، بصائر الدرجات: ص٢٠.

(٥) بحار الأنوار: ٣٤١/٢٦، بصائر الدرجات: ص٢٠.

(٦) انظر: تفسير الحسن العسكري ص١٥٣، الاحتجاج للطبرسي: ص٣١، بحار الأنوار: ٣٣٨/٢٦.

وحياة الملائكة موقوفة على الأئمة والصلاة عليهم، لأنه «ليس لهم طعام ولا شراب إلا الصلاة على علي بن أبي طالب ومحبيه، والاستغفار لشيعته المذنبين»[1]، وكانت الملائكة لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً من قبل تسبيحنا (يعني تسبيح الأئمة) وتسبيح شيعتنا[2].

ولذلك فإن الملائكة تراعي أمر الشيعة على وجه الخصوص، فإذا خلا الشيعي بصاحبه اعتزلهم الحفظة فلم يكتبوا عليهم شيئاً يقولون: إذا التقى الشيعي مع الشيعي يتساءلان قالت الحفظة: اعتزلوا بنا، فإن لهم سراً وقد ستره الله عليهما[3]، مع أن الله سبحانه يقول: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾[5].

هذا ومزاعمهم في هذا الباب متنوعة، وفيها من التطاول على مقام الملائكة المقربين، والكذب عليهم، مع مبالغات غريبة، ومجازفات طاغية، أقرب ما تكون إلى إنكار الملائكة، لأن إنكار وظائفهم وخصائصهم وما شرفهم الله به، ووضع دين الولاية هو شرعتهم، والشرك عند قبر الحسين هو عمل طائفة منهم قد يهون عنده إنكارهم أصلاً، ولقد اقتربوا من الإنكار حينما أولوا أسماء وألقاب الملائكة في القرآن بالأئمة، أو جعلوا وظائف الملائكة للأئمة. وبهذا عقد المجلسي باباً بعنوان «باب أنهم عليهم السلام الصافون والمسبحون وصاحب المقام المعلوم وحملة عرش الرحمن وأنهم السفرة الكرام البررة»[6].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/٣٤٩.

(٢) جامع الأخبار لابن بابويه ص٩، بحار الأنوار: ٢٦/٣٤٤.

(٣) وسائل الشيعة: ٨/٥٦٣-٥٦٤.

(٤) سورة ق، آية: ١٧-١٨.

(٥) الزخرف، آية: ٨٠.

(٦) بحار الأنوار: ٢٤/٨٧.

هذا ما يقولونه في الملائكة والله سبحانه يقول: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾[1]. ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾[2].

☐ الإيمان بالكتب:

والشيعة قد تأثر هذا الجانب عندها بمقتضى عقائدها التي انفردت بها عن سائر المسلمين في مسألة الإمامة وغيرها، فآمنت بكتب ما أنزل بها من سلطان، حيث ادعت أن الله سبحانه أنزل على أئمتها كتباً من السماء، كما أنزل كتبه على أنبيائه.

كما زعمت بأن لدى الأئمة الاثنى عشر الكتب السماوية التي نزلت على جميع الأنبياء فهم يقرأونها ويحتكمون إليها.

وإليك بيان هاتين القضيتين، من خلال النقل الأمين من كتب الشيعة المعتمدة.

* المسألة الأولى: دعواهم تنزل كتب إلهية على الأئمة[3]:

تضمنت كتب الشيعة المعتمدة عندها.. دعاوى عريضة، ومزاعم خطيرة ليس لها وجود في عالم الواقع، ولا يرى لها عين ولا أثر، وليس لها في كتب الأمة شاهد ولا خبر.

تلك المزاعم والدعاوى تتضمن أن هناك كتباً مقدسة نزلت من السماء بوحي من رب العزة جل علاه إلى «الأئمة». وأحياناً تورد كتب الشيعة نصوصاً

---

(١) الأنبياء، آية: ٢٦، ٢٧.

(٢) البقرة، آية: ٩٨.

(٣) هناك كتب أخرى يزعمون أنها مودعة عند الأئمة، سبق ذكرها في فصل عقيدتهم في السنة وهي كهذه الكتب في القدسية، إلا أنها لا توصف بأوصاف هذه الكتب من القول بنزولها من عند الله ونحوه.

وأخباراً يزعمون أنها مأخوذة من تلك الكتب وعلى هذه الروايات المدعى أخذها من تلك الكتب تبني عقائد ومبادئ.

وكأن الذين وضعوا أصول التشيع لم يكتفوا لتأييد أصولهم بكل ما مضى من دعاوى حول كتاب الله، وخافوا ألا تكون وافية بالغرض فيفرّ أتباعهم من حولهم، وتضيع مصادر الثروة عليهم فيخسروا المال والجاه والتقديس الذي يجنونه من أولئك الأتباع باسم الخمس والنيابة عن الإمام.

فافتعلوا هذه الدعوى ليضمنوا بها- مع أخواتها- تحقيق تلك الأهداف وليسددوا بها سهما آخر ضد الأمة ودينها..

وهذه الدعوى لا تكاد تختلف عن دعوى أكثر المتنبئين بتنزل كتب، أو وحي عليهم.

ولعل جذور هذه المقالة بدأت في عصر علي- رضي الله عنه- كما أشارت إلى ذلك إحدى روايات الإمام البخاري- رضي الله عنه- عن أبي جحيفة قال: قلت لعليّ: هل عندكم كتاب؟ قال: لا إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم أو ما في هذه الصحيفة. قال: قلت: فما في هذه الصحيفة قال: العقل وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر»[1].

وفي رواية أخرى للبخاري جاء السؤال: «هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله»[2] (وهي تفسر المراد بالكتاب).

قال ابن حجر: وإنما سأله أبو جحيفة عن ذلك، لأن جماعة من الشيعة كانوا يزعمون أن عند أهل البيت- لا سيما علياً- أشياء من الوحي- خصهم النبي ﷺ بها لم يطلع غيرهم عليها، وقد سأل علياً عن هذه المسألة أيضاً قيس

---

(١) صحيح البخاري- مع الفتح- ٢٠٤/١. وسبق تخريجه: ص (٧٩).

(٢) صحيح البخاري- مع الفتح- ١٦٧/٦.

ابن عباد، والأشتر النخعي وحديثهما في مسند النسائي»[1].

فإذن نواة هذه المقالة ظهرت، في عصر متقدم.. أما من تولى كبرها فإن في رسالة «الإرجاء» للحسن بن محمد بن الحنفية ما يشير إلى أن السبئيين- أتباع عبد الله بن سبأ- قد بدأوا في إشاعة مثل هذه المقالات حيث قالوا: «هدينا لوحي ضل عنه الناس، وزعموا أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن»[2].

وفي كتاب أحوال الرجال أن عبد الله بن سبأ زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي»[3].

إذن كانت دعوى السبئيين تشير إلى علم مخزون عند علي، فهذه أصل الدعوى، وقد تطورت واتخذت صوراً وأشكالاً متعددة كلها ترجع إلى دعوى أن عند آل البيت ما ليس عند الناس والتي نفاها أمير المؤمنين علي نفياً قاطعاً وما تفرع من الباطل فهو باطل، فالفرع له حكم أصله.

وإليك بكل أمانة بعض ما وجدناه في كتبهم المعتبرة عندهم من هذه الدعاوى والمزاعم:

أ- **«مصحف فاطمة»**:

تدعي كتب الشيعة نزول مصحف على فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

تقول إحدى روايات الكافي عن مصحف فاطمة: «... إن الله تعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز وجل فأرسل الله إليها ملكاً يسلي غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين رضي الله عنه فقال: إذا أحسست بذلك، وسمعت الصوت

---

(١) فتح الباري: ١/٢٠٤.

(٢) رسالة الإرجاء (ضمن كتاب الإيمان) محمد بن يحيى العدني: ص٢٤٩-٢٥٠ (مخطوط).

(٣) الجوزجاني/ أحوال الرجال ص٣٨.

قولي لي فأعلمته بذلك فجعل أمير المؤمنين رضي الله عنه يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفاً.. أما إنه ليس فيه شيء من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون»[1].

فتفيد هذه الرواية بأن الغرض من هذا المصحف أمر يخص فاطمة وحدها وهو تسليتها وتعزيتها بعد وفاة أبيها ﷺ وأن موضوعه «علم ما يكون» وما أدري كيف يكون تعزيتها بإخبارها بما يكون وفيه- على ما تنقله الشيعة- قتل أبنائها وأحفادها، وملاحقة المحن لأهل البيت...

ثم كيف تعطي فاطمة «علم ما يكون» «علم الغيب» ورسول الهدى يقول كما أمره الله: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ فهل هي أفضل من رسول الله؟

وتقول هذه الرواية بأن علياً هو الذي كتب ما أملاه الملك رغم أن رواياتهم الأخرى تقول بأنه بعد وفاة الرسول ﷺ كان منشغلاً بجمع القرآن[2]. والكذب لا محالة له من التناقض والاختلاف.

ويقولون بأن مصحفهم هذا ثلاثة أضعاف القرآن.

جاء في الكافي «عن أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله- ثم ذكر حديثاً طويلاً في ذكر العلم الذي أودعه الرسول ﷺ عند أئمة الشيعة- كما يزعمون- وفيه قول أبي عبد الله: «وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام قلت (القول للراوي) وما مصحف فاطمة؟ عليها السلام قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[3].

فهذه الأسطورة التي يرويها «ثقة الإسلام عندهم» بسند صحيح عندهم

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٤٠، بحار الأنوار: ٢٦/٤٤، بصائر الدرجات: ص٤٣.

(٢) انظر: ص (٢٣٦) من هذه الرسالة.

(٣) أصول الكافي: ١/٢٣٩.

كما يقرره شيوخهم[1] تقول: «إن مصحفهم يفوق المصحف في حجمه، ويخالفه في مادته.. فهل معنى هذا أن كتاب الله أقل من مصحف فاطمة، وأن مصحف فاطمة أكمل وأوفى من كتاب الله سبحانه الذي أنزله الله سبحانه ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وجعله دستوراً ومنهاج حياة للأمة إلى أن تقوم الساعة، وهل الأمة محتاجة إلى كتاب آخر غير كتاب الله ليكمل به دينها، وإذا فقدته فهي لم تستكمل أسباب الهداية والخير، وهي اليوم قد فقدته، إذ لاوجود له باعتراف الجميع.. ثم كيف يكون كتاب تسلية وتعزية كما تقول روايتهم السابقة أكمل من كتاب الله سبحانه؟ أليس هذا الزعم غاية في التحلل من العقل والجرأة على الكذب؟

هذا وتختلف أساطيرهم في وصف مصحف فاطمة كطبيعة الأكاذيب، فإذا كانت الرواية المذكورة تذكر بأن هذا المصحف من إملاء أحد الملائكة، والمصحف كان نزوله بعد وفاة الرسول ﷺ.. فإن رواية أخرى عندهم تقول «وخلفت فاطمة عليها السلام ما هو قرآن، ولكنه كلام من كلام الله أنزله عليها إملاء رسول الله وخط عليّ»[3].

فهذا يعني أن المصحف كان في حياة رسول الله ﷺ والمملي هو رسول الله، والكلام كلام الله.

وهذه الرواية يكاد آخرها يناقض أولها، إذ كيف ينزل على فاطمة ثم يكون من إملاء رسول الله وخط عليّ.

وتقول رواية أخرى: «مصحف فاطمة عليها السلام ما فيه شيء من كتاب الله وإنما هو شيء ألقي عليها»[4]. فهذا يشير إلى أن المصحف ألقي عليها

---

(١) انظر: الشافي شرح أصول الكافي: ٣/١٩٧.

(٢) النحل، آية: ٨٩.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦/٤٢، عن بصائر الدرجات: ص٤٢.

(٤) بحار الأنوار: ٢٦/٤٨، بصائر الدرجات: ص٤٣.

من السماء ولم يكن المد ٰني رسول الله ولا خط علي، ولم يحضر ملك يحدثها ويؤنسها ليكتب عليّ ما يقوله الملك- بدون علمه كما يبدو- ليجتمع من ذلك مصحف فاطمة لم يحدث شيء من ذلك إنما هو شيء ألقي عليها ثم إنه بعد وفاة أبيها لا في حياته.

وكان الأئمة كما تزعم كتب الشيعة يتخذون من مصحف فاطمة وسيلة لمعرفة علم الغيب، واستطلاع ما يكون. يقول أبو عبد الله- كما يزعمون- «تظهر الزنادقة في سنة ثمان وعشرين ومائة وذلك أني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام...»[1] أي فأخذت ذلك منه، وليس في هذه السنة التي حددتها هذه الأسطورة أحداث بارزة- كما يظهر من كتب التواريخ- اللهم إلا قتل بعض الرؤوس الضالة كالجهم بن صفوان وغيره، وهذا ضد ما تزعمه الأسطورة من ظهورهم، وتقول أيضاً: قال أبو عبد الله: «إني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام قبيل فلم أجد لبني فلان فيها إلا كغبار النعل»[2]. وهذه الأسطورة مغلفة بشيء من التقية، فلم يفصح عن اسم بني فلان، ولا المشار إليه بقوله فيها، ولم يوضح شيخهم المجلسي ذلك كعادته، وقد يشيرون بذلك إلى الخلافة، وببني فلان إلى أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فهو دائماً حولها يدندنون كقولهم «أولاد الحسن يحملهم الحسد وطلب الدنيا في الإنكار»[3].

والمقصود أن مصحف فاطمة أداة عندهم لاستطلاع ما يحدث في هذا الكون، ولو كان شيء من ذلك لتغير وجه التاريخ.. ولما حصل للأئمة ما حصل مما تصوره كتب الشيعة من المحن، ولما غاب منتظرهم واختفى خوفاً من القتل، ولما كان للتقية أدنى حاجة، إذ بمعرفة أسباب وقوع المكروه يتقون المكروه، وبمعرفة أسباب المرغوب والمحبوب يفوزون بالمحبوب، فإن زعموا أنهم لا قدرة لهم على

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/٢٦، بصائر الدرجات: ص٤٤.

(٣) أصول الكافي: ١/٣٠٥-٣٠٦.

تغيير شيء من ذلك فهم إذن كسائر الناس يجري فيهم قدر الله، وعلمهم بما يحدث يزيدهم حزناً لا يؤنسهم ويزيل وحشتهم- كما تزعم روايتهم- مادام أنهم لا حيلة لهم في التغيير، وإذا كانت هذه الروايات تجعل موضوع مصحف فاطمة هو «علم ما يكون».. فإن حديثاً آخر من أحاديثهم يقول كما يروي ثقة الإسلام عندهم إن أبا عبد الله قال عن مصحف فاطمة: «ما أزعم أن فيه قرآنا وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش»[1].

فهذا النص يجعل من مصحف فاطمة بالإضافة إلى علم ما يكون، علم الحدود والديات، ففيه حتى أرش الخدش، بل فيه التشريع كله فلا يحتاج فيه الأئمة معه إلى أحد، فهل يعني هذا أنهم لا يحتاجون إلى كتاب الله، وأنهم استغنوا عن شريعة القرآن بمصحف فاطمة فلهم دينهم ولأمة الإسلام دينها.

وهل التشريع الإسلامي العظيم لم يكمل بكتاب الله وسنة رسوله ليحتاج بعد ذلك إلى مصحف فاطمة، أو أن مصحف فاطمة يغني عن الجميع؟

إن المغزى من هذه النصوص واضح، فإعطاء الأئمة علم ما يكون هو إضفاء لصفة الألوهية عليهم بمنحهم ما هو من خصائص الإله «وهو علم الغيب» وجعل مصحف فاطمة يحوي علم الحدود والديات هو اتهام «مبطن» بقصور التشريع الإسلامي.

ثم عندهم رواية أخرى تقول: إن علم التشريع موجود في الجامعة لا في مصحف فاطمة يقولون: «إن عندنا لصحيفة يقال لها الجامعة ما من حلال ولا حرام إلا وهو فيها حتى أرش الخدش»[2]، وكذا في صحيفة عندهم تسمى صحيفة الحدود فيها من الحدود «ثلث جلدة من تعدى ذلك كان عليه حدّ

(١) أصول الكافي: ١/٢٤٠.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣/٢٦، عن بصائر الدرجات: ص٣٩.

جلدة»[1].

أما علم ما يكون فهو الآخر قالوا بأن وسيلته- غير مصحف فاطمة- لأنه في الجفر، وخلق أعظم من جبرائيل وميكائيل[2].. إلخ حتى قالوا: «ما ينقلب طائر في الهواء إلا وعندنا فيه علم»[3].

ثم رجعوا وقالوا: إن العلم كله إنما يؤخذ من كتاب الله كقول روايتهم بأن أبا عبد الله قال: «إني أعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. قال (الراوي): ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كبر على من سمعه منه فقال: «علمت ذلك من كتاب الله عز وجل، إن الله عز وجل يقول فيه تبيان كل شيء»[4].

وقد مضى ما نقله بعض شيوخهم المعاصرين من القول بإيمان الشيعة بسلامة كتاب الله، لأنه قوبل على مصحف فاطمة[5]. ولكن قال شيخهم الآخر الخنيزي: إن مصحف فاطمة غير القرآن وعلى ذلك تدل نصوصهم[6]، أقوال وروايات يكذب بعضها الآخر، ولا يخجلون من ذلك لأن دينهم التقية.

وفي كتاب «دلائل الإمامة» وهو من كتبهم المعتمدة عندهم[7] ترد رواية

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/١٩-٢٠، عن بصائر الدرجات: ص٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦/١٩، أمالي ابن الطوسي: ص٢٦٠.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ١٩، عيون أخبار الرضا: ص٢٠٠.

(٤) مضى تخريجه من كتب الشيعة، والتعليق عليه ص (١٣٦).

(٥) انظر ص (٢٦٧).

(٦) الخنيزي/ الدعوة الإسلامية: ١/ ٤٧.

(٧) قال عالمهم المجلسي عن الكتاب «دلائل الإمامة» من الكتب المعتبرة المشهورة، أخذ منه جملة من تأخر عنه كالسيد ابن طاووس وغيره.. ومؤلفه من ثقات رواتنا الإمامية (محمد بن جرير بن رستم الطبري) وليس هو ابن جرير صاحب التاريخ المخالف (المجلسي/ البحار ١/٣٩-٤٠) وقالت مقدمة الكتاب: «وهذا الكتاب لم يزل مصدراً من مصادر الشيعة في الإمامة والحديث تركن إليه وتعتمد عليه في أجيالها المتعاقبة منذ تأليفه إلى وقتنا الحاضر» من مقدمة الكتاب: ص٥.

تصف هذا المصحف المزعوم بأن فيه «خبر ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في السموات من الملائكة وغير ذلك، وعدد كل من خلق الله مرسلاً وغير مرسل، وأسماءهم، وأسماء من أرسل إليهم، وأسماء من كذب ومن أجاب، وأسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين وصفة كل من كذب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدة ملكهم وعددهم وأسماء الأئمة وصفتهم وما يملك كل واحد واحد... فيه أسماء جميع ما خلق الله وآجالهم، وصفة أهل الجنة وعدد من يدخلها، وعدد من يدخل النار، وأسماء هؤلاء وهؤلاء، وفيه علم القرآن كما أنزل، وعلم التوراة كما أنزلت وعلم الإنجيل كما أنزل، وعلم الزبور، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد»[1].

هذه المواضيع كلها في «ورقتين من أوله»[2]. يقول الراوي: «إن إمامهم قال: وما وصفت لك بعد ما في الورقة الثالثة ولا تكلمت بحرف منه»[3].

وما ندري بأي حجم يكون هذا «الورق»؟! كما لا ندري لماذا لم يستفد أئمتهم من هذه العلوم في سبيل استرداد الإمامة التي حرموها- كما تزعم الشيعة-؟

ولماذا لا يخرج منتظرهم من سردابه وكيف يخاف القتل- كما يعللون سر اختفائه- فيظل مختفياً- وكل هذه العلوم عنده!!

وتصف رواية «دلائل الإمامة» صفة نزول هذا المصحف على خلاف ما جاء في الرواية السالفة عن الكافي من أن علياً كتب، ما سمعه من الملك حتى أثبت بذلك مصحفاً، تقول رواية «الدلائل» إنه نزل جملة واحدة من السماء بواسطة ثلاثة من الملائكة وهم «جبرائيل وإسرافيل وميكائيل... فهبطوا به وهي قائمة تصلي فما زالوا قياماً حتى قعدت، ولما فرغت من صلاتها سلموا عليها وقالوا:

---

(١) محمد بن جرير بن رستم الطبري/ دلائل النبوة: ص٢٧-٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

السلام يقرئك السلام ووضعوا المصحف في حجرها»[1].

فقالت: لله السلام ومنه السلام وإليه السلام وعليكم يا رسل الله السلام ثم عرجوا إلى السماء فما زالت من بعد صلاة الفجر إلى زوال الشمس تقرؤه حتى أتت على آخره «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة.

قلت: جعلت فداك فلمن صار ذلك المصحف بعد مضيها؟

قال: دفعته إلى أمير المؤمنين، فلما مضى صار إلى الحسن ثم إلى الحسين ثم عند أهله حتى يدفعوه إلى صاحب هذا الأمر...»[2].

هذا بعض ما جاء في كتبهم عن مصحف فاطمة المزعوم، وهو يبين أن لفاطمة مصحفاً نزل عليها بعد وفاة الرسول ﷺ فيه علم الغيب وعلم الحدود والديات وغيرها مما سلف ذكره وأنه اليوم عند إمامهم الغائب! وهو وحي كالقرآن، إلا أنه مثله ثلاث مرات ما فيه من قرآننا حرف واحد، فهل نزل هذا المصحف ليكمل القرآن!!

هذا ومثل هذا المصحف المزعوم «مصاحف كثيرة» تدعي الشيعة فيها ما يشبه دعواها حول مصحف فاطمة، وهذا موضوع واسع يحتاج إلى بحث مستقل، ولذلك سنذكر فيما يلي بعض أسماء هذه المصاحف وشيئاً مما يعرّف بها وندع التفاصيل والتحليل.

ب- كتاب أنزل على الرسول قبل أن يأتيه الموت- كما يزعمون-:

«عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً قبل أن يأتيه الموت فقال: يا محمد هذا الكتاب وصيتك إلى النجيب

---

(١) محمد بن جرير بن رستم الطبري/ دلائل النبوة: ص٢٧-٢٨.

(٢) المصدر السابق.

من أهل بيتك، فقال: ومن النجيب من أهلي يا جبرائيل؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب، فدفعه النبي صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منها ويعمل بما فيه، ففك عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه، ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن اخرج بقوم إلى الشهادة فلا شهادة لهم إلا معك وأشر نفسك لله عز وجل ففعل، ثم دفعه إلى علي بن الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه اصمت والزم منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ففعل، ثم دفعه إلى محمد بن علي عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه: حدث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك، ثم دفعه إليّ ففككت خاتماً فوجدت فيه حدّث الناس وأفتهم وانشر علوم أهل بيتك، وصدق آباءك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله وأنت في حرز وأمان ففعلت ثم ادفعه إلى موسى بن جعفر وكذلك يدفعه موسى إلى الذي من بعده ثم كذلك أبداً إلى قيام المهدي عليه السلام»[1].

إن هذا الكلام ممكن أن يؤخذ منه أن الرسول ﷺ كان يجهل من هو النجيب من أهل بيته إلى وقت وفاته فهو يسأل من هو النجيب، وهذا يعني أنه لم يعلن للناس وبهذا تسقط أخبار الشيعة كلها، أو يقال إن هناك مجموعة من النجباء من أهل البيت والسؤال للتعرف على المقصود منهم وهذا أيضاً يلغي دعاوى الشيعة في أفضلية عليّ.

ثم إن الكتاب لم يفصح عما أمر به علي والحسن، وبين ما أمر به الحسين وهو خروجه إلى الموت، وهذا يخالف الواقع تاريخياً من أن الحسين لم يكن في ذهابه يتوقع ماحصل له، وأن الذي تولى كبر ماحصل للحسين رضي الله عنه- بعد قتلته- هم الذين غرروا به وخدعوه، فلما خرج إليهم خذلوه وتخلوا عن نصرته، وهم يزعمون التشيع له. وقد كتبوا إليه كتباً عديدة في توجهه إلى طرفهم،

---

(١) بحار الأنوار: ٣٦/١٩٢-١٩٣، وانظر: ابن بابويه/ إكمال الدين ص٣٧٦، أمالي الصدوق: ص٢٤٠، أمالي الشيخ: ص٢٨٢، أصول الكافي: ١/٢٨٠.

فلما قرب من ديارهم تقاعسوا عن نصرته، بل رجع أكثرهم مع الأعداء خوفاً وطمعاً وصاروا سبباً لشهادته وشهادة كثير ممن معه[1].. ولذلك حكمت كتب الشيعة بردة من بعد الحسين إلا ثلاثة[2]، فهل هذه الرواية محاولة للدفاع عن هذه الفئة؟!

ثم كيف يفرقون بين الأئمة في وجوب الدعوة ونشر العلم، وأن فيهم من يسعه الصمت ولزوم البيت ومنهم من يلزمه نشر العلم وإظهار الدعوة؟! ثم هذه الرواية تعترف بأن الشيعة لم يكن لديها من يحدثها وينشر العلم بينها حتى جاء أبو جعفر الصادق، وهذا ما تؤكده روايتهم التي تقول «كانت الشيعة قبل أن يكون أبو جعفر وهم لا يعرفون مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم، حتى كان أبو جعفر ففتح لهم، وبين لهم مناسك حجهم وحلالهم وحرامهم..»[3].

وهذا يعني الحكم بأن أوائل الشيعة من قبل أبي جعفر كانوا يعبدون الله على جهل.

ثم هل كان علي بن الحسين ممن لزم بيته وآثر الصمت، أم هو قد خان الوصية وخالف الكتاب المختوم بالذهب فنشر العلم، ودعا إلى سبيل الله على بصيرة؟!!

لقد كان علي بن الحسين من كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً، وهو الذي قال في مثل هؤلاء المفترين: «أحبونا حب الإسلام فوالله مازال بنا ما تقولون حتى بغضتمونا إلى الناس»[4].

قال الزهري: «مارأيت قرشياً أفضل منه ومارأيت أفقه منه»[5] وكان ثقة مأموناً كثير الحديث..»[6].

---

(١) مختصر التحفة: ص٦٢.

(٢) أصول الكافي: ٢/٣٨٠.

(٣) المصدر السابق: ٢/٢٠.

(٤) طبقات ابن سعد: ٥/٢١٤.

(٥) الخزرجي/ الخلاصة ص٢٧٣.

(٦) منهاج السنة: ٢/١٥٣.

وقد اعترف شيخهم المفيد بنشره للعلم قال: «وقد روى عنه فقهاء العامة- يعني أهل السنة- من العلوم ما لا تحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية والحلال والحرام، والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء ولو قصدنا إلى شرح ذلك لطال به الخطاب»[1].

وهكذا تناقض أخبارهم وتتعارض أقوالهم وهو دليل الكذب والافتراء.

جـ- «لوح فاطمة»:

وهذا- كما يؤخذ من رواياتهم- غير مصحف فاطمة، لأن مصحف فاطمة نزل بعد وفاة الرسول- ﷺ- بواسطة الملك وكتبه عليّ من فم الملك وسلمه لفاطمة، أو نزل جملة واحدة بواسطة ثلاثة من الملائكة إلى آخر ما بينا من أوصاف القوم لهذا الكتاب. أما لوح فاطمة فله صفات أخرى منها: أنه نزل على الرسول-ﷺ- وأهداه لفاطمة، إلى غير ذلك من أوصافه، وقد نقلوا عن لوح فاطمة بعض النصوص التي تؤيد عقائدهم. ويبدو أن هذا الخبر عن «لوح فاطمة» والنص المنقول منه على درجة عالية من السرية ففي نهاية النص- كما سيأتي- أمر بكتمانه عن غير أهله فهو سر من أسرارهم، ولا ندري كيف تسرب ولماذا تسرب ومتى؟

وإليك النص:

روى صاحب الوافي عن الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: قال أبي لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن لي إليك حاجة متى يخف عليك أن أخلو بك فأسألك عنها؟ قال له جابر: في أي الأحوال أحببت فخلا به في بعض الأيام فقال له: يا جابر أخبرني عن اللوح الذي رأيته في يد أمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وما أخبرتك به أمي أنه في ذلك اللوح مكتوب، فقال جابر: أشهد بالله أني دخلت على أمك فاطمة عليها السلام في حياة رسول الله صلى الله

---

(١) المفيد/ الإرشاد: ص٢٩٢-٢٩٣، عباس القمي/ الأنوار البهية: ص١١٢.

عليه وآله فهنيتها بولادة الحسين فرأيت في يديها لوحاً أخضر ظننت أنه من زمرد ورأيت فيه كتاباً أبيض شبه لون الشمس فقلت لها: بأبي وأمي أنت يا بنت رسول الله ما هذا اللوح فقالت: هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله فيه اسم أبي واسم بعلي واسم ابني واسم الأوصياء من ولدي وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك. قال جابر: فأعطتنيه أمك فاطمة عليها السلام فقرأته واستنسخته فقال أبي: فهل لك يا جابر أن تعرضه علي؟ قال: نعم، فمشى معه أبي إلى منزل جابر فأخرج صحيفة من رق فقال: يا جابر انظر في كتابك لأقرأ عليك، فنظر جابر في نسخته وقرأ أبي، فما خالف حرف حرفاً، فقال جابر: أشهد بالله أني هكذا رأيته في اللوح مكتوباً:

بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه ونوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي..[1].

د- دعواهم نزول اثنى عشر صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة:

في حديث طويل من أحاديثهم- يرويه صدوقهم ابن بابويه القمي- أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال- كما يفترون- «إن الله تبارك وتعالى أنزل عليّ اثنى عشر خاتماً، واثنى عشر صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته»[2].

ومزاعمهم في هذا الباب كثيرة.[3].

---

(١) انظر نصه في كتب الشيعة: الكليني، الكافي: ١/٥٢٧، ٥٢٨، الفيض الكاشاني/ الوافي، أبواب العهود بالحجج والنصوص عليهم صلوات الله عليهم، المجلد الأول: ٢/٧٢، وانظر الطبرسي/ الاحتجاج: ١/٨٤-٨٧ وابن بابويه القمي/ إكمال الدين: ص٣٠١-٣٠٤، الطبرسي (صاحب مجمع البيان)، أعلام الورى ص١٥٢، الكراجكي/ الاستنصار: ص١٨. ويلاحظ أن رواة الشيعة لم يتفقوا في نقلهم لألفاظ هذا الكتاب الإلـٰهي المزعوم، قارن مثلاً بين ما جاء في إكمال الدين، وما جاء في الكافي. وانظر صورته ص (٦٠١).

(٢) ابن بابويه القمي/ إكمال الدين ص٢٦٣.

(٣) وهناك كتب أخرى غير ما ذكر: كصحيفة فاطمة.. وهي كما يزعمون «صحيفة بيضاء من درة.. فيها أسماء الأئمة» ومحظور لمسها على سائر الناس «قد نهي أن يمسها إلا نبي أو وصي =

وهكذا يحاول القوم أن يسلكوا كل وسيلة لتثبيت معتقدهم في الأئمة.. بعد أن زلزل دعواهم خلو كتاب الإسلام العظيم «مما يثبتها» فراحوا يزعمون تنزل كتب إلهية مع القرآن فكانت هذه الدعوى فضيحة تضاف لقائمة فضائحهم وأكاذيبهم.

* * *

= نبي أو أهل بيت نبي» ثم ذكروا بعض نصوصها ومنها «أبو القاسم محمد بن عبد الله المصطفى أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد...» ثم ذكر بقية الاثنى عشر بذكر اسمه واسم أمه (انظر: بحار الأنوار: ٣٦/ ١٩٣- ١٩٤، إكمال الدين ص١٧٨، عيون أخبار الرضا ص٢٤، ٢٥).

" صورة لأحد الكتب المزعومة "

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لمحمد نبيه و نوره وسفيره وحجابه ودليله نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين ، عظم يا محمد أسمائي واشكر نعمائي ولا تجحد آلائي ، إني أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارين ومديل المظلومين وديان الدين ، إني أنا الله لا إله إلا أنا ، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي ، عذبته عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين فإياي فاعبد و علي فتوكل ، إني لم أبعث نبياً فأكملت أيامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصياً وإني فضلتك على الأنبياء و فضلت وصيك على الأوصياء وأكرمتك بشبليك وسبطيك حسن وحسين ، فجعلت حسناً معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه وجعلت حسيناً خازن وحيي و أكرمته بالشهادة و ختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامة معه و حجتي البالغة عنده ، بعترته أثيب وأعاقب ، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين[1] وابنه شبه جده المحمود محمد الباقر علمي والمعدن لحكمتي سيهلك المرتابون في جعفر ، الراد عليه كالراد علي ، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأسرنه في أشياعه وأنصاره و أوليائه ، أتيحت[2] بعده موسى فتنة عمياء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى و أن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى ، من جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي ، ويل للمفترين الجاحدين عند انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي في علي وليي وناصري و من أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن في المدينة التي بناها العبد الصالح[3] إلى جنب شر خلقي حق القول مني لأسرنه بمحمد ابنه وخليفته من بعده و وارث علمه ، فهو معدن علمي وموضع سري و حجتي على خلقي لا يؤمن عبد به إلا جعلت الجنة مثواه وشفعته في سبعين من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار وأختم بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي ، أخرج منه الداعي إلى سبيلي والخازن لعلمي الحسن وأكمل ذلك بابنه (م ح م د) رحمة للعالمين ، عليه كمال موسى وبهاء عيسى وصبر أيوب فيذل أوليائي في زمانه و تتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون و يكونون خائفين ، مرعوبين ، وجلين ، تصبغ الأرض بدمائهم و يفشو الويل والرنة في نسائهم أولئك أوليائي حقاً ، بهم أدفع كل فتنة عمياء حندس وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون.

قال عبد الرحمن بن سالم : قال أبو بصير : لو لم تسمع في دهرك ، إلا هذا الحديث لكفاك ، فصنه إلا عن أهله . (*)

(١) في بعض النسخ [وزين أولياء الله الماضين] .

(٢) في بعض النسخ [ابيحت] وفي بعضها [انتجبت] .

(٣) هو ذو القرنين لان طوس من بنائه كما صرح به في رواية النعماني لهذا الخبر . (آت)

اصول الكافي - ٣٣ -

(*) مضى تخريجه من كتب الشيعة : ص ٥٩٩ هامش (١) .

□ **نقد هذه المقالة:**

قال الله تعالى: ﴿يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ..﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾[3].

فالذين طلبوا من الرسول- ﷺ- صحيفة مكتوبة من السماء هم الكفار وأهل الكتاب.. فلم يجابوا..

فأراد الكليني وأمثاله ممن أشاع هذه الفرية أن يصوروا خير أمة أخرجت للناس بأنهم أشد كفراً من اليهود والذين كفروا، لأنهم أنزل عليهم كتب من السماء فلم يؤمنوا أي لم يعرفوا الأئمة الاثنى عشر.

والآية صريحة في بطلان ما يدعى هؤلاء الروافض إذ لو كان شيء من دعاوى الشيعة واقعاً لأشارت إليه الآيات، ولم تنكر على هؤلاء دعواهم، أو لقال

---

(١) النساء: آية: ١٥٣.

(٢) الإسراء، آية: ٩٠- ٩٣.

(٣) الأنعام، آية: ٧.

النبي ﷺ لهم دونكم ما نزل على فاطمة، أو ما نزل عليّ، أو ما سينزل على الأئمة، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث فما أجرأ هؤلاء على الكذب المكشوف.

ولماذا تنقل الأمة القرآن والسنة.. وتترك هذه الكتب المزعومة لينفرد بنقلها هؤلاء؟ ولا يعرف أحد من الأمة ولا علماء التاريخ، ولا أهل الأديان شيئاً عن أمر هذه «الكتب»؟ وكيف تختلف الشيعة في أمر تعيين الإمام إلى عشرات الفرق وعندها هذه الصحف المنزلة؟

وقد وقفت على نص عندهم جاء في الكافي، يناقض هذه الدعوى وهو عن أبي عبد الله- الذي يفترون عليه كل تلك الافتراءات- قال: «إن الله عز ذكره ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده أبداً، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً، وأنزل فيه تبيان كل شيء وخلقكم وخلق السمٰوات والأرض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم وأمر الجنة والنار وما أنتم صائرون إليه»[1] وهذا نص لا يحتاج إلى تعليق فهو يكذب كل هذه الدعاوى وينفي وقوعها نفياً قاطعاً.

وفي حديث آخر عندهم قال الرضا: «شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا تنسخ إلى يوم القيامة، فمن ادعى بعده نبوة، أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباح لكل من سمع ذلك منه»[2].

ونحن هنا نخاطبهم بعقليتهم وإلا فإن هذه المقالة يكفي في معرفة فسادها مجرد عرضها، وإن إجماع الأمة قائم على أنه لا كتاب إلا كتاب الله سبحانه، وكل من ادعى أنه عنده كتاب إلٰهي فهو كاذب زنديق.

وما الحاجة لنزول هذه الكتب والله سبحانه يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[3]، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى

---

(١) صحيح الكافي: ١/٣١، أو أصول الكافي: ١/٢٦٩، وانظر: مفتاح الكتب الأربعة: ٨/٦٤-٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٧٩/٢٢١، و ج ١١/٣٤- ٣٥، وعزاه إلى علل الشرائع لابن بابويه.

(٣) النحل، آية: ٨٩.

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾[1].

وأين هذه المصاحف والصحف اليوم، وهل لها من أثر، وما فائدة خزنها عند المنتظر.. ولكن يبدو أن مهندسي بناء التشيع وضعوا أمثال هذه الروايات - خوفاً من أن يفقد المذهب أتباعه لعدم وجود ما يشهد له من كتاب الله. كما كان لهم هدف أبعد من ذلك وهو الكيد للأمة ودينها، والأخذ بالشيعة بعيداً عن المسلمين لتستقل بكتبها عن كتاب الله.

ومن الغريب أن من شيوخ الشيعة القدامى والمعاصرين من أنكر ما ينسب، لمذهب الشيعة الاثنى عشرية من القول بالتحريف، وعدّ رواياتها وإن كثرت من قبيل الأساطير التي تسربت للمذهب... ولكن لم يقفوا نفس الموقف- في حدود اطلاعي- من هذه الفرية التي تولى كبر إشاعتها الكليني وأضرابه، فقد أغمض عنها شيوخ الشيعة، وهي قد لا تقل خطورة عن «الدعوى» الأولى بل إن ابن بابويه، والطبرسي وهما ممن أنكر «أسطورة التحريف» قد شاركا في إشاعة هذه «الضلالة»... فهل لأن الأولى عرفها المسلمون عن الشيعة، والأخرى كانت غير معروفة؟!

وهذه الدعوة تتضمن أموراً في غاية الخطورة منها: أن الوحي لم ينقطع والنبوة لم تختم، وأن الأئمة بمنزلة الأنبياء أو أعظم، فهم تنزل عليهم الكتب المتعددة من السماء، وهذا ما لم يتحقق للرسول ﷺ، ومنها تضليل الصحابة والأمة جميعاً بأنها ردت الكتب المنزلة.

وهذه الدعوى إحدى المعالم الواضحة على أن هذا المذهب قد ابتلي بشرذمة من الكذابين الذين لا يتورعون عن أي كذب، فهم كذبوا على رسول الله بوضع الأحاديث، وكذبوا على الله سبحانه بوضع هذه «الكتب»!!

وإنما يفتري الكذب على الله الذين لا يؤمنون..

---

(١) الإسراء، آية: ٩.

* **المسألة الثانية**: دعواهم بأن جميع الكتب السماوية عند الأئمة:

تدعي الشيعة بأن عند الأئمة الاثنى عشر كل كتاب نزل من السماء وأنهم يقرأونها على اختلاف لغاتها، وعقد صاحب الكافي باباً لهذا الموضوع بعنوان: (باب أن الأئمة عندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله عز وجل وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها)[1] وضمنه طائفة من رواياتهم. ومثله فعل صاحب البحار فذكر باباً بعنوان: (باب في أن عندهم صلوات الله عليهم كتب الأنبياء عليهم السلام يقرؤونها على اختلاف لغاتها)[2] وذكر في هذا الباب (٢٧) حديثاً من أحاديثهم.

تقول هذه الروايات عن الأئمة «كل كتاب نزل فهو عند أهل العلم ونحن هم»[3] «إن عندنا صحف إبراهيم وألواح موسى»[4] «إن عندنا علم التوراة والانجيل والزبور وبيان ما في الألواح»[5]. وتأتي رواية أخرى تفسر المراد بالألواح وأنها ألواح موسى، وتصف هذه الألواح بأنها زبرجدة من الجنة وفيها تبيان كل شيء هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وأنها مكتوبة بالعبرانية وأن الرسول ﷺ دفعها إلى أمير المؤمنين علي وقال: «دونك هذه ففيها علم الأولين والآخرين وهي ألواح موسى وقد أمرني ربي أن أدفعها إليك. قال يارسول الله لست أحسن قراءتها، قال: إن جبرائيل أمرني أن آمرك أن تضعها تحت رأسك ليلتك هذه فإنك تصبح وقد علمت قراءتها قال: فجعلها تحت رأسه فأصبح وقد علمه الله كل شيء فيها فأمره رسول الله ﷺ أن ينسخها فنسخها في جلد شاة وهو الجفر وفيه علم الأولين والآخرين، وهو عندنا[6].

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٢٦/١٨٠.

(٣) أصول الكافي (مع شرح جامع للمازندراني): ٥/٣٥٥.

(٤) المصدر السابق: ٥/٣٥٤.

(٥) السابق نفسه.

(٦) بحار الأنوار: ٢٦/ ١٨٧- ١٨٨.

وإذا كانت هذه الرواية تحدد مضمون الجفر بأنه (ألواح موسى)، فإن رواية أخرى لهم تخرج عن هذا التحديد وتقول بأن أبا عبد الله قال: «إن عندي الجفر الأبيض.. فيه: زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة ما أزعم أن فيه قرآناً وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة ونصف الجلدة وربع الجلدة وأرش الخدش»[1].

وكأن شارح الكافي استكثر أن يكون كل ذلك مكتوباً في الجفر الذي هو جلد شاة- كما تفسره الرواية السابقة- فقال: الظاهر أن الجفر وعاء فيه هذه الصحف لا أنها مكتوبة فيه[2]. في حين أن صريح الرواية السابقة يخالف هذا حيث نصت على أن علياً (نسخها في جلد شاة).

ومعنى هذا أن جلد الشاة يستحيل أن يستوعب كل هذه الكتب، والتي يتضمن أحدها وهو ألواح موسى، علم الأولين والآخرين، وهذا يكشف أن هذه الدعاوى من وضع جاهل لا يحسن أن يضع.

وكل عاقل يدرك أن لو كان عند الأئمة علم الأولين والآخرين لتغير وجه التاريخ..

والزعم بأن عند الأئمة الكتب السماوية كلها لم يأخذ الشكل النظري فحسب بل تجاوز ذلك إلى محيط العمل، فها هو أبو الحسن- بزعمهم- يقرأ الإنجيل أمام نصراني يقال له بريه فيقول هذا النصراني بعد سماعه لقراءة إنجيله عن الإمام: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة، ثم إن النصراني- كما تقول الرواية-آمن وحسن إسلامه. وقال للإمام: «أنى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء فقال: هي عندنا وراثة من عندهم نقرأوها كما قرأوها، ونقولها كما قالوا:

---

(١) أصول الكافي: ١/٢٤٠.

(٢) شرح جامع/ للمازندراني: ٥/٣٨٩.

إن الله لا يجعل حجةً في أرضه يسأل عن شيء فيقول لا أدري»[1].

فيؤخذ من هذه الرواية أن الأئمة يقرأون التوراة والإنجيل وغيرهما، كما قرأها الأنبياء، حتى يجدوا ما يجيبون فيه على أسئلة الناس.

بل الأمر تعدى مجرد القراءة والفتوى إلى مجال الحكم والقضاء، ووضع- صاحب الكافي- لهذا باباً بعنوان: (باب في الأئمة أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون البينة عليهم السلام»[2].

ومن الروايات التي ذكرها في هذا الباب: «.. عن جعيد الهمداني عن علي ابن الحسين رضي الله عنه قال: سألته بأي حكم تحكمون؟ قال: حكم آل داود فإن أعيانا شيء تلقانا به روح القدس»[3].

وترد عندهم نصوص كثيرة تقول بأن مهديهم المنتظر يحكم بحكم آل داود ولا يسأل بينة[4]، ويذكرون جملة من الأحكام التي يحكم بها مهديهم بموجب شريعته الخاصة مثل «كونه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب، ويقتل كل من بلغ عشرين سنة ولم يتفقه في الدين، وأنه لا يقبل البينة، ويحكم بحكم آل داود وأمثالها»[5]. كما سيأتي- إن شاء الله- تفصيله في عقيدتهم في المهدي المنتظر.

وجاءت عندهم عدة روايات تذكر بأن علياً يقول: لو تمكنت من الأمر لحكمت لكل طائفة بكتابها[6]، فمن هذه الروايات: زعمهم أن علياًقال: «لو

---

(١) أصول الكافي (مع شرح جامع): ٣٥٩/٥، بحار الأنوار: ١٨١/٢٦، ١٨٢، التوحيد للصدوق ص٢٨٦- ٢٨٨.

(٢) أصول الكافي: ٣٩٣/١.

(٣) المصدر السابق: ٣٩٨/١.

(٤) انظر هذه الروايات في المصدر السابق: ٣٩٨/١ وما بعدها.

(٥) انظر: الشعراني/ تعاليق علمية (على شرح الكافي للمازندراني) ٣٩٣/٦.

(٦) توجد هذه الروايات في البحار: ١٨٠/٢٦ وما بعدها، و ج ١٣٦/٤٠ وما بعدها.

ثنيت لي وسادة»[1]، أو «لو ثنى الناس لي وسادة كما ثني لابن صوحان[2] لحكمت بين أهل التوراة بالتوراة.. ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل.. ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور.. ولحكمت بين أهل الفرقان بالفرقان»[3].

□ نقد هذه المقالة:

بعث الله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين، وختم به النبوات، ونسخ برسالته سائر الرسالات ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4]. «ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من أتباعه ﷺ»[5] «وإذا نزل عيسى عليه السلام إلى الأرض فإنما يحكم بشريعة محمد ﷺ»[6] فقد نسخ الله سبحانه بكتابه الكتب السماوية كلها، قال تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ.. ﴾[7].

---

(١) قال المجلسي: ثني الوسادة عبارة عن التمكن في الأمر ونفاذ الحكم... (البحار: ٤٠/ ١٣٧).

(٢) قال المجلسي: ذكر ابن صوحان في الخبر غريب ولعله كان ابن أبي سفيان وعلى تقديره كأن المراد به لو كان لي بين أصحابي نفاذ أمر وقبول حكم كنفاذ أمر ابن صوحان (البحار: ١٨٢/٢٦).

(٣) البحار: ٢٦/ ١٨٢.

(٤) آل عمران، آية: ٨٥.

(٥) شرح الطحاوية: ص٥١٣.

(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣١٦/٤، شرح الطحاوية: ص٥١٣.

(٧) المائدة، آية: ٤٨– ٤٩.

قال ابن جرير الطبري في قوله سبحانه: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ «وهذا أمر من الله تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أن يحكم بين المحتكمين إليه من أهل الكتاب وسائر أهل الملل بكتابه الذي أنزله إليه وهو القرآن الذي خصه بشريعته، فالله سبحانه أنزل القرآن مصدقاً ما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليه، رقيباً يقضي على ما قبله من سائر الكتب قبله»[1].

وكتب الشيعة تقول بأن الأئمة يحكمون بحكم آل داود، ويحكمون لكل أصحاب دين بكتابهم. فهل هذا خروج عن شريعة الإسلام، أو دعوة إلى وحدة الأديان؟! وقد يكون هذا من الأدلة على أن التشيع مأوى النحل والأديان، وكل صاحب دين يجد فيه بغيته، وينفث من خلاله سمومه على الإسلام.

أما قول الشيعة بأن كتب الأنبياء عند أئمتهم فهذا ما لا يملكون عليه دليلاً سوى دعاوى لا يصدقها الواقع، كيف والمصطفى ﷺ لا يملك ذلك، كما يدل على ذلك ما جاء في الصحيحين وغيرهما «إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأةً زنيا. فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويجلدون. فقال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يامحمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما»[2].

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري: ٦/٢٦٨- ٢٦٩، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٩/٢١٨.

(٢) أخرجه البخاري (مع الفتح) في كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: «يعرفونه كما يعرفون أبناءهم...» (البقرة، آية: ١٤٦) ج٦ ص٦٣١ (ح٣٦٣٥) وفي مواضع أخرى، وأخرجه بهذا المعنى مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود، أهل الذمة في الزنى: ٢/١٣٢٦، (ح ١٦٩٩)، وأبو داود، في كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين: ٤/٥٩٣، (ح٤٤٤٦)، وابن ماجه في الحدود، باب رجم اليهودي واليهودية: ٢/٨٥٤- ٨٥٥ (ح٢٥٥٨)، ومالك في الموطأ، كتاب الحدود، باب ما جاء في الرجم: ٢/٨١٩، وأحمد: ٢/٥، والشافعي في الرسالة فقرة ٦٩٢، بتحقيق أحمد شاكر.

قال أهل العلم: «وقوله ﷺ: «**ما تجدون في التوراة في شأن الرجم**» يحتمل أن يكون قد علم بالوحي أن حكم الرجم فيها ثابت على ما شرع... ويحتمل أن يكون علم بذلك بخبر عبد الله بن سلام ومن أسلم من علماء اليهود على وجه حصل له به العلم بصحة ما نقلوه، ويحتمل أن يسألهم عن ذلك ليعلم ما عندهم فيه ثم يستعلم صحة ذلك من قبل الله تعالى»[1]. ولم يذكروا احتمال أن تكون التوراة موجودة عنده بل هذه من بدع الشيعة.. ولو كان الأمر على ما زعمت كتب الشيعة لأظهر التوراة الموجودة عنده ولم يأمرهم بالإتيان بها، أو لطلبها من ابن أخيه علي.

وأمر آخر وهو أن الشيعة تزعم أن الكتب السماوية السابقة والموجودة عند الأئمة لم تصل إليها يد التحريف والتبديل.

وقد بين الله سبحانه لنا أن أهل الكتاب حرفوا الكلم عن مواضعه ومن بعد مواضعه، وأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به، وإنما أوتوا نصيباً من الكتاب إذ نسوا نصيباً آخر وأضاعوه.

ولما خرجت أمة القرآن من الأمية وعرفوا تاريخ أهل الكتاب ظهر لهم أن اليهود فقدوا التوراة التي كتبها موسى ثم لم يجدوها، وإنما كتب لهم بعض علمائهم ما حفظوه منها ممزوجا مما ليس منها والتوراة التي بين أيديهم تثبت ذلك[2].

«وأما الأناجيل فالاضطراب فيها أعظم منه في التوراة، ونسخ الزبور يخالف بعضها بعضاً مخالفة كثيرة في كثير من الألفاظ والمعاني ويقطع من رآها أن كثيراً منها كذب على زبور داود عليه السلام»[3].

ولسنا في مقام دراسة هذه المسألة وبسطها وإنما الغرض الإشارة إلى نتيجة الدراسات التي قامت حول الكتب السابقة والتي تقول بأنه لم يبق منها كتاب

---

(١) الباجي/ المنتقى: ١٣٣/٧، فتح الباري: ١٢/ ١٦٨، عون المعبود: ١٣١/١٢.

(٢) تفسير المنار: ٣٩٦/٦.

(٣) ابن تيمية/ دقائق التفسير: ٥٨/٣.

على ما أنزل لم يصل إليه تحريف.. إلا أن كتب الشيعة تدعي أن عندها هذه الكتب وغيرها من الكتب السماوية لم ينلها تغيير.. ولو كان عند الأئمة الكتب الأصلية غير المحرفة لكان واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتم عليهم أن يواجهوا بها اليهود والنصارى ليردوهم إلى الحق وليظهروا ما فيها من الأخبار من ظهور النبي ﷺ ووجوب اتباعه، ولو فعلوا ذلك لرجع أكثر اليهود والنصارى عن كفرهم ولنقل ذلك واشتهر.

ولعل من سمع هذه الدعوى يسأل: أين هذه الكتب السماوية، في أي مكان توجد وعند من؟

وما الهدف من وجودها عند أئمتهم هل ليكملوا بها شريعة الإسلام؟!
ولم لم يحتجوا بها على تحريف أهل الكتاب ويقيموا الحجة عليهم؟ هل هذا تقصير منهم؟

هذه أسئلة لا جواب عليها يرتضى، لأنها تدور على أسطورة لا حقيقة لها.. وليس هذه الدعوى بغريبة على قوم ادعوا لأئمتهم كل شيء.. ولكن الغريب أن تجد من يصدق بها في عالم اليوم.

ولذلك فإن الشيعة تقول في كل وهم من هذه الأوهام أعني الكتب السرية والمصاحف السماوية ومواريث الأنبياء.. إلخ إن مستقرها ومستودعها عند الغائب الموهوم المهدي المنتظر[1]، فتعلق أتباعها بهذا السراب الخادع أساطير يتبع بعضها بعضاً.

□ الإيمان بالرسل:

وضلال الشيعة في هذا الركن يتمثل في عقائد متعددة كقولهم بأن الأئمة يوحى إليهم[2]، كما سبق إثباته في «فصل السنة»، وفي مسألة الإيمان بالكتب.

---

(١) انظر: أصول الكافي: ١/٢٢١.

(٢) بل قالوا: «إن الأئمة عليهم السلام لايتكلمون إلا بالوحي (بحار الأنوار: ١٧/١٥٥، و ج ٥٤/ ٢٣٧).

وكفوهم بعصمة الأئمة، وضرورة اتباع قولهم[1]، فهم أعطوهم بهذا معنى النبوة، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن جعل بعد الرسول معصوماً يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها»[2].

وبالغوا في الضلالة حينما زعموا أن الأنبياء عليهم السلام هم أتباع لعلي، وأن منهم من عوقب لرفضه ولاية علي، حتى جاء في أخبارهم «عن حبة العرني قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله عرض ولايتي على أهل السمٰوات وأهل الأرض أقرّ بها من أقرّ، وأنكرها من أنكر، أنكرها يونس فحبسه الله في بطن الحوت حتى أقر بها»[3].

ولهم في هذا المعنى روايات كثيرة[4].

من هنا قرروا: بأن الأئمة هم أفضل من الأنبياء، وأن الأئمة جاءوا بالمعجزات لإقامة الحجة على الخلق أجمعين. وسأعرض لهاتين المسألتين بشيء من التفصيل في الصفحات التالية.

□ تفضيلهم الأئمة على الأنبياء والرسل:

الرسل أفضل البشر وأحقهم بالرسالة، حيث أعدهم الله تعالى لكمال العبودية والتبليغ والدعوة والجهاد﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[5]، فهم قد امتازوا «برتبة الرسالة عن سائر الناس»[6].

وقد أوجب الله على الخلق متابعتهم. قال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا

---

(١) انظر فصل العصمة.

(٢) منهاج السنة: ٣/١٧٤.

(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٨٢، بصائر الدرجات: ص٢٢.

(٤) ذكرها المجلسي في «باب تفضيلهم على الأنبياء»: ٢٦/٢٦٧- ٣١٩.

(٥) الأنعام، آية: ١٢٤.

(٦) الحليمي/ المنهاج في شعب الإيمان: ١/٢٣٨.

﴿لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[1] ولا يفضل أحد من البشر عليهم. قال الطحاوي في بيان اعتقاد أهل السنة: «ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[2].

وتفضيل الأئمة على الأنبياء هو مذهب غلاة الروافض، كما نبه على ذلك عبد القاهر البغدادي[3]، والقاضي عياض[4]، وشيخ الإسلام ابن تيمية[5]. وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب أن «من اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم ومساوياً لهم فقد كفر، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من العلماء»[6]. ولذلك قال القاضي عياض: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء»[7]. وهذا المذهب بعينه قد غدا من أصول الاثنى عشرية، فقد قرر صاحب الوسائل أن تفضيل الأئمة الاثنى عشر على الأنبياء من أصول مذهب الشيعة التي نسبها للأئمة[8]. وقال بأن الروايات عندهم في ذلك أكثر من أن تحصى[9]، وفي بحار الأنوار للمجلسي عقد باباً بعنوان (باب تفضيلهم عليهم السلام على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر

---

(١) النساء: آية: ٦٤.

(٢) انظر: العقيدة الطحاوية (مع شرح علي بن أبي العز) ص٤٩٣، قال الشيخ ابن أبي العز: «ويشير الشيخ إلى الرد إلى الاتحادية وجهلة المتصوفة (شرح الطحاوية ص٤٩٣)، واللقاء والتشابه بين الصوفية والرافضة كثير..

(٣) البغدادي/ أصول الدين: ص٢٩٨.

(٤) القاضي عياض/ الشفاء: ص١٠٧٨.

(٥) ابن تيمية/ منهاج السنة: ١/١٧٧.

(٦) رسالة في الرد على الرافضة ص٢٩.

(٧) الشفا/ ص١٠٧٨.

(٨) انظر: الفصول المهمة في أصول الأئمة «باب أن النبي والأئمة الاثنى عشر –عليهم السلام– أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم: ص١٥١.

(٩) المصدر السابق ص ١٥٤.

الخلق، وأن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم)[1].

واستشهد لهذا الأصل بثمان وثمانين حديثاً من أحاديثهم المنسوبة للاثنى عشر[2] وقال: «والأخبار- يعني أخبارهم- في ذلك أكثر من أن تحصى وإنما أوردنا في هذا الباب قليلاً منها وهي متفرقة في الأبواب لا سيما باب صفات الأنبياء وأصنافهم عليهم السلام، وباب أنهم عليهم السلام كلمة الله، وباب بدو أنوارهم، وباب أنهم أعلم من الأنبياء، وأبواب فضائل أمير المؤمنين وفاطمة صلوات الله عليهما[3].

وقد قرر شيخهم ابن بابويه في اعتقاداته التى تسمى دين الشيعة الإمامية هذا المبدأ عندهم فقال: «يجب أن يعتقد أن الله عز وجل لم يخلق خلقاً أفضل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة، وأنهم أحب الخلق إلى الله عز وجل وأكرمهم وأولهم إقراراً به لما أخذ الله ميثاق النبيين في الذر، وأن الله تعالى أعطى كل نبي على قدر معرفته نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وسبقه إلى الإقرار به، ويعتقد أن الله تعالى خلق جميع ماخلق له ولأهل بيته عليهم السلام وأنه لولا هم ما خلق السماء ولا الأرض ولا الجنة ولا النار ولا آدم ولا حواء ولا الملائكة ولا شيئاً مما خلق صلوات الله عليهم أجمعين»[4].

وقد نقل صاحب البحار هذا النص وعقب عليه بقوله: «اعلم أن ما ذكره رحمه الله من فضل نبينا وأئمتنا صلوات الله عليهم على جميع المخلوقات وكون أئمتنا أفضل من سائر الأنبياء هو الذي لا يرتاب فيه من تتبع أخبارهم عليهم السلام على وجه الإذعان واليقين، والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى.. وعليه عمدة

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٢٦/٢٦٧.

(٢) المصدر السابق: ٢٦/٢٦٧- ٣١٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٦/ ٢٩٧- ٢٩٨.

(٤) اعتقادات ابن بابويه ص١٠٦- ١٠٧.

الإمامية ولا يأبى ذلك إلا جاهل بالأخبار[1].

وقد ألف بعض شيوخهم في هذا المذهب مؤلفات[2].

وهذه المقالة هي التي يجاهر بها الخميني ومن يشايعه في هذا العصر كما قرر ذلك في كتابه الحكومة الإسلامية- كما سيأتي-[3].

وتعزو رواياتهم هذه الأفضلية إلى أمور يرونها في الأئمة مغرقة في الغلو والضلال تقشعر من سماعها أبدان المؤمنين (وقد مر بعضها في فصلي اعتقادهم في توحيد الألوهية والربوبية).

وليس الأئمة أفضل من الأنبياء فحسب بل ما استحق الأنبياء ما هم فيه من فضل- بزعمهم- إلا بسبب الولاية. قال إمامهم «ما استوجب آدم أن يخلقه الله بيده وينفخ فيه من روحه إلا بولاية علي عليه السلام، وما كلم الله موسى تكليماً إلا بولاية علي عليه السلام، ولا أقام الله عيسى ابن مريم آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي عليه السلام، ثم قال: أجمل الأمر ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا»[4].

ولو ذهبت أنقل من أحاديث «بحارهم» وغيره من هذا «اللون» لاستغرق ذلك صفحات طويلة[5].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٢٩٧- ٢٩٨.

(٢) مثل كتاب تفضيل الأئمة على الأنبياء، وكتاب تفضيل علي عليه السلام على أولي العزم من الرسل (كلاهما لشيخهم هاشم البحراني، المتوفى سنة ١١٠٧)، وتفضيل الأئمة على غير جدهم من الأنبياء لشيخهم محمد كاظم الهزار، وتفضيل أمير المؤمنين علي على من عدا خاتم النبيين/ لمحمد باقر المجلسي (المتوفى سنة ١١١١هـ) ومن الظريف أن أحد شيوخهم ألف كتاباً بعنوان: «تفضيل القائم المهدي على سائر الأئمة» من تأليف فارسي يدعى فتحعليشاه (ت ١٢٥٠هـ)، وانظر: الذريعة ٤/٣٥٨- ٣٦٠.

(٣) في فصل دولة الآيات من الباب الرابع.

(٤) الاختصاص: ص٢٥٠، بحار الأنوار: ٢٦/٢٩٤.

(٥) انظر: الكثير منها في الجزء السادس والعشرين من البحار، ولاسيما «باب تفضيل الأئمة على =

ويبدو أن هذا هو المذهب الذي استقر عليه مذهب الاثنى عشرية عبر التغيرات والتطورات التي تلاحق المذهب، والذي أشار الممقاني إلى طبيعتها وهو التطور نحو الغلو[1]، فإن الشيعة في هذه المسألة أعني مسألة تفضيل الأنبياء على الأئمة كانوا ثلاث فرق- كما يقول الأشعري-:

فرقة: يقولون بأن الأنبياء أفضل من الأئمة، غير أن بعض هؤلاء جوزوا أن يكون الأئمة أفضل من الملائكة.

والفرقة الثانية: يزعمون أن الأئمة أفضل من الأنبياء والملائكة.

والفرقة الثالثة: وهم القائلون بالاعتزال والإمامة، يقولون: إن الملائكة والأنبياء أفضل من الأئمة[2].

ويضيف المفيد في أوائل المقالات مذهباً رابعاً لهم وهو أفضلية الأئمة على سائر الأنبياء ما عدا أولى العزم[3]. ثم لا يبوح بذكر المذهب الذي يعتمده من هذه المذاهب بل يذكر توقفه للنظر في ذلك[4].

ولكن يظهر أن كل هذه المذاهب تلاشت بسعى شيوخ الدولة الصفوية ومن تبعهم واستقر المذهب على الغلو في الأئمة حتى إن المجلسي يقول في عنوان الباب الذي عقده في بحاره لهذا الغرض: «إن أولي العزم إنما صاروا أولي العزم بحبهم صلوات الله عليهم» ولا يستثني في ذلك أحداً من المرسلين، حتى نبينا محمد ﷺ[5].

= الأنبياء» ص: ٢٦٧- ٣١٩، وباب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بهم صلوات الله عليهم أجمعين: ص٣١٩- ٣٣٤، من نفس الجزء.

(١) انظر: نص كلامه ص (٣٩٤، ١٠٠٤).

(٢) مقالات الإسلاميين: ١/١٢٠.

(٣) أوائل المقالات: ص٤٢- ٤٣.

(٤) المصدر السابق: ص٤٣.

(٥) انظر: ص (٦١٥).

وجاءت عندهم نصوص تعقد مقارنات بين رسول الله وعلي، وتنتهي بأن لعلي فضل التميز على رسول الله ﷺ، حيث شاركه علي في خصائصه، وانفرد علي بفضائل لم يشاركه فيها رسول الله ﷺ. وعقد لهذه النصوص صاحب البحار باباً بعنوان «باب قول الرسول لعلي أعطيت ثلاثاً ما أعط»- كذا-[1].

وقد جاء في الكافي والبحار وغيرهما نصوص كثيرة تقول بأن لعلي والأئمة من الفضل ووجوب الطاعة كرسول الله، ولكنها ما تلبث أن تنتقل بالقاريء إلى أن الأئمة أفضل من رسول الله، بل تذهب إلى القول بأن علياً والأئمة انفردوا بخصائص لا يشاركهم فيها أحد من الخلق، وإذا تدبرت تلك الخصائص وجدت أنها من صفات الرب جل شأنه، وبحسبك أن تعرف أن من هذه الأوصاف التي يتنطع بها الروافض ما ينسبونه لعلي أنه قال: «لم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني.. إلخ[2].

فما أعظم افتراءهم على الله، وعلى دينه، وعلى نبيه، وعلي، وأهل بيته. ولقد أنكر أمير المؤمنين علي- رضي الله عنه- تفضيله على الشيخين أبي بكر وعمر، وهدد من يتفوه بذلك بأنه سيجلده حد المفتري[3]. وتواتر عنه من ثمانين

---

(١) انظر: بحار الأنوار: ٨٩/٣٩، ومن أمثلة ذلك ماجاء في أخبارهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أعطيت ثلاثاً وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي ثلاثاً ولم أشاركه فيها، فقيل يارسول الله: وما هن الثلاث التي شاركك فيها علي عليه السلام؟ قال: لي لواء الحمد وعلي حامله، والكوثر لي وعلي ساقيه، ولي الجنة والنار وعلي قسيمهما، وأما الثلاث التي أعطيها علي ولم أشاركه فيها فإنه أعطي ابن عم مثلي ولم أعط مثله، وأعطي زوجته فاطمة ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما. (بحار الأنوار: ٣٩/ ٩٠، وانظر في هذا المعنى: عيون أخبار الرضا ص: ٢١٢، مناقب آل أبي طالب: ٤٧/٢).

(٢) أصول الكافي: ١٩٧/١ وما بعدها، وقد ذكر جملة من أحاديثهم بهذا المعنى المذكور، وانظر: ص ٦٢٣-٦٢٤ من هذه الرسالة، حيث سأذكر- إن شاء الله- بعض نصوص هذه «الفرية» والمراجع الشيعية التي تناقلتها.

(٣) انظر: منهاج السنة: ١٣٧/٤، وروي ذلك عن علي بأسانيد جيدة (الفتاوى: ٤٧٥/٢٨).

وجهاً أنه كان يقول على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر[1]. ونقلت ذلك كتب الشيعة نفسها[2].. فما حاله رضي الله عنه مع هذا الصنف الذي يدعي التشيع له ويفضله على أنبياء الله؟ لا شك أن إنكاره عليهم أعظم وأشد، وقد قرر بعض أهل العلم بأن من فضّل علياً- فكيف ممن بعده- على نبي الله إبراهيم أو محمد فإنه أشد كفراً من اليهود والنصارى[3].

وقد روت كتب الشيعة أنه عندما قيل لأمير المؤمنين أنت نبي قال: «ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد صلى الله عليه وآله»[4]. قال ابن بابويه: يعني بذلك عبد طاعته لا غير ذلك[5].

ويحتمل أن هذا الاتجاه الغالي الذي استقر عليه المذهب الاثنى عشري كان من آثار فرقة من فرق الشيعة تذهب إلى تفضيل عليّ على محمد ﷺ يقال لها العلبائية[6].

وفي ظني أن عقيدة عصمة الإمام عندهم تؤدي إلى ظهور هذا المذهب وأمثاله، ذلك أنهم يصفون الأئمة بأوصاف لا يتصف بها أحد من أنبياء الله ورسله- كما سيأتي- وإن من يرجع إلى كتاب الله سبحانه يجد أنه ليس لأئمتهم

---

(١) المصدر السابق: ٤/١٣٧- ١٣٨.

(٢) انظر: تلخيص الشافي: ٢/٤٢٨، عن الشيعة وأهل البيت ص٥٢.

(٣) منهاج السنة: ٤/٦٩.

(٤) ابن بابويه/ التوحيد ص١٧٤، ١٧٥، المجلسي/ بحار الأنوار ٨/٢٨٣، الطبرسي/ الاحتجاج (انظر نفس الموضع من المصدر السابق).

(٥) التوحيد ص ١٧٥.

(٦) **العلبائية**: من فرق الشيعة، وهم أصحاب العلباء بن ذراع الدوسي، أو الأسدي، كان يفضل علياً على النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يقول بذم محمد صلى الله عليه وسلم، وزعم أنه بعث ليدعو إلى علي فدعا إلى نفسه.
(الملل والنحل: ١/١٧٥، وانظر: رجال الكشي: ص ٥٧١، إلا أنه سماها: العليائية، بحار الأنوار: ٢٥/٣٠٥).

الاثنى عشر ذكراً، فضلاً عن أن يقدموا على أنبياء الله ورسله.

كما أنه يلاحظ «أن الأنبياء لكونهم أرفع رتبة يقدمون بالذكر على غيرهم من صالحي عباد الله. قال تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[1]. فرتب الله سبحانه عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب[2]. «وكتاب الله يدل في جميع آياته على اصطفاء الأنبياء واختيارهم على جميع العالم»[3].

وقد أجمع أهل القرون الثلاثة على تفضيل الأنبياء على من سواهم، وهذا الإجماع حجة- حتى عند الشيعة- لأن فيهم الأئمة[4].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء»[5].

والعقل يدل صريحاً على أن جعل النبي واجب الطاعة وجعله آمراً وناهياً وحاكماً على الإطلاق والإمام نائباً وتابعاً له لا يعقل بدون فضيلة النبي عليه، ولما كان هذا المعنى موجوداً في حق كل نبي مفقوداً في حق كل إمام لم يكن إمام أفضل من نبي أصلاً، بل يستحيل[6].

ثم إنه قد ورد في كتب الشيعة نفسها ما يتفق مع النص والإجماع والعقل، وينفي ذلك الشذوذ وهو ما رواه الكليني عن هشام الأحول عن زيد بن علي أن الأنبياء أفضل من الأئمة، وأن من قال غير ذلك فهو ضال[7].

---

(١) مختصر الصواقع: ص١٨٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/ ٢٢١.

(٣) مختصر التحفة: ص (١٠١).

(٤) مختصر الصواقع: ص١٨٦- ١٨٧.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٢٢١.

(٦) مختصر التحفة: ص١٠١.

(٧) انظر: مختصر الصواقع: ص ١٨٧.

وروى ابن بابويه عن الصادق ما ينص على أن الأنبياء أحب إلى الله من عليّ[1].

ولا شك أن هذا المذهب واضح البطلان، يدرك بطلانه بصريح العقل وبما علم من الدين بالضرورة، وبالتاريخ والسير والفطر، ولا يحتاج إلى تكلف في إبطاله وهو أحد البراهين على فساد المذهب الرافضي.

☐ معجزات الإمام:

يرى أهل السنة «أن المعجزات[2] لا يأتي بها أحد إلا الأنبياء عليهم السلام[3]، خلافاً للروافض الذين جعلوا علامة الإمام عندهم صدور المعجزة منه، لأنهم يقولون «إن الإمامة استمرار للنبوة[4] فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة.. فكذلك يختار للإمامة»[5].

وقد امتلأت كتب الحديث عندهم بالحديث عن هذه المعجزات، وورواية قصصها وأحداثها- المزعومة- وقد يقال بأن غاية ما هنالك بأنهم سموا الكرامات معجزات.

---

(١) انظر: مختصر التحفة: ص١٠٠.

(٢) **المعجزات**: هي الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه فتدل على صدقهم. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية بأن لفظ المعجزات لم يكن موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة والبرهان (الجواب الصحيح: ٤/٦٧) وقال رحمه الله: المعجزة تعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره يسمونها الآيات. لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي وجماعهما الأمر الخارق للعادة (انظر: قاعدة في المعجزات والكرامات ص٢، مطبعة المنار، أو ج ١١/ ٣١١- ٣١٢ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام، وراجع النبوات لابن تيمية، وانظر: التعريفات للجرجاني ص٢٨٢، شرح العقيدة الطحاوية ص٤٩٥).

(٣) ابن حزم/ المحلى: ١/٣٥.

(٤) انظر: عقائد الإمامية ص ٩٤.

(٥) أصل الشيعة وأصولها ص٥٨.

ولا شك أن «من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[1].

وإذا كان الأمر كذلك فتسمية الكرامات بمعجزات مجرد اختلاف في الاصطلاح ولهذا حينما قال ابن المطهر الحلي عن أمير المؤمنين علي: «وظهرت منه معجزات كثيرة» عقب على ذلك شيخ الإسلام بقوله:

«فكأنه يسمي كرامات الأولياء معجزات وهذا اصطلاح كثير من الناس فيقال: علي أفضل من كثير ممن له كرامات والكرامات متواترة عن كثير من عوام أهل السنة الذين يفضلون أبا بكر وعمر فكيف لا تكون الكرامات ثابتة لعلي رضي الله عنه، وليس في مجرد الكرامات ما يدل على أنه أفضل من غيره»[2].

وقد رأى شيخ الإسلام أن اهتمام الروافض بأمر ما ينسب للأئمة من كرامات إنما سببه أن «الرافضة لجهلهم وظلمهم وبعدهم عن طريق أولياء الله ليس لهم من كرامات الأولياء المتقين مايعتد به، فهم لإفلاسهم منها إذا سمعوا شيئاً من خوارق العادات عظموه تعظيم المفلس للقليل من النقد، والجائع للكسرة من الخبز..»[3].

ولكن الإمامية هل ترى هذه الخوارق من كرامات أولياء الله وتسميها معجزات؟.

إن المتأمل للمذهب الإمامي يرى أنهم يذهبون في هذه الكرامات إلى

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣/١٥٦.
(٢) منهاج السنة: ٢/١٤٩.
(٣) المصدر السابق: ٤/١٩٦.

مذهب آخر فهم يرون أنها معجزات لإثبات الإمامة وإقامة الحجة– كما يزعمون– على الخلق، لأن الأئمة كما تقول رواياتهم هم الحجة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض[1].

بل يقول ثقة إسلامهم الكليني: «إن الحجة لا تقوم لله على خلقه إلا بإمام»[2] وجاءت روايات كثيرة عندهم بهذا المعنى، ولذا قالوا «فنحن حجج الله في عباده»[3]، «ولولانا ما عبد الله»[4]، «الأوصياء هم أبواب الله عز وجل التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله عز وجل، وبهم احتج الله تبارك وتعالى على خلقه»[5]. ولذلك قال البحراني في كتابه الذي صنفه في معجزات الأئمة إن الله «أظهر على أيديهم المعاجز والدلائل لأنهم حجته على عباده»[6].

فهم يجعلون الأئمة كالأنبياء والرسل الذين يقيم الله بهم الحجة على خلقه فهم يحتاجون للمعجزات لإثبات رسالتهم كما يحتاج الأنبياء.

بل هم في الفضل، ووجوب الطاعة، وتحقق المعجزات قد يصلون إلى مرتبة أفضل الرسل والأنبياء أو أعظم.

قال أبو عبد الله– كما يزعمون–: «ما جاء به عليّ رضي الله عنه آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وآله..

وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد.

كان أمير المؤمنين كثيراً ما يقول.. «لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها

---

(١) أصول الكافي: ١/١٩٢، وانظر: المظفر/ علم الإمام: ص٤٣.

(٢) وهو عنوان باب في الكافي تضمن أربعة أحاديث بهذا المعنى، (أصول الكافي: ١/١٧٧).

(٣) المصدر السابق: ١/١٩٣.

(٤) نفس الموضع من المصدر السابق.

(٥) السابق: ١/١٩٣.

(٦) هاشم البحراني/ ينابيع المعاجز ص٢ (المقدمة).

أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني أبشر بإذن الله وأودي عنه كل ذلك مكنني فيه بعلمه»[1].

فأنت ترى أن النص يؤكد بأن من أخذ عن أحد من الأئمة فكأنما أخذ عن رسول الله، أو أفضل، ولذلك فإن جعفراً يفضل الأخذ عن عليّ لا عن رسول الله[2].

ثم يبرهن على ما تميز به عليّ من معجزات وصفات ليست لمحمد ﷺ في قوله (أنا قسيم الله.. إلخ) ويؤكد هذا المعنى في خاتمة النص وهو قوله: «لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد.. ويضفي على علي صفات الجبار جل علاه حينما يقول علمت المنايا والبلايا، وكذلك حينما يقول «فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عني» فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته شيء هو الرب جل جلاله.

فهذه ليست معجزات، هذه افتراءات وتأليه للأئمة..

ولكن الشيعة الإمامية ترى أن هذه معجزات جرت للأئمة لإقامة الحجة على الخلق.. وليست أيضاً من قبيل الكرامات بل هي كمعجزات الأنبياء أو أعظم وقد بوب صاحب البحار لهذا المعنى باباً بعنوان «إنهم يقدرون على إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وجميع معجزات الأنبياء»[3]. وأورد فيه جملة من أحاديثهم، ولهذا عرف شيخهم القزويني المعجزة التي تحصل للأئمة بأنها «ما كان خارقاً للعادة أو صارفاً للقدرة عند التحدي مع عدم المعارضة، والمطابقة

---

(١) أصول الكافي: ١/١٩٦– ١٩٧، وروايات أخرى بهذا المعنى، وكلها ساقها في «باب أن الأئمة هم أركان الأرض. وانظر: «فصل العصمة».

(٢) ونبريء جعفراً من هذه الزندقة وسائر أئمة أهل البيت، فإن من اعتقد أن له طريقاً إلى الله لايحتاج فيه إلى محمد فهو كافر ملحد.

(انظر حول هذا المعنى: مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١١/٢٢٥).

(٣) بحار الأنوار: ٢٧/٢٩-٣١.

للدعوى[1].

فهي معجزة خارقة للعادة المقصود بها التحدي لإقامة الدعوى.

وقد صنفوا المصنفات في معجزات الأئمة كما يكتب أهل السنة في معجزات رسول الله ﷺ[2]، بل إن أخبارهم في ذلك تخرج بالأئمة من طور البشر إلى مقام الخالق جل علاه.

وللقوم ولع غريب وتعلق عجيب بسرد الحكايات وغرائب الأساطير والتي هي أحياناً أشبه بعمل السحرة والمشعوذين، وحيناً هي من ضروب الخيال،

---

(١) قلائد الخرائد ص٧٢.

(٢) مثل كتاب «عيون المعجزات» لشيخهم حسين بن عبد الوهاب (من القرن الخامس) وقد نشرته مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في طبعة ثالثة عام ١٤٠٣هـ وقد جاء فيه من معجزاتهم: أنهم يحيون الموتى ص٣٢، ويتحدثون مع الحيوانات، وتشهد لهم بالإمامة ص١٧، ٢٢، ٢٥، ٣٢، ويحدثون بما كان وما يكون ص٥٧، ويرون أعمال العباد بواسطة عمود من نور يكون معهم منذ ولادتهم ص٨٠، وأمثال ذلك.

ومثل كتاب «ينابيع المعاجز وأصول الدلائل» لشيخهم هاشم البحراني، وذكر فيه (٢١) باباً ومن عناوين هذه الأبواب «الباب الخامس»: أن عندهم عليهم السلام علم ما في السماء، وعلم ما في الأرض، وعلم ما كان، وعلم ما يكون، وما يحدث بالليل والنهار، وساعة وساعة، وعندهم علم النبيين، وزيادة ص٣٥- ٤٢، الباب السادس: أنهم عليهم السلام إذا شاء أن يعلموا علموا، وأن قلوبهم مورد إرادة الله، وإذا شاء شيئا شاؤوه ص: ٤٣- ٤٦.

وللبحراني أيضاً كتاب آخر في نفس الموضوع ولعله أوسع ما كتب عندهم سماه «مدينة المعاجز» يذكر عند كل إمام ما ينسبون له من معجزات فمثلا عقد الباب الأول في معجزات أمير المؤمنين فذكر (٥٥٠) معجزة، منها ذكر معاجز ميلاده ص٥- على حد زعمهم-، ومناجاة الله له ص٩، وعروجه للسماء ص١٢، وكلام الأرض معه ص١٦، وكلام إبليس معه ص١٦، وذكر له معجزات قبل وجوده، فذكر أنه حضر عند فرعون، وقال في التعقيب على ذلك بأن الرسول قال لعلي: إن الله أيد بك النبيين سراً، وأيدني بك جهراً.

وهكذا يذكر لكل إمام معجزاته حتى إمامهم المنتظر الذى لا وجود له قال بأن من معجزاته: قراءته وقت ولادته الكتب المنزلة، والصعود إلى سرادق العرش. ويمضي في ذكر حكايات لا يصدق بها عاقل، تجعلك تعجب غاية العجب من شيوخ استغفلوا أتباعهم إلى هذا الحد.. ومن أتباع انقادوا لهذه «الترهات»

وغرائب الأحلام..، ويزعمون أن هذا من أصول ثبوت إمامتهم.. بل جعلوا لأتباع الأئمة معجزات تضاهي معجزات الأئمة[1].

وقد يقال تلك حكايات وأساطير ذهبت مع ذهاب الأئمة وليس لها وجود واقعي، وأقول إن هذه المعجزات لا تزال تولد عند الشيعة وتتجدد لا بقراءة هذه الأساطير في المجالس وتخدير العقول وتكبيل الأفكار بها فحسب، بل اتخذت صورة واقعية تتمثل في جانبين:

الأول: ما ينسبونه للغائب المنتظر من معجزات وخوارق ينقلها جملة من شيوخهم الذين يزعمون الصلة به، فهذا ابن المطهر الحلي يستعير كتاباً كبيراً ليرد عليه- كما يقولون- ولا يسمح له صاحب الكتاب باستعارته إلا ليلة واحدة فيأتيه هذا المنتظر فينسخ له الكتاب كله[2]. وحكاياتهم في هذا الباب كثيرة سجل جملة منها شيخهم النوري الطبرسي في كتابه جنة المأوى، فالمعجزات تجري الآن على أيدي غائبهم، ويظهرها في أشخاص شيوخهم وآياتهم.

الثاني: ما يدعونه من حصول الخوارق عند قبورهم فأضلوا قومهم سواء السبيل وأغروهم بالشرك وفتحوا لهم أبوابه. وقد عقد المجلسي جملة من أبواب بحاره لهذا الغرض مثل «الباب التاسع والعشرون ما ظهر عند الضريح المقدس من المعجزات والكرامات»[3]، ومثل «الباب الخمسون جور الخلفاء على قبره الشريف وما ظهر من المعجزات عند ضريحه ومن تربته وزيارته»[4]. وهكذا يذكر عند الحديث

---

(١) انظر- مثلاً- حسين عبد الوهاب/ عيون المعجزات، شهادة الكاظم كما يزعمون-بأن رشيداً الهجري يعلم علم المنايا ص١٠١، وفي رجال الكشي» وكان إذا لقي الرجل قال له: فلان أنت تموت بميتة كذا، وتقتل أنت يافلان بقتلة كذا وكذا فيكون كما يقول (رجال الكشي ص٧٦).

(٢) مضى ص (٣٤٠) من هذه الرسالة.

(٣) بحار الأنوار: ٣١١/٤٢.

(٤) المصدر السابق: ٣٩٠/٤٥.

عن كل إمام معجزاته المزعومة. وقد ألفوا في هذه الخرافات مصنفات[1].

وقد تحدثت أساطيرهم عن معجزات جرت من الأضرحة، وساق الكثير منها المجلسي في أبوابه التي عقدها في أخبار كل إمام. وجاء بقصص خيالية تثير العجب من هؤلاء القوم الذين ألفوا الخرافة، ووجدت طريقها لقلوبهم بكل يسر.

قصص تتحدث عن شفاء الضريح للأمراض المستعصية، فتذكر أن أعمى أبصر بمجرد مجاورته للضريح[2].

وأن الحيوانات تذهب لأضرحة أئمتهم طلباً للشفاء، فهذا حيوان يتمرغ على القبر لشفاء جرحه فيشفى[3].

بل جعلوا أئمتهم وهم رهائن قبورهم يتصرفون تصرف الأحياء فجاءوا بقصص تتحدث عن أن الضريح يودع الأمانات فيحفظها[4].

ويبدو أن واضع هذا بعض السدنة اللصوص الذي لم يكفه ما يأخذ من هؤلاء الأغرار من أموال يبذلونها على عتبات الضريح فحاول أن يأخذ المزيد بالسرقة والخداع.

والضريح يخاطب فيستجيب.. فهذا أحد زوار القبر يتمزق رداؤه عند الضريح فيقول: «ما أعرف عوض هذا إلا منك، فيتحقق له ما أراد»[5].

كل هذه الأساطير تصاغ في قالب قصصي خيالي للتأثير على السذج من العامة، وهي قصص كثيرة وطويلة تنتهي بمثل هذه الغرائب التي تدعو للشرك

---

(١) مثل: المعجزات لشيخهم محمد علي البلداوي، جمع فيه المعجزات التي ظهرت عند المشهدين الكاظميين والعسكريين. (انظر: الذريعة: ٢١/٢١٥).

(٢) بحار الأنوار: ٤٢/٣١٧.

(٣) المصدر السابق: ٤٢/٣١٢.

(٤) السابق: ٤٢/٣١٨.

(٥) بحار الأنوار: ٤٢/٣١٦.

بالله سبحانه، وتشل العقل، وتعطل التفكير، وتثبط عن العمل الصالح، وقد تنأى بعقلائهم إلى الكفر بالدين أصلاً إذا رأى هذه الخرافات الباطلة بضرورة العقل. وقد استنكر جعفر الصادق ما ينسبه له شيعة الكوفة من تلك المبالغات فقال:- كما تروي كتب الشيعة- «والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة لأخذتني الأرض، وما أنا إلا عبد مملوك لا أقدر على شيء بضر ولا بنفع»[1].

ولا يستبعد أن تلك الدعاوى الغالية في الأئمة والتي ترفع الأئمة إلى مقام الألوهية ويسمونها معجزات لا يستبعد أن هذه موروثة عن المجوسية الذين دخلوا في سلك التشيع للكيد للإسلام أو لإظهار عقائدهم باسم الإسلام ذلك أن «المجوس تدعي لزرادشت من المعجزات والآيات أكثر مما يدعيه النصارى»[2].

أما قولهم بأن الأئمة هم الحجة على الناس ولا تقوم الحجة على خلقه إلا بهم، ولهذا جرت المعجزات على أيديهم لإثبات الإمامة.. فهذا إذا بحثت عنه في كتاب الله سبحانه لم تجد ما يدل عليه البتة، بل تجد ما يخالفه وهو أن حجة الله على عباده قامت بالرسل. قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[3] ولم يذكر الأئمة.

فعلم أن هذه الدعوى هي محض اختلاق، وأما تلك المعجزات التي ينسبونها للأضرحة أو الغائب المنتظر فهي كذب وبهتان، أو من وحي شيطان، فالغائب لا وجود له إلا في خيالات طائفة الاثنى عشرية كما يقرره طوائف من الشيعة، وكما يذكر ذلك أهل العلم بالأنساب والتواريخ. أما معجزات الأضرحة فإنها دعوة شيطانية للشرك، وهؤلاء أموات قد أفضوا إلى ما قدموا لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً.. وهم في حياتهم يلجأون إلى الله سبحانه وينفون عن أنفسهم الحول والقوة.

---

(١) تنقيح المقال: ٣٣٢/٣.
(٢) تثبيت دلائل النبوة: ١٨٥/١.
(٣) النساء: آية: ١٦٥.

وقد نقلت كتب الشيعة نفسها أحاديث كثيرة في هذا المعنى، والله سبحانه أمر نبيه أن يقول: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[1]، ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾[2]، ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾[3]، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[4]، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ..﴾[5].

فهذا هو رسول الهدى وخاتم الأنبياء وسيد الأولين والآخرين فكيف بمن دونه..

□ الإيمان باليوم الآخر:

لهم في هذا الركن العظيم أقوال منكرة، وبدع كثيرة.. فآيات القرآن في اليوم الآخر أولوا معناها بالرجعة[6]. وهذه حيلة ماكرة من واضعي هذه النصوص لإنكار أمر اليوم الآخر بالكلية، وأقل ما فيها أنها تصرف قلوب الشيعة، عن ذلك اليوم، أو تمحو معاني اليوم الآخر من نفوسهم، لأنهم لا يقرأون في آيات اليوم الآخر إلا تأويلات شيوخهم له بالرجعة.

ومن بدعهم أيضاً قولهم بأن أمر الآخرة للإمام. يقول صاحب الكافي في أخباره: «الآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله»[7].

أما لماذا أمر الآخرة للإمام فإن هذا فرع عن تصورهم لأمر الجنة والنار،

---

(١) الأعراف، آية: ١٨٨.

(٢) يونس، آية: ٤٩.

(٣) الأنعام، آية: ٥٠.

(٤) الإسراء، آية: ٩٣.

(٥) الكهف، آية: ١١٠.

(٦) انظر: فصل «الرجعة».

(٧) أصول الكافي: ١/٤٠٩.

إذ يقولون: «لولا الأئمة ما خلقت الجنة والنار»[1] و«إن الله خلق الجنة من نور الحسين»[2]. وعقد شيخهم البحراني باباً في ذلك بهذا العنوان المذكور[3].

ومرة يقولون بأن الجنة هي من مهر فاطمة في زواجها على عليّ.

وما أدري كيف تكون مهرها وهي مخلوقة من نور ابنها.

والأصل في المهر أن يدفع من قبل الزوج، فقد روى الشيخ الطوسي في مجالسه عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: إن الله تعالى أمهر فاطمة رضي الله عنها ربع الدنيا فربعها لها، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار وتدخل أولياءها الجنة»[4]. وعقد لذلك صاحب المعالم الزلفى باباً بعنوان «الباب الرابع أن الجنة في مهر فاطمة»[5] أي أن الجنة جزء من مهر فاطمة.

ثم إن المهر الأصل أن يصل إلى صاحبه في الدنيا، ولذلك قالوا: إن الأئمة يأكلون في الدنيا من نعيم الجنة، وخصص لهذه المسألة شيخهم البحراني باباً بعنوان «باب أن طعام الجنة في الدنيا لا يأكله إلا نبي أو وصي نبي»[6]، أورد فيه روايات كثيرة من كتبهم المعتمدة عندهم تتضمن أن الفواكه والرمان والأطباق المليئة بأنواع الطعام تأتيهم من الجنة يأكلون منها، وصاغ هذه المزاعم في قصص طويلة.

وفات عليهم أن يزيدوا في قولهم عمن يأكل طعام الجنة لا يأكله إلا نبي، أو وصي نبي «أن يزيدوا أو بنت نبي»، لأنهم بهذا قد حرموا فاطمة من مهرها،

---

(١) قال ابن بابويه «ويجب أن يعتقد أنه لولاهم لما خلق الله سبحانه السماء والأرض ولا الجنة ولا النار، ولا آدم ولا حواء، ولا الملائكة، ولاشيئاً مما خلق (الاعتقادات ص١٠٦- ١٠٧).

(٢) المعالم الزلفي ص٢٤٩، وانظر: نزهة الأبرار، ومنار الأنظار في خلق الجنة والنار/ لهاشم البحراني أيضاً ص ٣٩٥.

(٣) المعالم الزلفى ص٢٤٩.

(٤) المصدر السابق ص٣٥٠.

(٥) السابق: ص٣١٧- ٣١٩.

ومما خلق من نور ولدها، لأنها ليست من الأوصياء باتفاقهم فلا تأكل من طعام الجنة، ويبدو أنهم لم يزيدوا ذلك خشية أن تدخل فيه بنات النبي الأخريات، وليس لهن نصيب من الود في دين الشيعة.

وما دام أمر الآخرة في نظر هذه الزمرة للإمام بهذه الوجوه المذكورة، فإن كل مراحل الحياة الأخروية صبغتها الشيعة بآثار غلوهم في الإمام والأئمة. فالأئمة يحضرون عند الموت. قال المجلسي في بيان اعتقادات طائفته: «يجب الإقرار بحضور النبي والأئمة الاثنى عشر صلوات الله عليهم عند موت الأبرار والفجار والمؤمنين والكفار، فينفعون المؤمنين بشفاعتهم في تسهيل غمرات الموت وسكراته عليهم، ويشددون على المنافقين ومبغضي أهل البيت صلوات الله عليهم، ولا يجوز التفكر في كيفية ذلك إنهم يحضرون- كذا- في الأجساد الأصلية أو المثالية أو بغير ذلك»[1].

وحينما يوضع الميت في قبره، يجعل معه تربة من تراب الحسين، لأنها بزعمهم أمان له، وعقد لهذا الحر العاملي باباً بعنوان «باب استحباب وضع التربة الحسينية مع الميت في الحنوط والكفن وفي القبر[2]، وكذلك خصص لها صاحب مستدرك الوسائل باباً بنفس العنوان المذكور[3].

ومن وصاياهم في ذلك قولهم «ويجعل معه شيء من تربة الحسين فقد روي أنها أمان»[4]، ولهم في هذه المسألة أحاديث كثيرة[5].

والتكليف بزعمهم ورفع الدرجات وعمل الحسنات يحصل من الميت

---

(١) الاعتقادات ص٩٣- ٩٤.

(٢) وسائل الشيعة: ٧٤٢/٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ١٠٦/١.

(٤) مستدرك الوسائل: ١٠٦/١.

(٥) انظر: المصدرين السابقين، الطوسي/ تهذيب الأحكام: ٢٧/٢، الطبرسي/ الاحتجاج ص٢٧٤، الكفعمي/ المصباح ص٥١١.

الشيعي وهو في قبره.. روى الكليني في الكافي عن حفص قال: سمعت موسى بن جعفر يقول: الرجل أيحب البقاء في الدنيا؟ قال: نعم، فقال: ولم؟ قال: لقراءة قل هو الله أحد. فسكت عنه فقال له بعد ساعة: ياحفص من مات من أوليائنا وشيعتنا ولم يحسن القرآن علم في قبره ليرفع الله به من درجته، فإن درجات الجنة على قدر آيات القرآن[1].

فالشيعي في قبره يعلم القرآن ويشتغل بقراءته فيستمر عمل الحسنات منه حتى بعد موته وهذه فريدة من فرائدهم.. فهل هذه دعوة مبطنة وحيلة أخرى لهجر القرآن وتعلمه وقراءته بانتظار حصول ذلك في القبر؟.

وأول ما يسأل عنه في القبر هو حب الاثنى عشر قالوا: «أول مايسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[2] فيسأله ملكان عن «من يعتقده من الأئمة واحد بعد واحد، فإن لم يجب عن واحد منهم يضربانه بعمود من نار يمتلىء قبره ناراً إلى يوم القيامة»[3]، وأما «إذا كان في حياته معتقداً بهم (يعني الاثنى عشر) فإنه يستطيع الرد على أسئلتهم (يعنى أسئلة الملائكة) ويكون في رغد إلى يوم الحشر»[4].

ويعتقد الشيعة بحشر بعد الموت لا يشاركهم في القول به أحد يقول المجلسي في الاعتقادات: «يحشر الله تعالى في زمن القائم أو قبيله جماعة من المؤمنين لتقر أعينهم برؤية أئمتهم ودولتهم، وجماعة من الكافرين والمخالفين للانتقام عاجلاً في الدنيا»[5].

أما اعتقادهم في الحشر يوم القيامة، فإن لهم فيه أقوالاً منكرةً ففي أخبارهم

---

(١) أصول الكافي: ٢/٦٠٦، المعالم الزلفى ص١٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧٩/٢٧، عيون أخبار الرضا: ص٢٢٢.

(٣) الاعتقادات/ للمجلسي ص٩٥.

(٤) محمد الحسيني الجلالي/ الإسلام عقيدة ودستور ص٧٧.

(٥) الاعتقادات: ص٩٨.

أن حشر الناس يوم القيامة لا يشمل الجميع كما هو اعتقاد المسلمين، بل هناك فئة لا يشملها الحشر، ولا تتعرض لهول ذلك اليوم، ولا تقف ذلك الموقف العظيم، ولا تمر على الصراط بل ينتقلون من قبورهم إلى الجنة بلا وسائط.

ذلك هم أهل مدينة «قم» تقول أخبارهم: «إن أهل مدينة قم يحاسبون في حفرهم ويحشرون من حفرهم إلى الجنة»[1].

وليس ذلك فحسب، بل إن أحد أبواب الجنة قد خصص- بزعمهم- لأهل قم» عن أبي الحسن الرضا قال: إن للجنة ثمانية أبواب، ولأهل قم واحد منها فطوبى لهم ثم طوبى»[2] وهم خيار شيعتنا من بين سائر البلاد خمّر الله تعالى ولايتنا في طينتهم»[3].

قال شيخهم عباس القمي (من المعاصرين): «وقد وردت روايات كثيرة عن أئمة أهل البيت في مدح قم وأهلها، وأنها فتح إليها باباً- كذا- من أبواب الجنة»[4].

وخصوا قم بفضائل أخرى[5]، حتى أغروا شيعتهم بشراء أرضها، وخدعوهم بقولهم: إن قم يبلغ من العمارة إلى أن يشترى موضع فرس بألف درهم[6]. فحاولوا التأثير عليهم من الجانب المادي، والجانب الروحي.. وقد يكون في الموضوع جانب سياسي، حيث إن قم في إيران وهي مركز الدولة الصفوية، بالإضافة إلى الهدف المقيت الذي تسعى إليه هذه الزمرة التي وضعت هذه الروايات، لإشاعة الكفر والزندقة، وإبعاد الشيعة عن الإسلام، وقد تجد من

---

(١) بحار الأنوار: ٢١٨/٦٠، عباس القمي/ الكنى والألقاب: ٧١/٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢١٥/٦٠، سفينة البحار: ٤٤٦/١.

(٣) بحار الأنوار: ٢١٦/٦٠.

(٤) الكنى والألقاب: ٧/٣.

(٥) انظر: بحار الأنوار: ٢١٢/٦٠- ٢٢١.

(٦) المصدر السابق: ٢١٥/٦٠.

يساندها من شياطين الجن أيضاً وما أسهل ذلك، لأنهم سيأتون إليهم بثوب «المهدي المنتظر» المزعوم ويضعون في دينهم ما يشاءون.

وقد زاد أحد شيوخهم المعاصرين في عدد أبواب الجنة المفتوحة على قم- كما يفترون- فذكر بأن في أخبارهم أن الرضا قال: للجنة ثمانية أبواب فثلاثة منها لأهل قم[1].

وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله: «إلينا الصراط وإلينا الميزان وإلينا حساب شيعتنا»[2].

وعدّ الحر العاملي من أصول الأئمة الإيمان بأن حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمة[3].

وجاءت عندهم روايات كثيرة تقول «لا يجوز الصراط أحد إلا ومعه ولاية من علي»[4] أو «جواز فيه ولاية علي»[5]، أو «كتاب فيه براءة بولاية علي»[6].

وفي كتاب الاعتقادات لابن بابويه في «باب الاعتقاد في الصراط قال: «.. والصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة.. قال النبي ﷺ لعلي: يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرائيل على الصراط فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك»[7].

وقال بأن على الصراط عقبة اسمها الولاية «يوقف جميع الخلائق عندها

---

(١) محمد مهدي الكاظمي/ أحسن الوديعة ص٣١٣- ٣١٤.
(٢) رجال الكشي: ص٣٣٧.
(٣) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ص١٧١.
(٤) المعالم الزلفى: ص٢٣٩.
(٥) بحار الأنوار: ٨/٦٨، البرهان: ٤/١٧.
(٦) بحار الأنوار: ٨/٦٦.
(٧) الاعتقادات ص٩٥.

فيسألون عن ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده فمن أتى بها نجا وجاوز ومن لم يأت بها بقي»[1].

وعقد المجلسي باباً بعنوان «باب أنه عليه السلام قسيم الجنة والنار وجواز الصراط»[2]. وعقد البحراني باباً بنحو ذلك[3]. وساقا فيهما روايات عدة عن أساطين المذهب، وكتبهم المعتمدة عندهم.

والمعلومات التي تقدمها الاثنا عشرية في معنى أنه قسيم الجنة والنار لا تعطى إلا للخواص ذلك أن المأمون- كما تقول أخبارهم- سأل عن معنى أن علياً قسيم الجنة والنار فأجابه الرضا بأن حب علي إيمان وبغضه كفر فصار حينئذ قسيم الجنة والنار، ولكنه حينما لحق به أبو الصلت الهروي قال له الرضا: «إنما كلمته من حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدث عن آبائه عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ياعلي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة، تقول للنار هذا لي وهذا لك»[4].

ويقولون بأنه صاحب الجنة والنار، قالت أخبارهم: «إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه الخلائق يصعده رجل يقوم ملك عن يمينه وملك عن شماله، ينادي الذي عن يمينه: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب الجنة يدخلها من يشاء، وينادي الذي عن يساره: يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب صاحب النار يدخلها من يشاء»[5].

بل وصلوا إلى القول بأنه ديان الناس يوم القيامة، «عن المفصل بن عمر الجعفي عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) المصدر السابق: ص٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ١٩٣/٣٩.

(٣) المعالم الزلفى ص١٦٧ (باب عليّ قسيم الجنة والنار).

(٤) ابن بابويه: عيون أخبار الرضا ص٢٣٩، بحار الأنوار: ١٩٤/٣٩.

(٥) بحار الأنوار: ٢٠٠/٣٩، بصائر الدرجات ص١٢٢.

لديّان الناس يوم القيامة..»[1].

وهذه الجنة التي يتحدثون عنها هي قصر على الروافض لا يشاركهم فيها أحد لأنها لأئمتهم، كما أن النار التي مفاتيحها بيد الأئمة هي لأعدائهم، قالوا: «إنما خلقت الجنة لأهل البيت، والنار لمن عاداهم»[2]. ولكنهم ينسون هذا ويقولون بأن «الشيعة يدخلون الجنة قبل سائر الناس من الأمم بثمانين عاماً»[3].

ومن أصولهم «أن الناس يدعون بأسماء أمهاتهم يوم القيامة إلا الشيعة فيدعون بأسماء آبائهم»[4].

هذا ويعتقدون بجنة غير جنة الخلد، يسمونها جنة الدنيا، وكذلك بنار يعذب بها الناس غير نار الآخرة. يقول المجلسي: «ويجب أن يعتقد أن لله تعالى في الدنيا جنةً وناراً سوى جنة الخلد ونار الخلد»[5]، وأهل القبور قد ينتقلون اليهما، وذلك أنهم «بعد السؤال وضغطة القبر ينتقلون إلى أجسادهم المثالية فقد يكونون على قبورهم، ويطلعون على زوارهم، وقد ينتقلون إلى «النجف»[6].

ومزاعمهم في هذا الباب يصعب حصرها.. بدع كثيرة منكرة.. وما ذكرته مجرد إشارات لو قمنا باستعراض نصوصها وتحليلها لاستغرق ذلك صفحات كثيرة.

---

(١) انظر: المصدرين السابقين ونفس الموضع، وانظر: تفسير فرات ص١٣.

(٢) المعالم الزلفى: ص٢٥١.

(٣) المعالم الزلفى: ص٢٥٥، وانظر بمعنى هذا الخبر: ابن قولويه/ كامل الزيارات ص١٣٧، الحر العاملي/ وسائل الشيعة: ١٠/٣٣١.

(٤) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ص١٢٤.

(٥) الاعتقادات للمجلسي: ص٩٨، ويقول بأنها هي جنة آدم (الموضع نفسه من المصدر السابق) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والجنة التي أسكنها آدم وزوجته عند سلف الأمة وأهل السنة والجماعة هي جنة الخلد، ومن قال: إنها جنة في الأرض فهو من المتفلسفة والملحدين، أو من إخوانهم المبتدعين فإن هذا يقوله من يقوله من المتفلسفة والمعتزلة (الفتاوى: ٤/٣٤٧).

(٦) الاعتقادات للمجلسي: ص٩٧.

وكلها بدع ليس عليها من كتاب الله برهان، وليس لها في كتب الأمة شاهد ولا خبر.. ويكفي في بيان وضعها، ومعرفة كذبها مجرد عرضها.. فهم جعلوا الآخرة للأئمة والله سبحانه يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ﴾[1] وما أشبه قولهم هذا بمزاعم يهود في قولهم إن الآخرة لهم. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

كما جعلوا للأئمة الحكم والأمر في يوم القيامة والله جل شأنه يقول: ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وقالوا بأن الجنة لهم كما قال اليهود: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4].

ونقول لهم في كل مزاعمهم التي مرت: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾. بل أنتم بشر كسائر البشر، وما تدعونه إنما هو كيد عاجز، وصنعة حاقد، وتدبير زنديق، وبين أيدينا كتاب الله سبحانه لم يدع لهذه التخرصات والأوهام سبيلاً إلى قلب من احتكم إليه وجعله إمامه وقائده.

وأما من أغلق عقله، وأخذته العزة بالإثم، وأعمى تفكيره التعصب فسيجد مغبة ذلك في يوم ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[5].

---

(١) النجم، آية: ٢٥.

(٢) البقرة، آية: ٩٤-٩٥.

(٣) القصص، آية: ٧٠.

(٤) البقرة، آية: ١١١- ١١٢.

(٥) البقرة، آية: ١٢٣.

□ **الإيمان بالقدر:**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بأن «قدماء الشيعة كانوا متفقين على إثبات القدر، وإنما شاع فيهم نفي القدر من حين اتصلوا بالمعتزلة»[(١)].

وهذا كان في أواخر المائة الثالثة، وكثر بينهم في المائة الرابعة لما صنف لهم المفيد وأتباعه[(٢)].

كما أن «سائر علماء أهل البيت متفقون على إثبات القدر»[(٣)].

ويذكر الأشعرى أن الرافضة في أفعال العباد ثلاث فرق: فرقة يقولون بأن أعمال العباد مخلوقة لله وأخرى تقابلها فتنفي أن تكون أعمال العباد مخلوقه لله، وثالثة تتوسط وتقول لا جبر، كما قال الجهمي ولا تفويض كما قال المعتزلة لأن الرواية عن الأئمة- كما زعموا- جاءت بذلك، ولم يتكلفوا أن يقولوا في أعمال العباد هل هي مخلوقة أم لا شيئاً[(٤)].

واعتبر شيخ الإسلام هذه الطائفة متوقفة بينما الأولى مثبتة والثانية نافية[(٥)]، ولا يذكر صاحب التحفة الاثنى عشرية عن الإمامية إلا قولهم: «إن العبد يخلق فعله»[(٦)].

هذا ما تقوله مصادر أهل السنة.

وبالرجوع إلى مصادر الشيعة يتبين ما يلي:

نرى ابن بابويه القمي الملقب عندهم بالصدوق، يقول في عقائده، التي

---

(١) منهاج السنة: ٢٩/٢.

(٢) المصدر السابق: ٢٢٩/١.

(٣) السابق: ٢٩/٢.

(٤) مقالات الإسلاميين: ١١٤/١، ١١٥.

(٥) منهاج السنة: ٢٨٦/١.

(٦) مختصر التحفة: ص٩٠.

سجلها على أنها تمثل عقائد الشيعة واشتهرت باسم عقائد الصدوق يقول: «اعتقادنا في أفعال العباد أنها مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، ومعنى ذلك أنه لم يزل الله عالماً بمقاديرها»[1].

وهذا فيه إثبات علم الله عز وجل بأعمال العباد فقط لا إثبات عموم مشيئته سبحانه، وهو لا يقتضي أن الله خالق أفعال العباد، ومع ذلك فقد تعقبه شيخهم المفيد فقال: «الصحيح عن آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أن أفعال العباد غير مخلوقة لله، والذي ذكره أبو جعفر قد جاء به حديث غير معمول به، ولا مرضي الإسناد، والأخبار الصحيحة بخلافه وليس يعرف في لغة العرب أن العلم بالشيء هو خلق له»[2].

ثم قال : وقد روي عن أبي الحسن أنه سئل عن أفعال العباد فقيل له هل هي مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام: «لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه: ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾، ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم»[3].

ويبدو في هذا الاستدلال الذي عزاه مفيدهم إلى الرضا التكلف الواضح فبراءة الله عز وجل من المشركين لعدم رضاه سبحانه عن عملهم، ولا ينفي هذا قدرة الله سبحانه ومشيئته الشاملة النافذة، قال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۗ ﴾[4]. وجاء في رواياتهم ما ينقض هذا ويتفق مع الحق، حيث قالوا: «ما خلا الله فهو مخلوق والله خالق كل شيء»[5].

ثم إن المفيد يذهب إلى معنى أن العباد خالقون لأفعالهم، لكنه لايستحسن هذا التعبير فيقول: «أقول إن الخلق يفعلون، ويحدثون ويخترعون ويصنعون

---

(١) عقائد الصدوق ص٧٥.

(٢) شرح عقائد الصدوق ص١٢.

(٣) شرح عقائد الصدوق ص١٣.

(٤) الأنعام، آية: ١٠٧.

(٥) الحر العاملي/ الفصول المهمة: ص٣٥.

ويكتسبون ولا أطلق القول عليهم بأنهم يخلقون ولا هم خالقون، ولا أتعدى ذكر ذلك فيما ذكره الله تعالى ولا أتجاوز به مواضعه من القرآن وعلى هذا القول إجماع الإمامية والزيدية والبغداديين من المعتزلة وأكثر المرجئة وأصحاب الحديث، وخالف فيه البصريون من المعتزلة وأطلقوا على العباد أنهم خالقون فخرجوا بذلك عن إجماع المسلمين»[1].

فهو يلتزم- كما يزعم- منهج القرآن، لأنه سماهم فاعلين وعاملين ولم يسمهم خالقين، غير أن إجماع طائفته لم يستمر- إن كان قد حصل- إذ أن طائفة من شيوخهم سلكوا مسلك معتزلة البصرة في إطلاق لفظ «الخلق»[2]. والفرق اللفظي بينهم وبين معتزلة البصرة قد توارى فيما بعد على يد ثلة من أساطين المذهب.

فقد عقد شيخهم الحر العاملي (ت١١٠٤هـ) صاحب وسائل الشيعة في كتابه الذي يتحدث فيه عن أصول أئمته عقد باباً بعنوان «باب أن الله سبحانه

(١) أوائل المقالات: ص٢٥.

(٢) وقالوا بأنه قيل لأبي الحسن هل غير الخالق الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿**فتبارك الله أحسن الخالقين**﴾ [المؤمنون، آية: ١٤]. إن في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى عليه السلام خلق من الطين كهيئة الطير (الفصول المهمة ص٨١) ومثل هذا التوجيه نسب لبعض السلف حيث قال ابن جريج: إنما جمع الخالقين، لأن عيسى كان يخلق كما قال: «أني أخلق لكم من الطين» فأخبر الله عن نفسه أنه أحسن الخالقين (تفسير الطبري: ١١/١٢، تفسير البغوي: ٣٠٤/٣) ولكن عيسى عليه السلام إنما كان يخلق بإذن الله فلا خالق مع الله، ولذلك فإن أكثر أهل العلم قال: إن الخلق بمعنى التقدير كما يدل على ذلك لغة العرب، وقال مجاهد: يصنعون ويصنع الله و الله خير الصانعين (تفسير البغوي ٣٠٤/٣)، قال ابن جرير الطبري- بعد أن ذكر قول ابن جريج وقول مجاهد-: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد، لأن العرب تسمي كل صانع خالقاً (انظر: تفسير الطبرى ١١/١٢). والقضية عند هؤلاء الروافض ليست في إطلاق اللفظ الذي له معنى في اللغة غير الإيجاد، ولكن في قولهم بأن العبد هو الذي يخلق فعله ، كما أن توجيه إمامهم بأن عيسى يخلق ليس بدليل لهم في قولهم إن كل إنسان يخلق فعله، لأن ذلك معجزة لعيسى بأمر الله، وورد به النص «أني أخلق لكم» وهم يعممون إطلاق اللفظ.

خالق كل شيء إلا أفعال العباد»[1]، وقال «أقول مذهب الإمامية والمعتزلة أن أفعال العباد صادرة عنهم وهم خالقون لها»[2].

وكذلك قال شيخهم الطبطبائي: «ذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها، وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها إما مخصص بما سوى أفعال العباد، أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته»[3].

وقال القزويني: «وأفعال العباد مخلوقة لهم»[4].

وغير هؤلاء كثير[5]. وهو كما ترى عين مذهب أهل الاعتزال فهل مقالة هؤلاء طارئة على المذهب الشيعي كما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره، وإن قدماء الشيعة لم يكونوا على هذا المعتقد، أم أن هذا هو مذهب الأقدمين ومن بعدهم؟.

لعل أفضل مرجع يرجع إليه لاستقراء هذه الحقيقة هو كتب الحديث عند الشيعة.

وقد رجعت إلى مصادر الشيعة المعتمدة في الرواية وبالذات إلى مراجعها الرئيسة فرأيت مجموعة كبيرة من الروايات تخالف ما هو شائع عن مذهب الشيعة

---

(١) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ص٨٠.

(٢) المصدر السابق: ص٨١.

(٣) مجالس الموحدين في بيان أصول الدين/ محمد صادق الطبطبائي ص٢١.

(٤) قلائد الخرائد: ص٦٠.

(٥) مثل ابن المطهر الحلي في كتابه نهج المسترشدين: ص٥٢، حيث قال: البحث الرابع: في خلق الأعمال وقرر أن هذا مذهب طائفته ومذهب المعتزلة، ومثل ذلك صرح في كتابه «الباب الحادي عشر» (مع شرحه للمقداد) ص٣٢، وكتابه: كشف المراد ص٣٣٢»، وكذلك شيخ الشيعة المجلسي صاحب البحار قال: «وذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها. (بحار الأنوار: ٤/١٤٨)، والمقداد الحلي (انظر: النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر: ص٣٢- ٣٣).

من القول بمذهب المعتزلة في أفعال العباد، وتعارض ما قرره طائفة من شيوخهم في هذه المسألة من الأخذ بمسلك أهل الاعتزال كما سبق ذكر بعض شواهده من أقوال المفيد، وابن المطهر، والحر العاملي وأضرابهم مما سجلوه في كتب العقيدة التي كتبوها لتعبر عن مذهب الشيعة.

فمن رواياتهم التي وصفنا:

«قال أبو جعفر وأبو عبد الله» إن الله أرحم بخلقه من أن يجبر خلقه على الذنوب، ثم يعذبهم عليها، والله أعز من أن يريد أمراً فلا يكون قال: فسئلا عليهما السلام هل بين الجبر والقدر منزلة ثالثة؟ قال: نعم أوسع ما بين السماء والأرض»[1].

يعني أن بين القول بالجبر والقول بنفي القدر منزلة ثالثة وسط.

وجاءت عندهم مجموعة من الروايات تقول بأن مذهبهم في القدر هو أمر بين الأمرين لا جبر ولا تفويض[2].

ولهذا قال المجلسي «اعلم أن الذي استفاض عن الأئمة هو نفي الجبر والتفويض وإثبات أمر بين الأمرين»[3].

ونفي الجبر واضح القصد وهو الخروج عن مذهب الجبرية، ولكن ماذا يريدون بالتفويض؟.

يقول المجلسي: «وأما التفويض فهو ما ذهب إليه المعتزلة من أنه تعالى أوجد العباد، وأقدرهم على تلك الأفعال وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله في أفعالهم صنع»[4].

---

(١) أصول الكافي: ١٥٩/١.

(٢) انظر: أصول الكافي/ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين: ١٥٥/١، وانظر: بحار الأنوار: ٢٢/٥، ٥٦، الفصول المهمة ص٧٢.

(٣) بحار الأنوار: ٨٢/٥.

(٤) المصدر السابق: ٨٣/٥.

كذلك عندهم روايات أخرى تنتقد مذهب المعتزلة، وتشنع على القائلين به فهو رد على الشيعة نفسها في سلوكها مسلك المعتزلة، جاء في تفسير القمي- في التشنيع على القدرية نفاة القدر من المعتزلة ومن نهج سبيلهم- قول إمامهم: «... القدرية الذين يقولون لا قدر، ويزعمون أنهم قادرون على الهدى والضلالة، وذلك إليهم إن شاءوا اهتدوا، وإن شاءوا ضلوا، وهم مجوس هذه الأمة، وكذب أعداء الله المشيئة والقدرة لله ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ. فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾[1] من خلقه الله شقياً يوم خلقه كذلك يعود إليه شقياً، ومن خلقه سعيداً يوم خلقه كذلك يعود إليه سعيداً، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه»[2].

وقال أبو عبد الله: «إنك لتسأل عن كلام أهل القدر وما هو من ديني ولا دين آبائي ولا وجدت أحداً من أهل بيتي يقول به»[3].

وقال: «ويح هذه القدرية أما يقرأون هذه الآية: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ويحهم من قدّرها إلا الله تبارك وتعالى»[4] وغيرها كثير[5].

هذه الروايات تعبر عن مذهب الأئمة في إثبات القدر، وقد تشير إلى ما عليه قدماء الشيعة من الإثبات، وقد أعرض عن هذه الروايات الشيعة المتأخرون بلا دليل سوى تقليد أهل الاعتزال، وأغمضوا النظر عما يعارض ذلك من روايات كثيرة عندهم، بل إن الشيعة جعلوا من أصولهم العدل كالمعتزلة سواءً بسواء. وهذه الكلمة في ظاهرها لفظ جميل، ولكنها تخفي وراءها معنًى خطيراً، وهو إنكار قدر الله عز وجل.

---

(١) الأعراف، آية: ٢٩/٣٠.

(٢) تفسير القمي: ١/٢٢٦- ٢٢٧، بحار الأنوار: ٥/٩.

(٣) بحار الأنوار: ٥/٥٦، البرهان: ١/٣٩٨.

(٤) بحار الأنوار: ٥/٥٦.

(٥) انظر: بحار الأنوار، ٥/١١٦ وما بعدها رقم ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٩، وغيرها.

قال أحد شيوخهم: «أما الإمامية فالعدل من أركان الإيمان عندهم بل ومن أصول الإسلام»[1].

مع أن أقوال الأئمة كما أثبتته كتبهم المعتمدة عندهم لا تصرح بنفي القدر في أكثر رواياتها- كما مضى- بل تهاجم المعتزلة وتنتقد مذهبها في القدر، كما تقرر جملة من أخبارهم أن الحق ليس مع المعتزلة القدرية، ولا مع الجبرية بل الحق منزلة أخرى ثالثة، وهذا حق، ولكن تفسير هذه المنزلة، أو الأمر بين الأمرين ما هو؟.

لقد أحجمت بعض رواياتهم عن تفسير هذا واكتفت بإطلاق هذا القول. ولما سئل أبو عبد الله عن معناه لم يجب وقالت رواياتهم في وصف موقفه من هذا السؤال: «فقلب يده مرتين أو ثلاثاً ثم قال: لو أجبتك فيه لكفرت»[2].

وقد حمل بعض شيوخهم هذا الموقف من «جعفر» على التقية «لأنه- بزعمهم- كان يعلم أنه لا يدركه عقل السائل فيشك فيه أو يجحده فيكفر»[3].

ولعل هذا التوقف هو ما أشار إليه الأشعري من أنه أحد مذاهب الرافضة الثلاثة. كما أن المذهب الأول قد جاء على لسان شيخهم المفيد في قوله: «إن أفعال العباد غير مخلوقة لله»[4]. وقد لوحظ أن المذهب الثالث وهو الإثبات قد نطقت به طائفة من رواياتهم فأنت ترى أن المذاهب الثلاثة للرافضة التي أشار إليها الأشعري في مقالاته قد وجدت كلها ضمن مقالات الاثنى عشرية ورواياتهم.

وذكر صدوقهم في عقائده رواية تفسر قولهم بالأمر بين الأمرين حيث

---

(١) هاشم معروف/ الشيعة بين الأشاعرة والمعتزله ص٢٤٠، عبد الأمير قبلان/ عقيدة المؤمن ص٤٣.

(٢) ابن بابويه/ التوحيد ص٣٦٣، بحار الأنوار: ٥/٥٣، وجاءت روايات أخر شبيهة بهذا منها ما يقول بأن ذلك «سر من أسرار الله». (بحار الأنوار: ٥/١١٦) أو أن بينهما ما بين السماء والأرض» (المصدر السابق ٥/١١٦)، وما ماثل ذلك.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار: ٥/٥٣- ٥٤.

(٤) شرح عقائد الصدوق ص ١٠- ١٢.

قال: قيل لأبي عبد الله: «ما أمر بين الأمرين؟ فقال : ذلك مثل رجل رأيته على المعصية فنهيته فلم ينته فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لا يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[١].

فهو هنا يفسر القدر بالأمر والنهي فحسب.. وهو لا يكفي في بيان المذهب الحق في القدر.. إذ كان الله سبحانه لا سلطان له على العبد إلا أمره أو نهيه.

ولكن نجد من شيوخهم من فسر ذلك بمقتضى مذهب أهل السنة وقال بما جاء في رواياتهم من الإثبات، وأعرض عما قاله طائفة من شيوخه وجعل ذلك هو معتقد طائفته فقال: بعد ما ذكر ضلال الجبرية فيما ذهبوا إليه وإن من قال بقولهم فقد نسب الظلم إليه تعالى عن ذلك، وضلال القدرية فيما أخذوا به من نفي القدر وأن من قال بذلك فقد أشرك مع الله غيره في الخلق- قال: «واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام من الأمر بين الأمرين والطريق الوسط بين القولين... فقد قال إمامنا الصادق عليه السلام لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة «لاجبر ولاتفويض ولكن أمر بين الأمرين».

ما أجمل هذا المغزى، وما أدق معناه وخلاصته: «أن أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى وداخلة في سلطانه لأنه هو مفيض الوجود ومعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا على المعاصي، لأن لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه بل له الخلق والأمر وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد»[٢].

وهذه الكلمات لا تخالف ما قاله أهل السنة في باب أفعال العباد، وهي

---

(١) عقائد الصدوق: ص٧٥.

(٢) المظفر/ عقائد الإمامية ص٦٧- ٦٨، وقريب من ذلك ما ذكره شيخهم الزنجاني/ في عقائد الشيعة الإمامية الاثنى عشرية: ٣/١٧٥- ١٧٦.

تفيد أن من شيوخ الشيعة المتأخرين من يذهب إلى ما ذهب إليه أوائلهم، وما قررته معظم رواياتهم إذا لم يكن قد جعل لكلماته ضرباً من التأويل أو لوناً من الاتقاء فذاك علمه عند الله.

وهذا لا ينفى أن شيوخ المذهب وأساطين الطائفة قد ذهبوا في الغالب إلى ما ذهب إليه أهل الاعتزال.

ويمكن أن يقال:

قد كان في القديم الإثبات هو الأصل والنفي طاريء نتيجة التأثر بالاتجاه الاعتزالي، وعند المتأخرين النفي هو الكثير الغالب، والإثبات موجود عند البعض.

ولا شك بأن من قال بالنفي فقد قال بجزء من الأدلة وعطل الباقي، ومن قال بالجبر فقد عمل بالجزء الآخر وعطل ما سواه، ومن أخذ بالقول الوسط فقد أعمل الأدلة كلها، وآيات القرآن أثبتت للعبد فعلاً وقدرة ومشيئة، ولكنها تابعة لقدرة الله ومشيئته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[1].

☐ قال شيخ الإسلام:

«فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة» ثم ساق الأدلة في ذلك[2].

والروايات الكثيرة عند الرافضة والتي مضى بعضها هي أكبر شاهد من مذهبهم نفسه على بطلان ماذهب إليه شيوخهم من الأخذ بمذهب أهل

(١) الإنسان، آية: ٣٠، التكوير، آية: ٢٩.

(٢) انظر: منهاج السنة: ١/٢٠- ٢١.

الاعتزال[1].

* * *

(١) ولتفصيل القول في القدر، ونقض شبهات المعتزلة ومن قلدهم من الرافضة انظر: منهاج السنة النبوية: ١/٣٩- ٤٥، ٢٨٥، ٣٥٦ وما بعدها. و ج٢/٢٠ وما بعدها، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ج٨، وفي مواضع متفرقة أخرى راجع المجلد ٣٦ ص١٤٣- ١٥٣، وانظر شرح الطحاوية ص٢١٧ وما بعدها، ٣٤٧- ٣٥٢، وراجع رسالة الشيخ عبد الرحمن المحمود/ القضاء والقدر.